



أحمد عبد الله الدامغ

الجزء الحادي عشر



مركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة
قسم الدراسات والبحوث والنشر
الرياض ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ مـ



ح احمد عبدالله الدامغ، ١٤٢٤ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الدامغ ، احمد بن عبدالله
الادب المثمن / احمد بن عبدالله الدامغ - الرياض، ١٤٢٤ هـ
١٦ مج. ، ٣٣٦ ص ، ١٧ X ٢٤ سم
ردمك: ٥-٣٣١-١٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
٣-٣٣٢-١٠-٩٩٦٠ (ج ١)
١- الادب العربي - مجموعات أ- العنوان
ديوي ٨، ٨١٠ ١٤٢٤/٢٧٧٣

رقم الإيداع: ١٤٢٤/٢٧٧٣
ردمك: ٥-٣٣١-١٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
٣-٣٣٢-١٠-٩٩٦٠ (ج ١)

المملكة العربية السعودية ص.ب ٩٣٩٢٧ الرياض ١١٦٨٣ هاتف ٤٨٧٠٥١٣
فاكس ٤٨٧١٤٢٧/ ٣٦
الموقع على الأنترنت
www.albabtain-center.com
البريد الألكتروني:
E-mail: info@albabtain-center.com



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن هذا الجزء من كتاب «الأدب المثمن» له خاصية من حيث تسلسله بين أجزاء هذا الكتاب.. فهو الجزء الحادي عشر. وهذا يعني أنني أنهيت قبله عشرة أجزاء تساوي في تسلسلها العددي عقداً من الزمن. وعلى هذا فهو يمثل بداية عقد جديد.. لذا كان له في نفسي ميزة أرجع بخاصيتها إلى تذكر بعض ما كنت قد هممت بفعله قبل عشر سنوات. ولم أفعله لأنه حال دون ذلك انشغالي بتأليفه وما سبقه من أجزاء وكتب عديدة أخرى ولكنني لم أندم على عدم تنفيذ ما هممت بعمله وإن كان لا يقل في مستواه الأدبي عن هذا الكتاب؛ لأن الأمل ما زال قائماً والعزيمة متوثبة للشروع في إنجازه إن شاء الله. إلى جانب الاستمرار في كتابة ما يتيسر لي كتابته من أجزاء تتبع لهذا الجزء. فمن الله أستمد العون وعليه أعلق الأمل والرجاء فهو الهادي إلى سواء السبيل.

المؤلف:

أحمد عبد الله الدامغ



إغاثة قطاة

و«إغاثة قطاة» هو عنوان لقصيدة قوامها عشرة أبيات للشاعر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر المتوفى سنة ١٣٧٧هـ والتي ضمنها ديوانه «خواطر الحياة» والأبيات تصور قصة مفجعة لقطاة كانت قد انطلقت في صباح يوم من وكرها وتركت صغارها، ومضت إلى حيث يوجد الماء والكلأ، غير آبهة ببعده:

قطاةٌ غدت تطوي الفلاة خميصةً
إلى روضة طابت وطاب صباحُها

رعت كَلأً رطباً حَسَتْ ماء مُزنة
رَبَا بين أحناء الضلوع ارتياحُها

وفي طريق عودتها ترصد لها قناص فرماها نبله، وهي طائرة في كبد السماء فأصاب جناحها وهوت في مكان لم يَهْتَدِ إليه:

وعادت تشق الجو وهي تُطل من
عُلاها على بيداء لانتْ رياحُها

رمى النابل الختال منها قوادماً
ولم يدر رامي النبل أين مطاحُها

ومرّ بها من اعتاد السير في تلك الناحية التي سقطت فيها فاستنجدت به:

ومرّ بها سرب من الإنس طائر
فصاحتْ وقد أجدى عليها صياحُها





وطلبت إليه إعارة جناحه حتى تطير به إلى صغارها التي تركتهم في الصباح جياعاً وتخشى عليهم من الموت إن هي تأخرت عنهم وقتاً طويلاً:

أنَاشِدُكُم من ذا يعير جناحه
مطوّحةً في القفر قُدّ جناحُها

أطير إلى زغب الحواصل إنها
خماص وأخشى أن يحين اجتياحُها

وقد وجدت العون من ذلك السرب حيث طار بها إلى وكرها بكل أريحية:

فمد إليها السرب راحة مُسْعِدٍ
وطار بها حتى قماها مراحُها

وفي هذه القصة تنويه بالغ إلى عدم صيد الطيور وقت تفريخها. كما أن فيها صورة حية تدعو إلى مد يد العون إلى المصاب، وبذل المساعدة له بروح تعاونية.

... بل إن في تلك القصة عبرة تلامس الحياة الاجتماعية بشكل واضح وذلك من حيث عاطفة الأمومة، ومن حيث السعي في طلب الرزق.

.... والحقيقة أن مثل هذه الأبيات التي لها مغزى اجتماعي. تجد قبولاً لدى القراء على مختلف طبقاتهم وثقافاتهم؛ لأنها تعالج جزءاً من واقع حياتهم.

○○○○○





رأيان في فئتين من الشباب

ما من مجتمع إنساني على وجه الأرض إلّا ويتكون شبابه من فئات مختلفة السلوك والطباع.. والناقد الذي لا يرغب في الإشارة إلى تنوع مميزات كل فئة عن الأخرى.. يعمد إلى دمج تلك الفئات في فئتين متناقضتين في السلوك والأخلاق والآداب العامة لأن إحدى هاتين الفئتين تسلك طريقاً مستقيماً. فيوصف كل فرد من أفرادها بالمواطن الصالح الذي لا يألو جهداً في سبيل النهوض بوطنه وأمته والارتقاء بنفسه إلى مراتب الكرامة والشرف.. وهذه الفئة يسعد بها المجتمع، ويكبر فيها الأمل، وينتظر منها مستقبلاً زاهراً يعبق بالشهامة والشيم والنجابة.

أما الفئة الأخرى أو الثانية بالأصح. فهي على نقيض الصلاح والفلاح، بل تخوض في عمق الطلاح، فلا هي تعرف الكرامة فتسعى لتكرم نفسها بها.. ولا تعرف المواطنة فتعمل من أجل الارتقاء بوطنها. ولا تعرف قيمة ترابط المجتمع فتأخذ بأسباب الانضمام إلى ركبه. ولا تعرف سمو الخلق وشرف الأدب فتبحث عن الوسائل التي تمكنها من ممارسته. ولا تعرف قدر قيمة الحياة الاجتماعية، فتطرق الأبواب المفضية إليها.

... وقد يسأل سائل فيقول: الفئة الصالحة نعرفها من سيرتها وأعمالها ولكن كيف نعرف الفئة الطالحة التي تتستر أحياناً خلف مظاهر غير ثابتة الألوان؟.

والجواب على ذلك يدخل في دلالة المثل القائل: البعرة تدل على



البعير، فإذا رأيت الشباب وهم يذرعون الشوارع ويتسكعون في الأسواق تسكعاً يزري وصفه ويُخزي، كيف لا... وهم يتدافعون بالمناكب في الطرقات وتعلو ضحكاتهم وقهقهاتهم التي يظهر لك من خلالها ما يلوكونه من علوك أو لبان..

وإن شئت أن تعرف صفتهم بأسلوب شعري فهاك هذه المقطوعة للشاعر محمد مهدي الجواهري التي وصف فيها تلك الفئة من الشباب:

من مبلغ الأجيال أن شيبة يتكحلون

يتخططون فإن عجبت فإنهم يتحمرون

أم هم وقد لبسوا الجديد غرانق يتأنقون

المائعون من الدلال المُنْعَمُون المترفون

يتأطرون من النعيم كما تأطرت الغصون

إني رأيت وليتني قد كنت ممن يعمهون

زمراً من النفر المخنث يسرحون ويمرحون

يتماجنون وبالمناكب بينهم يدافعون

○○○○○

الشعر لسان الزمان، وديوان العرب

العرب يقولون حينما يفتخرون بصدق شعرهم وفصاحته ـ أو فصاحتهم ـ: الشعر ديوان العرب. وإذا ما تجاوزنا هذه المحدودية.. أو الوقفية على العرب. واتجهنا إلى تعميم القول عن الشعر وتدويله فإن وصف مكانته وقيمته الأدبية في حياة المجتمع تحتمل أن تقول عنه أنه: «لسان الزمان»، وأن له في كل مكان من العالم ترجمان.

لكن المفاضلة فيما يلفظه ذلك اللسان من شعر.. هو ما يصنع اللسان العربي الصانع للشعر العربي في صدر القائمة الدولية بلا منازع.. حتى وإن لم يكن تدوينهم ـ وأعني بذلك العرب ـ قد جاء متأخراً.. ولم ينظر إليه كواقع حضاري في بداية الاهتمام به بقدر ما نظر إليه كسجل للأحداث وأسلوب للمفاخرة والهجاء. ولم يَحْظَ بلسان إعلامي مثل ما حظي به الأدب الفرنسي والإنجليزي.

وفي ركب الحضارة والتمدن جدّ اللسان العربي في مجال الشعر ليحقق معنى العبارة القائلة: «الشعر ديوان العرب».

ولم يتوقف اللسان العربي على نقل تجليات أفكاره وتمخض أخيلته الشعرية المبدعة في نقل صورة واقع حضارة عصره، بل تعدّى ذلك وأخذ يترجم أشعار الآخرين ويصوغها بفصاحته في قالب شعره ولغته الخلابة ويضفي عليها جمالاً لم تكن عليه وهي في لغتها الأصلية.

وبعد هذا.. يحسن أن نسمع واحداً من شعراء العرب الذين عاشوا ما بين القرنين الخامس والسادس الهجري ما يقوله عن الشعر



بصفة عامة والشعر العربي بصفة خاصة. وهذا الشاعر هو فتيان الشاغوري واسمه: أبو محمد فتيان بن علي جمال الدين الأسدي المولود عام ٥٣٠هـ والمتوفى عام ٦١٥هـ حيث يقول من جملة قصيدة له امتدح بها الأمير مبارز الدين إبراهيم والي دمشق:

الشعر ما زال لسان الزمان
يُعَلِّم الإنسان منه البيانْ

والشعراء والأمراء الأُلَى
ألفاظهم مطربةٌ والمعانْ

لو لم تكن سَوْرَتُهم تُتقى
ما أُنزلت سورتهم في القرآنْ

ولا حوى كعب به بردة الـ
ـنبي إذ فاز بِبُرْدِ الأمانْ

حياضه لم تفن أمواهُها
كأنه البحر وما البحر فانْ

وهو لعمري ترجمان وناهيـ
ـك به في الناس من ترجمانْ

والعرب العرباءُ كانوا به
في الزمن الغابر أهل افتنانْ

وكان ديوانُهُم فارقاً
بين الهجين المدّعى والهجانْ

○○○○○

بكاء على فلسطين!!

ندبتُ خاطرتي يوماً من الأيام عَلَّهَا تفتح عليّ شيئاً أقوله عن فلسطين فأبت وعصت وعاندت.. فسألتها لماذا؟ والمكتبة العربية قد غصت بما كتب عن فلسطين من شعر ونثر!!. فكأني بها وقد ردت بعبارات منكسرة مبحوحة تُقلّد بنبراتها عبارات مكرورة بح صوت قائلها.

ولقد وافقت خاطرتي على أن الكلام وما يصحبه من بكاء رجال وعويل نساء وصراخ أطفال ذاقوا جميعاً الهوان والمذلة على أيدي يهود وبني صهيون الذين استوطنوا فلسطين وعاثوا فساداً في أهلها وأرضها ودنسوا مسجدها وهوّدوا منابرها. أقول وافقت خاطرتي على أن الكلام ليس بِمُجْدٍ؛ إذ إن المسألة ليست مسألة نقل كلام إلى أذن لم تسمع بالجرائم المرتكبة بحق أهل فلسطين، ولا إلى عقل لم يدرك أحقية أهل فلسطين بفلسطين؛ لأن هذه أمور تُرى وتُسمع وتفهم. وقد أدركها العالم... وإنما المسألة تتمثل في من يستطيع رفع الظلم وردع الظالم؟ هذا هو السؤال الذي تحمله جميع وسائط النقل الإعلامي إلى المجتمعات الدولية، والمحافل العالمية.. ثم تعود إلى منطلقها محملة بالأنين والحزن والأسى الذي ولّده التواطؤُ على إذلال العرب، وتقوية شوكة يهود وبني صهيون حتى تشخص في أعينهم وتعترض في صدورهم.

قلت أيتها الخاطرة: ليكن شأنك شأن من خط بالقلم، ونادى وشجب فإن السكوت دليل الرضا!!. قالت: لا أظن أني آتية لك بما لم يأت به الذين ذاقوا مس عذاب السياط التي تهوي بها أيدي الصهاينة على أجسامهم.. وخير لك أن تقرأ لتكون على علم بثقافة وسائل



التعذيب وأساليب القمع. وطرق الإذلال الذي يكابده الشعب الفلسطيني الذي يعيش الآن داخل بلده فلسطين وكأنه في سجن يتفنن سجانوه في تعذيب نزلائه.. هكذا قالت خاطرتي.

.. أما ختام هذا الحوار المبكي فهو قول الشاعر عمر يحيى من جملة قصيدة له:

فلسطين رعت منّا صابنا
وغذّانا بها - الأقصى - الطعين

صلاح الدين يجمعنا فيحيا
على ذكراه غابرنا الثمين

غدت شلواً يمزقه الأعادي
ذئاب الغرب والسقط الجبين[1]

ونحن على تنابذنا نرجيّ
شفاء الداء قد أشفى الضمين[2]

متى نزجي إلى الأعداء رحانا
فتنهار المعاقل والحصون

متى سنعود أقوى ما نرجيّ
ونحن على السراب لناصفون

وهل بالغابر المحمود نسمو
إذا ما خيّب الأمل الجنين

ضماناً يا بطاح القدس إنا
على أسلا تنا يحيا العرين

---

(١) الجبين: الجبان.

(٢) الضمين: المريض.

على جناح الخاطرة من روما إلى رومة!!

يحصل في بعض الأحيان وجه شبه في مسمى بعض المعالم والمدن أو غيرها أو تشابه في حروف أسمائها. فيحرك هذا التشابه في نفس بعض الشعراء تساؤلاً حول ذلك التشابه خاصة إذا كان هناك شرف مكان يفصل بينهما بميزة قدسية أو حضارية أو بعد مرحلي في التاريخ والمسافة.. فيركب على وجه السرعة جناح الخاطرة، وينتقل من المكان الذي شابه في الاسم أو قارب اسم المكان الذي قضى فيه صباه أو شطراً من حياته. ليرسم الفرق، من حيث الموقع. ويقطع صلة التشابه بين حروف اسميهما.

ومثل هذا حصل للشاعر عبيد عبد الله مدني، المولود بالمدينة المنورة عام ١٣٢٤هـ والمتوفى في القاهرة يوم الخميس ١١ ذي القعدة عام ١٣٩٦هـ، ولاحظه وهو في مدينة ـ روما ـ عاصمة إيطاليا. حيث وجد تشابهاً بين اسم «روما» و«رومة» وهي البئر التي قال عنها: إنها من آبار النبي ﷺ في المدينة المنورة وأنها تقع على ضفاف وادي العقيق. وقد جعل فرع وزارة الزراعة في المدينة بستانها «المزرعة النموذجية».

وقد ترجم عبيد الله مدني الملاحظة وهو في مدينة روما، وأبدى اشتياقه إلى رومة في المدينة المنورة وذلك في قصيدة له عنوانها «بين رومة وروما» منها قوله:

ذكرتُ «رومة» في «روما» فطرت لها
محلقاً بخيالي فوق واديها



حيث الحدائق غُلْبٌ والهواء هوى

والماءُ من سلسل صافٍ يرويها

ومنها قوله:

أين المدينة عنّي أين تربتها

منّي وأين شذاها أين ناديها؟

لم أنسها أو ينسى المرء بغيته

وهل سوى «طيبة» عندي أناجيها؟

لم تُلهني عنك «باريس» وروعتها

ولا «سويسرا» وما تحوي روابيها

لم تطف لندن من شوقي توقّده

وقبل لندن «هنبرج» وما فيها

ومنها قوله: إن روما وما فيها من مظاهر الحضارة والتقدم لا تغنيني عن رومة في المدينة:

لم تغن عن رومة «روما» وما حفلتْ

به البقية من آثار ماضيها

وإن تشابهت الأسماء بينهما

فهل ترى بهرج الدنيا كصافيها؟

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٢٩ بيتاً موجودة في ديوان ـ المدنيات ـ جـ١.

○○○○○

الأمم المتحدة لا تتوانى في ظلم من يفي بحقوقها

إن هيئة الأمم المتحدة ممثلة في مجلس أمنها والتي يرأسها بشكل عام في الفترة التي يقع فيها هذا العام ١٩٩٣م بطرس بطرس غالي. ليست في واقعها إلّا أداة الظلم للضَّعيف في جميع أنحاء العالم.. أما القوي فليس لها عليه سلطة ولا سلطان تبطش كيف شاءت ومتى أرادت، وبأي شعب من شعوب الأرض قصدت.

ولعلّ أحدث أساليب الظلم الذي تناصره الهيئة بوحي من أمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا يمارس الآن في البوسنة والهرسك.. وتسأل لماذا؟ فلا يحيد الجواب عن القول.. لأنهم مسلمون ويجب استئصالهم وإبادتهم بالقتل والتشريد والتنصير... ولكن المهيمن على هيئة الأمم المتحدة قد خشي من عدم جدوى ذلك على أيدي الصرب. فأوعز لمجلس أمنها المزعوم، بأن يتخذ قراراً يحظر الأسلحة على شعب البوسنة والهرسك. بينما هو يمد الصرب بأحدث الأسلحة: ليفتكوا المسلمين بها.. فكانت النتيجة أن أخذ الصرب لعنهم الله في اقتحام المدن والقرى البوسنية والهرسكية وتقتيل النساء والأطفال والشيوخ قبل الرجال وممارسة الأفعال البعيدة كل البعد عن مبادئ الأخلاق الإنسانية علاوة على تهديم المعالم الأثرية والدينية كالمساجد والمدارس.. وإزاء هذا تستنصر في الدول التي لا حول لها ولا قوة.. الأمم المتحدة لتفعل شيئاً يوقف تلك المذابح والأفعال الشنيعة التي يمارسها الصرب. فلا تُصغي الدول المهيمنة على مجلسها لنداء الضمير، ولا تسمع شكوى المظلوم.. وتسأل: هل هذه الأمم المتحدة غاضبة على تلك الدول



التي استصرختها لأنها لم تف بما عليها من التزامات مالية للأمم المتحدة؟. فلا تجد إلا جواباً مكذباً لذلك، ومحققاً بأن تلك الدول المهيمنة على المجلس هي المتقاعسة عن سداد ما عليها من التزامات مالية للأمم المتحدة، وهي المماطلة.. إذ صرح أمين عام المجلس بطرس غالي في يوم الخميس ١٧/ ٢/ ١٤١٤هـ الموافق ٥ أغسطس آب عام ١٩٩٣م بأنه ليس في ميزانية الأمم المتحدة ما يكفيها شهراً واحداً حيث لم تسدد أمريكا ما عليها من ديون بلغت ٩٠٠ مليون دولار للأمم المتحدة. وكذلك روسيا التي بلغ ما عليها من ديون للأمم المتحدة ٨٠٠ مليون دولار. فهل بعد هذا عجبٌ يتعجب منه. تقاعس عن التسديد وهيمنة على التنفيذ للقرارات الجائرة. وليس من سلوة حتى وإن رددنا قصيدة الشاعر أحمد محمد الصديق التي منها قوله:

ليل يلف ديارنا ويخيم
وطريقنا عبر المتاهة مظلم

يا أيها الجرح الكبير إلى متى
هذا النزيف ولون فرحتنا دم

أوطاننا هدف لكل ملمة
نبني.. وأحداث الزمان تهدم

عبثاً تضيع هناك أطياف المنى
وكأن ما نصبو إليه محرم

وحصادنا شوك العذاب.. وروضنا
رحلت بلابله وجف البرعم

ونظل ندفن في الصدور طموحنا
أبداً. وننتظر الربيع.. ونحلم

وقوله:

وشعوبنا بين اليسار وحزبه
هم اليمين.. شتاتهن مقسم

أما يد الإسلام.. فهي حسيرة
مصفودة.. والقيد فيها محكم

○○○○○

التحذير من الغفلة

جاء في الفصل التسعين من كتاب «المدهش» لمؤلفه أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمٰن بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ موعظة منها هذا النص الذي يحذر من الغفلة عن الآخرة:

إخواني: ألا ذو سمع وبصر يعلم أن الأعمار فيها قصر، ألا متلمح ما في الغير من العبر، ألا ذاكر بيت التراب والمد:

تنبه فإن الدهر ذو فجعات
وشملُ جميع صائر لشتات

نخلف مأمولاتنا وكأننا
نسير إليها لا إلى الغمرات

هل المرء في الدنيا الدنية ناظر
سوى فقد حب أو لقاء ممات

وما حركات الدهر في كل طرفة
بلاهية عن هذه الحركات

سيُسْقى بنو الدنيا كؤوس حتوفهم
إلى أن يناموا لا منام سبات

وما فرحتْ نفس ببلوى وقد رأت
عظات من الأيام بعد عظات

إذا بغتت أشياء قد كان مثلها
قديماً فلا تعتدها بغتات

واعـقـب مـن الـنـوم الـتـيـقـظ راشـداً
فـلا بــد لـلـنــوام مــن يــقــظـات

ومما ذيّل به هذه الأبيات من النثر قوله:

يا من يجول في المعاصي. قلبه. وهمه. يا معتقداً صحته. فيما هو سقمه. يا من كلما طال عمره. زاد إثمه. أين لذة الهوى؟. رحل المطعوم وطعمه.

يا من سيجمعه اللحد عن قليل. ويضمه. كيف يوعظ من لا يعظه عقله ولا فهمه؟ كيف يوقظ من قام نام قلبه لا عينه وجسمه؟ ويحك تدارك أمرك قبل الفوت. أتنفع الاستغاثة؟ والسم قد وصل إلى القلب. إن الدرياق يصلح قبل اللسع.

لمن أحدث والقلب غائب. لمن أعاتب والفكر ذاهل. وآاسفا من ضرب الخراج على بلد خراب.. ويحك أجماد أنت أم حيوان؟ هذا الفهد على خساسة خلقه يصاد بالصوت الحسن. ومتى وثب على الصيد ثلاث مرات ولم يدركه غضب على نفسه. كم قد وثب على هواك مرة فلم تقدر عليه. فأين غضبك على التقصير.. هيهات ليس عند الطاووس إلا حسن الصورة. تفيق في المجلس لحظة ثم تذكر الشهوات. فيغمى عليك.. إن الغراب إذا سكر بشراب الحرص تنقل بالجيف. فإذا صحا من خماره ندب على الطلل. لما عزت نفس الببغاء زاحمت الآدميين في النطق. وهي تتناول بكفها من جنس مطاعمهم.

واعجباً لبهيم يتشبّه بالناس. ولإنسان يتشبّه بالبهيم!!

○ ○ ○ ○ ○

من غريب عجائب الاتفاق!!

والاتفاق يحصل في بعض الأمور التي يكون فيها بعض المتابعة غير المباشرة، أو بالطرف الخفي كما يقولون وفيه بعض العجائب التي تحدث من غير أن يشملها تخطيط هدفه الوصول إليها.

لكن من غريب عجائب الاتفاق أن تتحقق أمنية معينة أو شيءٌ مما يدور في مخيلة الإنسان وهو عليه أبعد ما يكون استحالة في الحصول عليه لأسباب لا تقبل متابعة الأمل فيها. بل يحول من دون التفكير فيها واقع لا تربطه بأي رابطة تُقرن بالأماني الواهية. فيجدها قد باتت في ملكه ومتناول يده..

ومثال ذلك ما جاء في كتاب «ذم الهوى» للإمام أبي الفرج عبد الرحمٰن بن الجوزي المولود عام ٥١٠هـ والمتوفى عام ٥٩٧هـ من أن أبا عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب البارع قال: حدثني أبو الجوائز الحسن بن علي الواسطي الكاتب قال: حججت في سنة من بعض السنين. فبينما أنا في الطواف لمحت جارية فلم أرَ كحسنها، فعلقها قلبي، فسألتها عن اسمها فقالت: اسمي نُعْم، وانتسابي إلى فَهْم.

فلم أزل أستمتع بالنظر إليها مدة إقامتنا بمكة، فلما فارقنا مكة لم أدرِ أيَّ صَوْبٍ سلكت، فقلت:

قل للظلوم ألا هَلُمِّي
للحكم إن أنكرت ظلمي

ومن البلية أن يبيـ
ـتَ حبيبُ جسمي وهو خصمي



أو أن يُرى نجمي وقد
ناديته مُغْرىً برجمي

خَوْدٌ تُصيب سواد قلبي
وهي للجمرات تُرمى

وكم التقت أنفاسنا
في حومة الحجر الأحم

عند استلام الركن آ
ونة وسُحبُ الدمع تُهمى

فمحوتُ ما سطرتْ فلا
ثمها على عمدٍ بلثمي

أثبتٍّ يوم النفر سهـ
ـمك في الفؤاد وطاش سهمي

قال: وازداد وجدي بها. وكلفي بحسنها فقال لي بعض من آنس به: لو تزوجت لسكنت ما بك، فتأبيّتُ عليه. ثم ملتُ إلى ما قال رجاء الإفاقة.. فاستعنت بامرأة على ارتياد امرأة أتزوجها. فجاءتني بعد أيام. فقالت: قد حصلت لك امرأة تلائم مرادك حسناً وبيتاً.. فاستحضرت وليّها وتزوجتها. فلم زُفّت إليّ تأملتها. فإذا هي صاحبتي. فقضيت العجب من حسن الاتفاق.

○○○○○

في الكتابة عن النبي لذة.
وفي قراءة سيرته ومدائحه متعة!!

وسر عذوبة وحلاوة ما يكتب عن رسول الهدى محمد ﷺ يكمن في أنه ليس للخيال فيه مجال. وإنما هي تجليات صادقة تفيض من قلوب مفعمة بحبه ﷺ فيعجز العلم عن حصرها. ويقصر البديع دون استكمال وصفها.

ولهذا فإن القارئ لا يجد ألذ من قراءة سيرته ﷺ، ولا أمتع من الوقوف على معجزاته التي تزيد المؤمن إيماناً على إيمانه بصدق نبوته.

ثم.. هل يجد القارئ إعجازاً وإيجازاً في أحاديث اشتملت على أدب الدنيا والدين معاً غير أحاديثه الشريفة التي ما من خير إلّا ودلتنا عليه. وما من شر إلّا وحذرتنا منه...

ولقد دلنا عليه الصلاة والسلام على الطريق الذي نسلكه في اتباع هديه ووصف أساليب الاستمساك بسنّته. وحدد لنا عليه الصلاة والسلام حدوداً نلتزم بها في إظهار محبته حتى لا يتمادى بنا الإطراء إلى حد الغلو الذي يخشى منه علينا أن نشركه في شيء من صفات الله. فنسلك بذلك سبيل الذي أطروا رسلهم فألهوهم فغضب الله عليهم.

وفصل الخطاب في هذا قول الله سبحانه وتعالى في الآية ٧ من سورة الحشر: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾. وقوله تعالى في سورة الأنفال الآية ٢٠: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾. وقوله



تعالى في سورة محمد الآية ٣٣: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

وحينما تستولى محبة الرسول على قلوب الشعراء يأتون بالمدائح التي تليق به عليه الصلاة والسلام.. ومن أولئك الشعراء الذين كان لهم مدائح فيه ﷺ الشاعر عبد الرحيم بن أحمد البرعي الميني الذي امتدحه بأكثر من قصيدة.. من بعضها هذه الأبيات التي جعل بداياتها «هو»:

هو أشرف العربين مجداً باذخاً
وأحقُّ من يعلو على الأمجاد

هو شمس عبد مناف العليا علت
مضر بنجدته على الأنجاد

هو جاوز السبع السماوات العلى
للعرش فيما صح من إسناد

هو في الجلالة قال سيده له
سل ما تحبُّ فأنت خير عبادي

هو خير من كمل الأناس به من الأ
بناء والآباء والأجداد

هو سيد الكونين والثقلين لا
شبه له في الغور والأنجاد

هو أكرم الكرماء إن عصفت به
ريح السّماح وأجود الأجواد

هو أحمد الهادي المجاهد والذي
يروي بكوثره الغليل الصادي

○○○○○

الكبر يحول دون منادمة الخلفاء وأولي الأمر!!

ونديم الخلفاء والأمراء والخاصة. لا بد أن يكون على درجة عالية من الثقافة والحذاقة والمعرفة والفطنة. والذكاء. وأن يكون متمتعاً بطلاقة اللسان وحيوية الحديث وحسن الإشارة. وما إلى ذلك مما يتصل بالشروط التي يجب توفرها في النديم كسلامة حاسة السمع.

ولكون هذه الشروط لا تتوفر فيمن يتولاه الكبر وتميل به عقود السنين إلى محطة الهرم، فإننا نجد من كانوا ندماء الخلفاء والملوك يقدمون اعتذارهم ويطلبون إقالتهم من مجلس المنادمة عندما تتقدم بهم السن.

يروى أن المتوكل أمر بأن ينادمه ابن الضحاك، واسمه: أبو علي بن الحسن بن الضحاك بن ياسر الخليع الأشقر «باهلي بالولاء»، وقيل: بالنسب، والمتوفى سنة ٢٥٠هـ فلم يطق الضحاك ذلك لكبر سنه، فقال للمتوكل بعض من حضر عنده: هو يطيق الذهاب إلى القرى والمواخير والسكر فيها، ويعجز عن خدمتك، فبلغ الضحاك هذا القول، فصنع أبياتاً ثم طلب إلى أحمد بن حمدون إيصالها، فأوصلها ابن حمدون إلى المتوكل، وشيّعها بكلام فيه اعتذار. قال فيه: لو أطيق خدمة أمير المؤمنين لسعدت بها. فقال المتوكل: صدقت. وأمر له بعشرين ألف درهم.

أما الأبيات التي صنعها فهي قوله:

أما في ثمانين وفيتها
عذيرٌ وإن أنا لم أعتذر



فكيف وقد جزتها صاعداً
مع الصاعدين بتسع أُخر

وقد رفع الله أقلامه
عن ابن الثمانين دون البشر[1]

سوى من أصر على فتنة
وألحد في دينه أو كفر

وإني لمن أُسراء الإله
في الأرض نُصْبَ صروف القدر

فإن يقض لي عملاً صالحاً
أثابَ وإن يقضِ شراً غفر

فلا تلْحَ في كبر هدّني
فلا ذنب لي أن بلغت الكبر

هو الشيب حل بعقد الشباب
فأعقبني خَوَراً من أشر[2]

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ثلاثة عشر بيتاً.

○ ○ ○ ○ ○

(١) يشير في ذلك إلى ما روي عن النبي ﷺ: «إذا بلغ العبد ثمانين سنة فإنه أسير الله في الأرض تكتب له الحسنات وتُمحى عنه السيئات».

(٢) الأشر: النشاط.

اللهم يا قوي ويا جبار اِحرمه الجنة وأدخله النار!!

قال صاحبي: ومما يروى من الحكايات الطريفة التي يجمع مدلولها بين التفكه والاعتبار: أن شخصاً زنديقاً ظالماً كان يقطع الطريق ويقتل الناس ويهتك الأعراض، قد مرض مرضاً شديداً فقال له أحدهم: هل نأتيك بقارئ ينفث عليك، فإن في القرآن شفاء، وكأنما هو يشير بذلك إلى قوله تعالى في سورة الإسراء الآية ٨٢: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ أو إلى قوله تعالى في سورة يٓس الآية ٥٧: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ فقال: ائتوني به. فجاءوا بقارئ كان يعرف سيرته ففتح صدر قميصه ونفث فيه وقال سجعاً:

الحمد لله ما تعاقب الليل والنهار. وما ناحت الأطيار. وما أمّ البيت من حجاج وعمار.. ثم نفث نفثة ثانية وقال: اللهم إنه قد عصاك. وضحك بمن والاك. وما رفع إليك يده يوماً فدعاك. ثم نفث في صدره نفثة ثالثة وقال: اللهم إنه مضر وضار. ومروع أهل البوادي والأمصار. فأرحنا منه يا قوي ويا جبار. واحرمه الجنة وأدخله النار.. قيل: فمات أثناء النفثة الرابعة، فغسّله رفاقه وكفّنوه ثم جاءوا به إلى المسجد ليُصلى عليه، فسأل إمام المسجد: من الميت؟ أذكر أم أنثى؟ فقيل له فلان، فأبى أن يُصلى عليه، فتقدم أحد المصلين الذين كانوا يعرفونه فوقف مكان الإمام، وكبّر، ثم قال بعدما بسمل: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥]. وأخذ يرددها بين جميع التكبيرات.

قلت: وهذه الحكاية تذكرني بقصيدة للشاعر محمود غنيم الذي أنكر فيها على قوم أقاموا حفلاً كرّموا به شخصاً سبّاباً شتّاماً نمّاماً يهجو الناس، ويمزق أعراضهم بلسانه، بل إنّ محموداً رمى أولئك الذين أكرموه بالجهل بمقامات الناس. يقول من تلك القصيدة:

فيما احتفالكمُ؟ وعلى ما
كرمتمو سبابة شتّاماً

عضب اللسان يكاد يهجو نفسه
ويجرّح الأخوال والأعماما

إن لم يجد حراً يمزق عرضه
أمسى كئيباً لا يذوق مناما

إن يأكل الناس الدجاج فإنه
أضحى له لحم الأنام طعاما

ما بين فكيه لسان سائل
منه الأفاعي تستعير سماما

بعد ذلك يذكر غنيم أنه قد علمه الشعر فعاد بلسانه العضب يهجو معلمه:

قد بات يهجوني ومنّي شعره
أنا الذي ألهمته إلهاما

أرأيت تلميذاً يعق معلماً
وذبابة قد هاجمت ضرغاماً

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ١٢ بيتاً وهما في ديوانه «رجع الصدى» ومنها هذا البيت:

لن يغفر المولى له أقذاعه
ولو أنه صلى وطاف وصاما

من أغرب الصدف

قرأت في كتاب «المعمرون» للسجستاني واسمه سهل بن محمد بن عثمان الجشمي المولود عام ١٦٠هـ والمتوفى عام ٢٤٨هـ: أن عبيد بن شرية الجرهمي عاش ثلاثمائة سنة في الجاهلية والإسلام، وقد أسلم وقدم على معاوية بن أبي سفيان. فقال له معاوية: أخبرني كم أتى عليك؟ قال: مائتان وعشرون سنة. قال: ومن أين علمت؟ قال: من كتاب الله. قال له: ومن أيّ كتاب الله؟ قال: من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الإسراء: ١٢]. فقال معاوية: وما أدركت؟ قال: أدركت يوماً في إثر يوم. وليلة في إثر ليلة. متشابهاً كتشابه الحذف يَحْدُوان بقوم في ديار قوم يكْذِبون ما يبيدُ عنهم ولا يعتبرون ما مضى منهم، حيّهم يتْلَف. ومولدهم يخلُف. في دهر قد تصرّف أيامه. تقلّبُ بأهلها كتقلُّبها دهرها. بينا أخوه في الرخاء إذ سار في البلاء. وبينا هو في الزيادة إذ أدركه النقصان. وبينا هو حُرّ إذ أصبح فيئاً لا يدوم على حال. ولا تدوم له حال، بين مسرور بمولود ومحزون بمفقود. فلولا أن الحيّ يتلف لم يسعهم بلدٌ. ولولا أن المولود يخلف لم يبق أحد.

قال معاوية: يا عبيد أخبرني عن المال أيّه أحسن في عينك؟ قال: أحسن المال في عيني وأنفعه غناء. وأقلّه عنا وأبعده من الآفة. وأجداهُ على العامة عين خرّارة في أرض خوّارة. إذا استودعت أدّت. وإن استحلبتها درّت فأفعمت. تعُول ولا تُعَال.. قال معاوية: ثم ماذا؟ قال فرس في بطنها فرس قد ارتبطت منها فرساً.

وقال معاوية: فأيُّ النعم أحبّ إليك؟ قال: النعم لغيرك يا أمير المؤمنين. قال: فلمن؟ قال: لمن فلاها بيده وباشرها بنفسه؟ قال معاوية: حدثني عن الذهب والفضة. قال: حجران إن أخرجتهما نفِذا وإن خزنتهما لم يزدا. قال معاوية: فأخبرني عن قيامك وقعودك؟ وأكلك وشربك ونومك وشهوتك للباءة. قال: أما قيامي فإن قمت فالسَّماء تبعد وإن قعدتُ فالأرض تقرب. وأما أكلي وشربي فإني إن جعتُ كلبتُ وإن شبعتُ بُهرْتُ. وأما نومي فإن حضرتُ مجلساً حالفني. وإن خلوتُ أطلبه فارقني. وأما الباءة فإن بُذِلَتْ لي عجزت وإن مُنِعَتْ غضبتُ. قال معاوية: فأخبرني عن أعجب شيء رأيته. قال: أعجب شيء رأيته. أني نزلتُ بحي من قضاعة فخرجوا بجنازة رجل من عُذرة يقال له: حُريث بن جبلة فجريتُ معهم حتى إذا واروه انتبذتُ جانباً عن القوم وعيناي تذرفان ثم تمثلتُ شعراً كنتُ رويته قبل ذلك.

يا قلبُ إنك في أسماء مغرور
أُذكرْ وهل ينفعنْك اليوم تذكيرُ

قد بحت بالحب ما تخفيه من أحد
متى جرتْ بك أطلاقاً محاضيرُ

تبغي أموراً فما تدري أعاجلها
خير لنفسك أم ما فيه تأخيرُ

فاستقدر اللّه خيراً وارضينّ به
فبينما العُسْرُ إذ دارت مياسيرُ

وبينما المرء في الأحياء مغتبطاً
إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصيرُ

حتى كأن لم يكن إلّا تذكرُهُ
والدهر أيَّةَ ما حالٍ دهاريرُ

يبكي الغريبُ عليه ليس يعرفه
وذو قرابته في الحيّ مسرورُ
وذاك آخر عهد من أخيك إذاً
ما المرء ضمّنه اللحد الخناسيرُ

والخناسير: جمع خنسير ويقال: الخناسرة وهم الذين شيّعوا الجنازة. قال عبيد لمعاوية: فقال رجل إلى جانبي يسمع ما أقول: يا عبد الله من قال هذه الأبيات؟ قلت: والذي أحلف به ما أدري إلّا أني قد رويتها منذ زمان. قال: قائله الذي دفناه آنفاً. وإن هذا ذو قرابته أسر الناس بموته وإنك للغريب الذي وصف تبكي عليه. فعجبت لما ذكر في شعره والذي صار إليه من قوله كأنه كان ينظر إلى موضع قبره. فقلت: إن البلاء موكل بالمنطق.

○ ○ ○ ○ ○

المدن تمتص القرى لكنه يبقى لها ذكرى

يقولون ـ وهو قول صحيح ـ: المدن تمتص القرى، وهم يعنون بذلك السكان أي أن سكان القرى المجاورة للمدن يتحولون إلى المدن حيث التجمع السكاني والكثافة التي تتطلب تنوُّع مصادر المعيشة، فتحصل الحيوية والحركة والازدهار واتساع العمل واستقطاب الأعداد الهائلة من العمال.

ولو لم يكن هناك امتصاص لما كان هناك فارق في عدد السكان بين المدن والقرى، ولما كان هناك فارق في حركة الأسواق التجارية والنشاطات المعمارية بينهما.

أما القرية فهي تعتبر من حيث الأمن الغذائي المصدر الرئيسي للمدينة، لا من المحصول الزراعي فحسب بل من المنتوجات الرعوية كالأغنام والأبقار والإبل وغير ذلك مما تحتاجه المدينة من لحوم وغيرها.

ولقد كانت حياة القرية في الزمن السابق حياة كلها شقاء وكد ونصب إذا ما قورنت بالحياة في المدينة التي كلها رفاه ورخاء ورغد عيش وتنعم..

أما اليوم وقد اتصلت القرية بالمدينة اتصالاً وثيقاً ومباشراً يتمثل في الطرق التي تربط بينهما والتماثل في توفر وسائل الاتصال البريدية والهاتفية وغيرها من الخدمات التي توفر سبل الراحة مثل الكهرباء والبث الإذاعي والتلفزيوني، فإن الحياة قد تكون أهدأ وأريح بالاً وأوفر راحة نفسية.

ولا أستبعد أن تكون القرية اليوم هدفاً لكل طامع في الراحة.. وليس أدل على ذلك من ملاحظة ميل الفئات الخاصة من الناس ورجال



الأعمال إلى العودة إلى قراهم، بل إن أكثرهم يخطط لذلك عندما يتقدم في السن أو يحال إلى المعاش، حيث إنه لا يجد أهْدَأَ مِنَ القرية وأصفى من جوها، بل إن الذكرى تعود به إليها.

وكم نظم الشعراء من القصائد التي لا تخلو من التوجد ومن الذكريات الجميلة التي لا تمحوها حضارة المدينة.. من ذلك قصيدة الشاعر محمد حسن العمري التي جعل عنوانها «القرية» منها قوله:

وقفتُ بها مسترسلاً في التأمُّلِ
فأحسستُ من فرط الجوى بالتّعوّلِ

وقفتُ بها مثل الغريب مسلماً
عليها فما أنكرت أهلي ومنزلي

لقد كاد قلبي أن يذوب صبابة
مع أنّه أعجوبةٌ في التجمل

وقد عشت في أهلي وبين عشيرتي
صبوراً على الأحداث غير مدلل

ولكن أشجان الليالي تزاحمت
أمامي فجئتُ اليوم كالمتوسل

أناجي حصاها مغرماً بترابها
ومستغرقاً في حبها المتأصل

أناجي بأشواق المحبين قريتي
وإن ظهرت لي بالرداء المهلهل

أدين لها بالحب قلباً وقالباً
وفاء ودَيْنُ الحرّ غير مؤجل

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ نحواً من ٢٩ بيتاً.

كفي الملام وعلليني!!

كنا مجموعة ضمن مجلس في أحد أركانه مذياع ينقل إلى أسماعنا برنامجاً اسمه «ما يطلبه المستمعون» وصدفة كان الطلب منصباً على أغنية عنوانها «كفي الملام وعلليني» وبعد أن سرد المذيع أسماء طالبيْ الأغنية. انطلقت الموسيقى وأخذ المطرب الذي لا يحضرني الآن اسمه. يتغنّى بجملة أبيات استهلها بـ «كفى الملام وعلليني» فأنصتنا لسماع كلمات الأغنية التي كلها تظلم وبوح بما يعايشه شاعرها من حرمان وبؤس وشقاء.

وبعدما انتهى المطرب، دار الحديث حول الأبيات التي تشكلت منها الأغنية، وحصل اتفاق فيما بيننا على أنها وليدة معاناة، وأن شاعرها يعيش عيشة همّ ونكد، ويحيا حياة كلها ضيق وحسرة.

ثم برز سؤال عمن قالها؟ فأخذ كل ينسبها بالظن إلى شاعر يعرف أنه قد عاش عيشة ضنكاً ولم يجزم أي منهم على نسبتها إلى شاعر معين.

ثم امتد الحديث إلى مناقشة الأبيات التي تغنّى بها ذلك المطرب، وصيغت في لحن جميل يطرب الأذن ترجيعه وتنغيمه، وقد حصل الاتفاق على أن الشاعر قد أبدع في صنعها وأحسن الربط بين كلماتها، ومهر في بنائها، وتفنن في إيداع مشاعره فيها، وأجاد في وصف معاناته وبؤسه.

ولعدم التأكد أو الجزم على نسبتها لأحد الشعراء أخذتُ في البحث عن قائلها، فوجدت بلا تعب وبلا مشقة أن قائلها هو الشاعر



فهد بن صالح العسكر المولود عام ١٩١٧م في الكويت والمتوفى في الكويت عام ١٩٥١م، وأن ما سمعناه مغنًّى هو أبيات استهل بها الشاعر العسكر قصيدة طويلة تبلغ نحواً من ٦٨ بيتاً أفرغ فيها شجوناً يهتز لها الضمير حيث أكثر من لوم قومه الذين تقاعسوا عما هو واجب عليهم.
أما الأبيات المغناة فهي:

كُفي الملام وعلليني
فالشك أودى باليقين

وتناهبت كبدي الشجون فـ
من مجيري منْ شجوني

وأمضني الداء العياء فـ
من مُغيثي مَنْ مُعيني

أين التي خلقت لتهوا
ني وباتت تجتويني

أماه قد غلب الأسى
كُفِّي الملام وعلليني

اللّه يا أماه فيّ
ترفقي لا تعذليني

أرهقت روحي بالعتا
ب فأسكتيه أو ذريني

أنا شاعر أنا بائس
أنا مستهام فاعذريني

○○○○○

وصفة طبية لعلاج البؤس والفقر والحرمان

ما اجتمع على إنسان بؤس وفقر وحرمان إلا نفد تصبره عليها وباح بسوء حاله وأذن للناس بعرض واقع أمره في صورته المؤلمة، وأصبح حديثاً تتناوله الألسن بألفاظ تتحنن عليه، وعبارات تتلطف به، لكنه ليس لها من متلقى يمسح الدمعة، ويزرع البسمة.

وإذا ما حملنا تعاسة ذلك الإنسان واشتداد فقره على سوء حظه فإن أقل ما نصف به حظه أنه يسير في طريق معاكس لاتجاه الحظوظ التي تسعد أصحابها، وتجعلهم في بحبوحة من العيش.

وقد يتجاهل ذلك الإنسان أسباب انهزامه وإخفاق حظه، بل قد يخادع نفسه بأنه مصاب بمرض من الأمراض، فيلجأ إلى الطبيب ملتمساً عنده دواء لمرضه، لكنه عندما يسأله الطبيب عن الأعراض التي يمكن أن يتوصل عن طريق معرفتها إلى تشخيص الحالة المرضية المسببة للألم والداعية إلى الشكوى فإنه لا يجد بداً من وصف حالته وعرض واقع أمره.. وذلك مثل ما عرض الشاعر أحمد الصافي النجفي الذي عاش عيشة البائسين، فتقاول مع الطبيب الذي ظنه مريضاً تقاولاً صاغه في أسلوب شعري مؤثر، منه قوله:

قد رآني الطبيب يوماً نحيلاً
ولحالي يرق قلب القاسي

قال من أي علة أنت تشكو؟
قلتُ: أشكو من علة الإفلاس

قال: إن الإفلاس أصبح داء
مزمناً فيك عنه يعيا الآسى





قلت: بالله داوني فسأقضي
إن تُبنْ لي بأساً بداء الياس

وعلى لسان حال الطبيب جاء الجواب في قوله:

قال: هون عليك عندي دواء
خذه إن لم تجد به من باس

أكثر الشرب من دماء غني
واختر الشرب من دماء الراس

أو فلقح هزيل كيسك يوماً
بدم من سمينة الأكياس

ذاك عندي دواك خذه وأرجو
أن ستشفى بإذن رب الناس

والحقيقة أن هذا حوار قد ولد كما يبدو وصفة طبية ليست من الأمصال ولا من جميع أنواع العقاقير.. لكن الالتزام بتطبيقها لا يقدم عليه عاقل.. بل لا يدور في خلده صحة جدواها.

○ ○ ○ ○ ○

من الإذاعات ما يجعل القرآن ستاراً..!

والذي يتتبع افتتاحيات معظم الإذاعات الموجهة باللغة العربية يجد أنها تفتتح بآيات من الذكر الحكيم، وبعض الناس يسلم بنزاهة تلك الإذاعة على اعتبار أنها افتتحت برامجها بالقرآن الكريم، وأن أي عمل يفتتح به القرآن الكريم لا بدّ أن يكون موصولاً بروح القرآن ومتمشياً مع آدابه وتعليماته، بينما الواقع يتعارض تماماً مع ذلك الاعتقاد، وبعيداً كل البعد عن تصور الأهداف والمقاصد.

لكن الذي يتابع برامج تلك الإذاعات يتبيّن له أن الافتتاح بالقرآن ما هو إلا خداع وتضليل، وتغطية لما يتخلل البرامج من مواد يقصد بها إفساد العقيدة والتشكيك في الأصول ومبادئ الإسلام.

ولا ننسى أن القائمين على تلك الإذاعات يتمتعون بذكاء يحاربون به الإسلام وأهل الإسلام.

ومن صور تلك المحاربة أنهم يجعلون القرآن ستاراً يصوبون من خلفه سهاماً يصبونها تصويباً دقيقاً وبكل براعة وفنية فتصيب بإحكام قلوب الأمعيين، وأشباههم من المسلمين، فتدوم منهم المتابعة بكل شغف لجميع البرامج.

ولقد نبّه إلى هذه الظاهرة كثير من الكتاب والشعراء، أمثال أحمد الصافي النجفي الذي يقول من قصيدة له عنوانها «الإذاعات»:

ما من صحيح سوى القرآن نسمعه

من الإذاعة يهدينا مُرتّله



هذا هو الصدق بين الكذب نسمعه
هذا هو الحق يمحو البطل مُنزله

محصّن يضاء من مهابته
فزائف القول.. لا يأتي فيدخله

لو نستطيع لأدخلناه دعوتنا
كنا نحرفه. كنا نبدّله

لكن تركناه ستّاراً فضائحنا
فما نشوّه من نطق يُجمّله

نذيع في ظله هذا الحق باطلنا
لم ندر أن إله الخلق يُبطله

إذا تلوناه فالآيات تلعننا
لو أننا حينما نتلوه نعقله

هذا الكلام الذي للعقل يرشده
من الإذاعة والباقي يضلّله

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ عشرين بيتاً وقد ضمها ديوانه الموسوم بـ «الشلال».

○○○○○

التحكم في صناعة الشعر!!

والشعراء الفحول أو فحول الشعراء يكون لهم إبداعات متميزة ولمسات فنية، ومفردات يسمون بها أشعارهم، كيف لا ونحن نجد في أشعارهم صناعات ذات طابع مميز يقف دون مجاراتهم فيه الشويعر، والمتشاعر حيث يأتون بكل عجيب وغريب في الصياغة والبناء.

ولقد عشق كبار الشعراء الذين جاءوا بعد فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة أبي العلاء المعري الذي ألزم نفسه بما لا يلزم في الشعر من حيث القافية.. أقول: لقد عشقوا فيما يظهر لي تلوين صناعاتهم الشعرية فأخذ كثير منهم يميل إلى الإبداع القائم على الالتزام الذي يوصف بفنية صناعة الشعر وصياغته في قوالب متميزة لأمرين: الأول: إظهار المقدرة على استخدام المرادفات، وإثبات التبحر في اللغة. والثاني: تطعيم أشعارهم بقصائد ذات نظام والتزام لا يشترط فعله في بناء القصائد بصفة عامة.

ولهذا نجد أن بعضهم قد صنع أكثر من قصيدة ذات بناء متميز، وذلك كأن يجعل بدايات الأبيات سائرة على الحروف الأبجدية أو الهجائية أو أن يجعل أبياتها مزدوجة أي يجعل صدر البيت وعجزه على قافية واحدة، أو أن يجعل بداية البيت متمشية مع قافيته فإذا كانت القافية ـ همزة ـ مثلاً جعل أول كلمة في البيت تبدأ بالهمزة وهكذا.

ولو أردت سياق نماذج لهذه الفئات التي لا تتأتى إلى الشاعر متمكن لضاق بها المجال هنا. ولكن أسوق على ذلك مثالاً من إحدى قصائد الشاعر فتيان الشاغوري واسمه أبو محمد فتيان بن علي



جمال الدين الأسدي المولود عام ٥٣٠هـ والمتوفى عام ٦١٥هـ.

وهي قصيدة تائية جعل أول حرف من كل كلمة يبدأ بها كل بيت - تاءاً - لتوافق القافية وذلك مثل قوله عن تلك القصيدة:

تألّت على قتلى سُليمى وولّتِ
وقد أقطعتْ قلبي الهموم وولّتِ

تجنّتْ ومن ذاك التجنّي جُننتُ في
م الهوى ليتها لمّا جَنَتْ ما تجنّتِ

تمنّتْ على اللّه الجمال بأسره
فقد بلغت من ربها ما تمنت

تراءت لنا كالشمس جاءت بحاجب
وبالحاجب المحجوب بالسّر ضنت

تصدُّ وتبدي عن أسيل وتتقى
بناظرتي وسنان من وحسن وجرة

تُريك غزالاً والغزالة وجهها
وتعطو بجيد الشادن المتلفّت

تُميتُ وتُحيي بالصدود وبالرضى
فحسبي رضاها فهو ناري وجنتي

تميس إذا ما حركتها صبا الصبا
تأوّدَ خوطُ البان في حقف رملة

○○○○○

هل صحيح أن الوزير المهلبي
دخل مصر غنياً وخرج منها فقيراً؟!!

روى الوزير بهاء الدين أبو الفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن منصور بن عاصم المهلبي لصديق له من بغداد. كان قد أتى مصر بتجارة عظيمة فأقام إلى أن نفد جميع ما معه واستحال غناه إلى فقر وسوء حال. روى قصة له في أبيات من الشعر تضمنها ديوانه المطبوع عام ١٣١١هـ بالمطبعة الأزهرية بمصر مفادها أنه دخل مصر ومعه عشرون حمل حرير وشيء كثير من اللآلئ والجواهر والعبيد:

دخلـــلـت مـــصـــر غـــنـــيـــاً
ولـــيـــس حـــالـــي بـــخـــافـــي

عـــشـــرون حـــمـــل حـــريـــر
ومـــثـــل ذاك نـــصـــافـــي

وجـــمـــلـــة مـــن لآلـــي
وجـــوهـــر شـــغـــاف

ولـــي مـــمـــالـــيـــك تـــرك
مـــن الـــمـــلاح الـــنـــظـــاف

ولكن ما الذي حدث له يا ترى؟ بعد أن دخل مصر بتلك التجارة الرابحة.. لقد حدث ما لم يكن في حسبانه إذ فقد جميع أمواله، لأنه بسط كفه وأخذ ينفق ويعد كل يوم مائدة عليها لحم الخراف، وكل ما لذّ وطاب من المأكولات.

فرحت أبسط كفي
وبالجزيل أكافي

وكل يوم خوان
من الجدى والخراف

وهذا البذخ والإسراف في الإنفاق الذي ربما كان له دوافع وأسباب لم يفصح عنها الوزير المهلبي قد حوله إلى فقير يرثي لحاله.. وقد ضاق ذرعاً من بقائه بمصر وأخذ يفكر في الخروج منها بجلده.. لكن الخروج يتطلب نفقات ومصروفات فعمد إلى بيع أثمن ما كان محتفظاً به:

فبعتُ كل سمين
معي من الأصناف

وما اكتفى ببيع كل سمين معه بل استدعى الموقف البئيس، والحالة السيئة بيع فراشه الذي كان يرقد عليه والمتمثل في طراحته ولحافه.

واستهلك البيع حتى
طراحتي ولحافي

والحقيقة أن هذا الأسلوب لا يخلو من الخيال المجنح الذي يبتعد عن الحقيقة بأسلوبه الوصفي. ويقترب من القصد به تخفيف وطأة الإفلاس الذي مُنِيَ به صديقه البغدادي.

فكأنما هو ذلك الصحيح الذي زار مريضاً وقال له: لقد أصبت منذ وقت بمثل مرضك هذا وشفيت منه، بينما هو لم يصب بأي مرض، ولكنه قال ذلك ليبعث في المريض روح الأمل بالشفاء، وليخفف عنه ألم المرض، من زاوية نفسية. ليس. إلّا.

هل في هذا الرثاء ما يفرض اللجوء إلى الكنى؟!

إني لأعجب حينما لا أقرأ رثاء في النساء اللائي يتوفين وقد خلفن أثراً طيباً وولدن رجالاً يشار إليهم بالبنان.. وكأنما رثاءهن فيه منقصة على الشاعر أو كأنما ذكر أسمائهن في شعر الرثاء فيه ما يعيب على الشاعر أو يثير سخط محارمهن.

ووالله إن هناك نساء يوافيهنّ الأجل.. هن بالمقارنة ببعض الرجال الذين ينالون شيئاً من التأبين والرثاء أحق وأجدر بالرثاء والتفجع عليهن.

ونحن حينما نلقي نظرة على بعض الجوانب الاجتماعية المتعلقة بحياة بعض الرجال نجد لبعض النساء فيها دوراً مهماً وفاعلاً. فكم من رجل يضرب به المثل في الكرم والجود والمواقف الإنسانية التي يشاد بها. ثم إذا ماتت زوجته خوت فيه جميع تلك الخصال بل ربما استبدلها بالبخل واللئامة وسوء الخلق. وهذا يعطي الدليل القاطع على أن زوجته كانت هي التي جعلت منه ذلك الرجل ذو الخصال الحميدة.. أفليست هذه المرأة أحق بالرثاء من زوجها؟ بلى والله!!

وبعيداً عن تلك الصورة.. أعرض موضوعاً رثائياً جاء في أسلوب شعري مغلفاً بالتستر على اسم المرثي. بل إن الراثي لم يذكر اسمه، وعمد إلى استخدام الكنىٰ في التوطئة التي جعلها لتلك المرثية حيث قال: فجع الصديق الوفي أبو محمد بوفاة زوجته أم عبد الرحمٰن وإني لأشاطره الأسى في فقدها وأسأل الله أن يتغمدها بواسع رحمته وأن يجزل لذويها الأجر ويمنحهم الصبر. ولقد كان لدموع أبي محمد أثرها العميق في نفسي ونفوس جميع أصدقائه.. ثم أدرج في هذه الرسالة

قصيدة رثائية ذيّلها بتوقيعه «أخوك أبو منصور» وكما تقدم الموضوع كلها مكنّى. أما القصيدة فمنها قوله:

تعزّ إذا ألمّ بك اكتئاب
ولا تجزع وإن عظم المصاب

فإني قد علمتك ذا ثبات
وإيمان به شهد الصحاب

وما يوماً عرفتك مستكيناً
تخاف من الحوادث أو تهاب

وفقد خليلة خطب جليل
به للزوج - يا عبد - العذاب

وكيف وقد رعته فتى قوياً
وشيخاً عندما ولى الشباب

وكم من زوجة حفظت فتاها
وكان بها له الرأي الصواب

وكم منعته من درب الخطايا
فشُدّ بوجهه للإثم باب

وتعذر حين يحزنك افتراق
طويل لا يكون له إياب

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ أربعة عشر بيتاً. وقد قرأتها في جريدة «الجزيرة» العدد ٧٦٠٩ يوم الخميس ١٠ صفر سنة ١٤١٤هـ.

○ ○ ○ ○ ○

لسع البق ينسي العاشق معشوقته والبطل مخاصمه!

يقول الشاعر العراقي خيري الهنداوي المولود عام ١٨٨٥م والمتوفى سنة ١٩٥٧م في قصيدة له كان الباعث على قولها هجوم البعوض عليه حيث أدمى جسمه وامتصّ دمه، وجعله في موقف يشهر فيه ضعفه أمام هذا المخلوق الضعيف وقد وصف الهنداوي فعل البعوض به وصفاً حياً في تلك القصيدة التي وجهها إلى أمين خالص أحد كبار رجال الإدارة وذلك بقوله:

البق يا مولاي أدمى جبهتي
القرقس الملعون أحرق أرجلي

ويعظم شأن هجوم البق عليه، ويهوّل موقفه منه تهويلاً لو أن امرئ القيس ـ رب عنيزة ـ واجهه لما تغزّل في محبوبته عنيزة ونسيها بداره ـ دارة جلجل ـ:

لو مرّ رب عنيزة في ليلة
لنسي عنيزته بدارة جلجل

ولا يكتفي الهنداوي عند تصوره انهزام امرئ القيس أمام ذلك البعوض بل ذهب إلى أنه لو هاجم جساساً لاستسلم لخصمه ـ المهلهل ـ:

ولو أن جساساً لقى بعض الذي
ألقى لأسلم نفسه لمهلهل

ويمضي الشاعر الهنداوي في ذلك التهويل الذي يهون عنده كل شيء بل إن وقعه وما يخلفه في الجسم من أثر دموي يحتّم هجاءه بهجاء يفوق في قسوته هجاء الحطيئة:



ولـو أن حــسـانـاً أنـاخ بـمـربـعـي

بعد ابن مارية الكريم المفضل

لـهـجـاه مـنـتـفـضـاً عـلـى آلائـه

مـتـقـمـصـاً روح الـحـطـيـئـة جـرول

لا مــن قــرى لـكــن أذى وتــألــمــاً

في النفس مطعمه كطعم الحنظل

ويزيد من تصوير القلق الذي يلاقيه من البعوض فلا يستطيع معه الهجوع في الفراش أو التلذذ بالنوم:

رفض الدجى لا يستقر بمضجعي

جنب. وعيني بالكرى لم تكحل

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ نحواً من ثمانية عشر بيتاً مزج فيها الهزل بالجد فهي لا تخلو من الطرافة والحكمة، بل إن فيها من التذمر ما فيها وذلك مثل قوله في أحد أبياتها:

مـا أنـصـفـتـني الـحـادثـات بـبـلـدة

عرفت مقامي في الملم المعضل

○○○○○

الحطيئة يروي قصة كريم من كرماء العرب!!

والذي يقرأ تاريخ الأدب العربي يجد فيه حكايات وقصصاً ممتعة.. وقد تكون تلك القصص من نسج خيال مؤلفها، أو من مشاهدة حقيقية لواقع الحال.

والحكايات التي تترجم الحياة في الصحراء تكون أشد متعة لقارئها بل إنها لتفرض عليه متابعة قراءتها لمعرفة ما ينتهي إليه أبطالها.

والعرب الرحل في صدر الإسلام وقبله كانوا يمثلون في عصرنا هذه الوسائل الإعلامية إذ أنهم ينقلون أخبار الأحياء التي يمرون بها إلى كل مكان يصلون إليه. والناس يتلقون منهم الأحداث، بل ينصتون لسماع فصول الحكايات والقصائد التي يروونها للشعراء المشهورين..

ومن أجمل ما نقله الرواة من القصائد آنذاك قصيدة للشاعر الحطيئة واسمه جرول بن مليكة العرب..

ولو أن الحطيئة ذكر اسم من أشار إليه في القصيدة لما شك في أنها من نسج خياله وتجليات أفكاره التي أراد بها تصوير الكرم المثالي للإنسان العربي الذي طبع على الكرم والوفاء والأمانة.

وملخص القصة في القصيدة: أن رجلاً بات هو وزوجته وأولاده الثلاثة طاوين الضلوع على الجوع ثلاثة أيام لا يجدون ما يأكلون:

وطاوي ثلاث عاصب البطن مُرْمل

ببيداء لم يعرف بها ساكن رَسْما

ومع هذه الشدة نزل به ضيف، فازدادت شدته شدة.. لكن أحد



أولاده لما رأى حيرة أبيه عرض عليه أن يذبحه ويقدمه للضيف:

فـقــال ابــنــه لــمــا رآه بــحــيــرة
أيا أبت اْذبحني وهيء له طُعْما

وبينا هو يراود نفسه في ذبح ابنه عرض بقر وحشي وارداً إلى ماء كان حولهم:

فبينما هما عنّت على البعد عانة
قد انتظمت من خلف مسحلها نظما

عطاشا تريد الماء فانساب نحوها
عـلـى أنـه مـنـهـا إلـى دمـهـا أظـمـا

فـأمـهـلـهـا حـتـى تـروّت عـطـاشـهـا
فـأرسـل فـيـهـا مـن كـنـانـتـه سـهـمـا

فخرت نحوص ذات جحش سمينة
قد اكتنزت لحماً وقد طبقت شحما

فـيـا بـشـره إذ جـرهـا نـحـو قـومـه
ويا بشرهم لما رأوا كلمها يدمى

وباتوا كراماً قد قضوا حق ضيفهم
وما غرموا غُرماً وقد غنموا غُنماً

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ نحواً من أربعة عشر بيتاً، وفي قراءتها متعة تتجلى في مقدرة الشاعر على تصوير تلك القصة المثيرة.

○○○○○

تجربة في قول الحكمة!!

اشتقت في يوم من الأيام إلى أسلوب رواد الحكمة وتعبيراتهم الموجزة. فقلت في نفسي: لما لا أستحكم مثلهم. فلعلّي أوصف في يوم ما بالحكيم.. وطاوعت نفسي الأمّارة. وتناولت القلم والورق فسوّدت هذه الأقوال وبيضتها على وجه السرعة. وأغفلت مقارنتها بما قاله الحكماء خوفاً من أن تفرض عليّ المقارنة تمزيقها. وهذه هي أقوالي:

- اضحك في وجه كل من تقابله؛ فإنك إن لم تكتسب بها محبة الناس، فلن تخسر شيئاً.
- اجعل نظرك بين قدميك إذا مررت بباب جار. تفوز بثنائه عليك.
- المحافظة على الشيء يعني استمرارية الاستفادة منه.. وحبة القمح إذا بذرتها وهي في حالة جيدة أنبتت عدة سنابل.
- أن تشتري ما تحتاج إليه تجد من يشتريه عندما تحتاج إلى قيمته.
- عندما يدق جرس الساعة فإنه يذكرنا بقول الشاعر: «إن الحياة دقائق وثوان».
- تذكّر أنك إن لم تحذر عند ربط ورقتين أو أكثر من القرطاس بمسمار صغير ـ دبوس ـ أدمى إصبعك.
- عندما يقول لك أحدهم: خذ، فلا تستبطئ أن يقول لك: هات.
- طول الأمل يجعل بعض الناس وأغلبهم يستبعد إذا رأى قبراً أنه سيكون نزيله في يوم من الأيام.



- إن نزع ورقة من التقويم لا تكلف شيئاً، لكنها شيك يصرفه الزمن من رصيد أيامك.
- السائق المثالي هو ذلك الذي يمتثل لضوء إشارة المرور حتى وإن كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل.
- الإنسان الذي يغلب الهزلُ الجدَّ عنده قد يستفيد منه مرة واحدة لكنه لا يستبعد أن يقع بسببه أربع مرات لأن تسعين بالمائة من الناس لا يقبل التعامل إلّا بالجد.

وبعد فتلك أقوال ربما توجد فيها رائحة الحكمة، وإن كانت غثة فلعلّي أمحو أثرها من نفسك أيها القارئ العزيز ببعض من شوارد الأبيات التي تقطر حكمة وتفيض بلاغة وذلك مثل قول أبي حيان التوحيدي صاحب المؤلفات العجيبة التي منها «البصائر والذخائر».

وقد يجزع المرء الجليد ويبتلى
عزيمة رأي المرء نائبة الدهر

تعاوده الأيام فيما ينوبه
فيقوى على أمر ويضعف عن أمر

ومثل ما جاء في كتاب طاهر بن الحسين إلى إبراهيم المهدي:

ركوبك الهول ما لم تلق فرصته
جهلٌ رمى بك بالإقحام تغرير

أهونْ بدنيا يصيب المخطئون بها
حظ المصيبين والمغرور مغرور

فازرعْ صواباً وخذ بالحزم حيطته
فلن يذم لأهل الحزم تدبير

فإن ظفرت مصيباً أو هلكت به
فأنت عند ذوي الألباب معذور

وإن ظفرت على جهل ففزت به
قالوا: جهولٌ أعانته المقادير

ومثل قول ابن المخارق:

ومن ينصف الأقوام لا يأتي قاضياً
وكل امرئٍ لا ينصف الناس جائر

○ ○ ○ ○ ○

نقد النقد!!

منذ أن عرف النقد كفن من فنون الأدب، وهو يقابل بوجهين متضادين أحدهما يستقبله باسماً مشرقاً متهللاً، والآخر يصد عنه صدوداً متهجماً غاضباً.. وكل منهما يدّعي أنه على صواب في موقفه من النقد.

والحقيقة أن واقع حال النقد يقوم على شخصية الناقد وما هو عليه من مذهب فكري ومسلك أدبي، وإدراك عقلي.. فهو إما أن يكون ذا منطق فلسفي يجعل من نقده مرآة صادقة تعكس حقيقة الأفكار التي ارتكز عليها الموضوع الذي يتولى نقده بأسلوب نزيه ومتجرد من جميع الأغراض الشخصية.. وإما أن يكون محابياً ومجاملاً لصاحبه بحكم صداقة، أو قرابة، أو خضوع لمنفعة أو هبة منتظرة.. وإن لم يكن هذا ولا ذاك، فإنه لا يستبعد أن يأتي نقده عشوائياً يفتقر إلى روح الأدب، وإلى عمق التفكير، أو يأتي في أسلوب هجومي هو للهجاء أقرب منه إلى النقد حيث ينقصه التجرد ويدعمه الميل إلى حب الشهرة والظهور على مسرح الأدب باسم ناقد بأي طريقة كانت.

والناقد الذي لا يتمتع بأخلاق النقد الفاضلة ومبادئه السامية، يأتي نقده وهو في حاجة إلى نقد يحقق عدم واقعيته، ويظهر معائبه.

وإذا كان لا بد من الإشارة إلى مستوى النقد في عصرنا فإن واقع الناقد يترجم عدم تجرده ويبرز سطحيته، ويثبت ضعف مسلكه الفكري في النقد وعدم عمق تفكيره الثقافي... ولقد حصل من بعض الشعراء إيماءات وإشارات إلى مفهوم تأثير مستوى الناقد المعاصر.. أكتفي منها



في هذا الموضوع بذكر أبيات للشاعر المصري المعاصر محمود غنيم المتوفى عام ١٩٧٢م، وهي قوله:

أعددتُ للنقاد صدراً لم يضق
يوماً بمنتقد فسيح رحابه

أجدى على الفنَّان من إطرائه
نقدٌ يبصره بموضع عابه

إن تنقُدِ الفنان تُرهف حسه
وإذا أردت له الكلال فحابه

ولقد أفضل ناقداً متحاملاً
عن جاهل يشتط في إعجابه

والنقد يجني ورده من شوكه
غضاً ويعصر شهدهُ من صابه

وقوله منها:

ما سار ركب الفن في ملكوته
إلا وسار النقدُ خلف ركابه

ما أحرز الفن الرفيع تقدماً
إلا وكان النقدُ من أسبابه

وأحق نقَّاد بصفع قذاله
من راح يخلطُ نقده بسباله

والقصيدة طويلة جداً فهي تبلغ ٥٤ بيتاً وقد ضمها ديوانه «رجع الصدى».

○○○○○

ما مدى صحة قولهم في عزلة حسين سرحان!؟

تواترت الأخبار الصحفية عن عزلة حسين سرحان.. وكثرت الأقوال في انعزاله عن الناس. لكن الواقع بخلاف ما قيل من ناحية مفهوم العزلة، لأن صحة اعتزاله جاءت من طريق عدم رغبته في تسليط الضوء الصحفي عليه، فكان لا يرغب في أن تُجرى معه مقابلة صحفية، ولا أن يكتب للصحافة شيئاً من أعماله الشعرية والنثرية إلّا ما كان نادراً، لأنه قد رأى أن الصحف لم تعد لسان حال المجتمع ولا وعاء للأدب الذي يعرفه ويرغب في قراءته على صفحات الصحف ففضل اعتزالهم اعتزالاً ينبئ عن انتقادهم، وذلك بدليل أنه إذ أحسّ من أحدهم بأنه أديب ومفكر وله قلم جيد تفاعل معه واستقبله، واستجاب لطلبه. وهذا المنهج جعل بعض المستصحفين يطلق عليه صفة المعتزل، لكن واقع حاله الاجتماعية تنافي ذلك تماماً حيث ثبت أنه كان له من قبل عشرين سنة غرفة تطل على مدخل منزله يرى منها القادمين من أطراف مكة المكرمة فيستدعيهم بدواً وحضراً ويقيمون في ضيافته أياماً. وهذا الفعل يناقض تماماً قولهم في اعتزاله يضاف إلى ذلك أنه في السنوات الأخيرة كان يشارك جماعته في حضور بعض المناسبات والولائم فأين العزلة من هذا المنهج الاجتماعي؟.. وإن نحن فسَّرنا العزلة بجنوحه إلى الانطواء أحياناً وإلى الخلوة الجزئية التي يظهر فيها عدم رغبته في مجالسة كثير من الناس في كثير من الأحيان فإننا نرد ذلك إلى حالة نفسية ارتشفت من الكآبة الممزوجة بشيء من البؤس والحرمان ما ارتشفته بسبب موت ثلاثة من أبنائه وبسبب عدم بقائه عند والده سني طفولته، إذ يحقق بأن الذي قام على كفالته هو جده لأمه عبيد سرحان. أضف إلى ذلك عدم تقييم أدبه وتكريمه من قِبَل الوسط الأدبي. ولهذا فهو في نظري

كئيب قد ألبسه البؤس ثوباً من المعاناة التي أحدثتها في نفسه الأسباب الثلاثة التي ذكرتها، فصار يفضل الخلوة بنفسه أياماً ليبوح عما في نفسه بشعر أو نثر تفرض عليه تجلياته أن يعتزل الناس مدة يتشفّى فيها بما يسجله على الورق من خواطر يترجم فيها أسباب كآبته، ليس إلّا... وواقع الحال الذي ينفي عزلة سرحان قد ترجمه الشاعر عبد الله محمد جبر في جزء من قصيدة رثاه بها، حيث يقول في ذلك الجزء:

مررتُ على الدار التي غاب شيخها
وكانت به فوق المجرة ترتفعْ

كأني أراه يلبس الصبر والرضا
على كل حال لا قنوط ولا جزعْ

وأسفاره في كل درب وغرفة
يمد لها كف الحنان ويبتدع

على قيمة الفكر المؤثّل سامخاً
ومن حوله الدنيا تضج وتصطرع

وأحبابه من كل جنس ونحلة
بُداة وحُضّار على الرحب والوسع

فما كان فردياً ولا كان حاقداً
ولا هان يوماً للمطامع أو ركع

تخير من أصحابه كل أشوس
فما كان يرضى باللئيم ولا الجشع

هنا كان لي روض أنيق ومجلس
ومتّكأٌ فوق السحاب مرتفع

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٢٣ بيتاً نشرتها جريدة «الندوة» في عددها ١٠٤٨٩ الأحد ٢٣ ذي الحجة ١٤١٣هـ.



ومات حسين سرحان!!!

في يوم الثلاثاء الموافق للسادس من ذي القعدة عام ١٤١٣ للهجرة نعى الوسط الأدبي السعودي واحداً من أدبائه وشعرائه الأفذاذ.. وهو الأديب والشاعر حسين سرحان.. وموت حسين سرحان يعني أن نجماً لامعاً قد غاب من سماء الأدب السعودي، لأن حياته رحمه الله كانت سجلاً حافلاً بفنون الأدب والشعر الأصيل.. وقد كان بودي أن أعرج على ذكر شيء من حياته الأدبية في هذا الموضوع لكن المناسبة تملي عليّ شيئاً أهم من ذلك ألا وهو ذكر نسبه ومولده وقبيلته..

وبشيء من الإيجاز الذي يتفق ومساحة هذا الموضوع ووفقاً لما تضمنته دراسة صادرة عن نادي جدة الأدبي عنوانها «شعر حسين سرحان» من ترجمة له نصها بالنسبة لنسبه: هو حسين بن علي بن صويلح بن سرحان ـ بكسر السين ـ من قبيلة الروسان من المراوحة من برقا من عتيبة التي تنحدر من قبيلة بني سعد بطن من بطون هوازن القيسية المضرية العدنانية.

أما مولده فكان بحي المعابدة بمكة المكرمة ذلك الحي الذي تسكنه أسرته التي جاءت إلى مكة من منطقة عفيف في عالية نجد. وقد اختلف في تاريخ ميلاده اختلافاً يحصره بين سنة ١٣٣٢هـ وسنة ١٣٣٤هـ إلا أنه يرجح أنه كان في آخر عام ١٣٣٢هـ وهذا يعني أن عمره يوم وفاته قد بلغ ٨١ عاماً.

أما نشأة حسين فقد قيل: أنه منذ أن وعى الحياة وهو في كنف جده لأمه عبيد الله بن سرحان الذي كان بدوياً يعمل في رعي الأغنام،



وكان حسين يرعى البهم. واستمرت حياته إلى قبل بلوغه بقليل ثم استقر في الحاضرة وسكن في حي المعابدة.. هذا وسوف يكون لي وقفة أو وقفات مع حياته الأدبية.. أما الآن فسأختم هذه النبذة القصيرة بأبيات من إحدى القصائد التي قيلت في رثائه ولتكن من قصيدة للشاعر مصطفى زقزوق، والتي منها قوله:

كيف أرثيك؟ بالدموع الخفاف
أو أناديك في شموخ العفاف؟

كنت والصبر والبلاغة نسجا
في حياةٍ شديدةِ الاختلاف

تتحلى بوارف من وقار
تتسلى بحلو عيش الكفاف

وقوله:

يا بن - سرحان - والمنايا غريم
غير هيابة لطيّ الغلاف

نُسلمُ الروح في ثبات مطيع
ولها الأمن من لقاء المخاف

كلنا يا حسين عبد وضيف
كلنا للسماح أهل الهتاف

سافرت بي إليك نجوى شعوري
بسمو الغايات والأهداف

مَعْقِل الفضل أنت فيه وحسبي
بنعيم مؤيدٍ للضعاف

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٢٦ بيتاً ونشرت في جريدة «المدينة» العدد ٩٤٧٩ الأحد ١١/١١/١٩٩٣م.

ضياع الصندوق زاد من بؤس حسين سرحان!!

وما أكثر من يعيش عيشة كلها بؤس وحرمان.. والقليل من البؤساء مَنْ تُسْتَظْهرُ أخبارهم. ويدرك واقعهم لأن الحكم ببؤسهم يتطلب معرفة دقيقة لحياتهم واستقراء صادقاً لواقعهم. وهذا لا يحصل إلا بمخالطة أو اعتراف والأخير من هذين الأمرين لا يتحقق إلّا ممن يكون شاعراً أو كاتباً لأن القلم أحياناً يعبر عما يكون عليه صاحبه من حالات نفسية..

ولقد كان لي وقفات مع بعض البؤساء وقد دوّنتها تحت عنوانات متفرقة في هذا الكتاب منها مثلاً ما هو مدوّن في الجزء السابع تحت عنوان: «مساوئ البؤس وشخصية البائس» و«في البؤس ملح ونوادر».

أما في هذا الموضوع فإنني أضم الأديب والكاتب والشاعر السعودي حسين سرحان الذي سبقت ترجمته تحت عنوان «ومات حسين» واعتمادي في ضمه إلى فريق البؤساء يرجع أو مرده إلى أمرين: الأول: أنه عاش حياة كلها شظف وكد وبعد عن أبيه حيث تكفله جدّه لأمه عبيد الله بن سرحان، لكن قوة شكيمته وإصراره وعزيمته على طلب العلم جعلته يستجيب لذلك ويمعن في تثقيف نفسه. أما الأمر الثاني: فهو قد جاء مكملاً للأول من حيث تعميق البؤس في النفس إذ قيل أنه جمع شعره ومقالاته وجميع أعماله في «كوبر» وهو صندوق، فعهد به إلى أحد أصدقائه الأدباء[1] ليتولى ترتيب محتوياته وإعداده للنشر في كتاب ولكن الصندوق ضاع في ظروف غامضة، وطواه النسيان. هكذا

---

(١) يشير بذلك إلى صديقه عزيز ضياء.

قيل في نقل هذا الخبر، وإن صح هذا فكيف لا يكون حسين سرحان بئيساً؟ إذا علمنا أن الشعراء يقارنون حبهم لقصائدهم بحبهم لأبنائهم.

وليس أدل على بؤسه بل تشاؤمه من الحياة.. من قوله من قصيدة نشرت له تحت عنوان «ملل ويأس. وأفكار سوداء».

خلقتُ ملولاً لو رزقت سعادة
ودامت لساءت لي مراحاً ومغتدى

ولو مد من حبل الحياة قصيره
لأشفقت منه أو فزعت إلى الردى

ولو جاء هذا الموت قبل أوانه
لألفى إلى روحي السبيل معبدا

(سئمت تكاليف الحياة) جميعها
فلا أبتغي جداً.. ولا أشتهي ودا

وجربت أخلاق الورى في شبيبتي
فما ساءني بخل ولا سرني ندى

وأجدب قلبي من غرام مخامر
وضاق شعوري وهو منفسح المدى

فلا الشمس في إشراقها تبعث الهوى
ولا الطرف إن يرنو ولا الطير إن شدا

لئن كنت فرداً إن فيّ لعصبة
عِدى أو همو أقسى عليّ من العدى

○ ○ ○ ○ ○

نظرة في تأبين حسين

يا أيها الكتّاب.. ويا أيها الشعراء في بلادنا الحبيبة وفي عصرنا الحاضر... لماذا أنتم هكذا.. تغمدون أقلامكم ولا تنبسون ببنت شفة من المديح وتصوير الواقع المشرف للأديب والكاتب والشاعر، وهو على قيد الحياة لتثبتوا له تلاحمكم معه في المسيرة الأدبية، ولتظهروا له إعجابكم بعمله ليتضاعف جهده وينطلق في أجواء عالمه انطلاقة تحقق عملاً إبداعياً نحن في أمسّ الحاجة إليه.

إن غض النظر عن النشاطات التي تبدو لنا من أي أديب أو شاعر، والسكوت عن صاحبها وعدم إظهار مناقبه في حياته والإشادة بمهاراته وقدراته الفكرية والأدبية ربما يفسر بحسده عليها.

ويستدل على أن هناك إغضاءً وسكوتاً متعمداً على ذلك بأنه إذا مات الأديب وصاحب القلب واطمأننتم بعدم منافسته لكم وتفوّقه عليكم أقبلتم على تأبينه، وهو إقبال لا فائدة له منه إلّا اللهم أن يحصل على دعاء ممن يقرأ ما كتبتم... ووالله إن فعلكم هذا ليشكل مأخذاً تاريخياً عليكم. أو ما علمتم أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد قال: «إذا أحبّ أحدكم أخاه فليعلمه أنه أحبه» رواه البخاري. وروى أيضاً عن مجاهد قوله: لقيني رجل من أصحاب النبي ﷺ فأخذ بمنكبي من ورائي قال: أما إني أحبك. قال: أحبك الذي أحببتني له. فقال: لولا أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحبّ الرجل الرجل فليخبره أنه أحبه» فأخبرتك.

وبالأمس القريب أي في ١٦/١١/١٤١٣هـ مات الشاعر والكاتب



والأديب حسين سرحان، فتسابقت الأقلام في إظهار حبه والتفجع على موته.. وانطلقت في توجيه المديح وقصائد الرثاء التي لا حصر لها. وهذه ظاهرة وإن كانت مطلوبة ربما فسرت بما أشرت إليه آنفاً. ولكن حسن النية إن شاء الله موجود في عموم مجتمعنا الذي ليس للحسد في حياته موضعاً أو مدخلاً.. ومن الشعر المعبر عن عظم الفجيعة في شاعرنا حسين سرحان ما قاله الشاعر عمر محمد خير الذي كان معتاداً حضور مجلس حسين بعد عصر كل يوم ففوجئ بوفاته:

لا لـن أوافـيـك بـعـد الـعـصـرِ

ربـمـا ألـقـاك يـوم الـحـشـرِ

إنـنـي ودعـتـك عـنـد الـقـبـرِ

ورجـوت الـلّـه بـأقـصـى الـسِّـرِ

أن يـثـبـتـك لـهـذا الأمـرِ

أيـهـا الـرائـد الـعـظـيـم الـقـدر

لا تـكـلـفـنـي رثـاء الـنـهـر

لـيـس لـي جـهـد بـوصـف الـبـحـر

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٢٢ بيتاً.. قرأتها في العدد ١٠٤٤٨ من جريدة «الندوة» يوم الأحد ١١ ذي القعدة ١٤١٣هـ.

ooooo

بعدما مات حسين قالوا عنه

مات الشاعر والأديب والكاتب حسين سرحان الذي أفردت له موضوعاً تقدم في هذا الجزء عنوانه «ومات حسين سرحان». وقد ذكرت فيه نسبه ومولده، وقبيلته..

ولكون حسين سرحان علماً من أعلام الأدب وعمود من أعمدة الشعر في بلادنا فقد جعلت بعض الأقلام من موته منطلقاً لذكر أدبه وصفاته ونشاطاته وحياته الفكرية والثقافية.. ففيه قال الدكتور علي القرشي: وعالم حسين سرحان هو عالم الشعر الذي سما به عن سفوح هبط إليها عند الآخرين، وظل يقيم في هذا العالم وجوده وحركته. ومن هنا دخلت الأشياء في عالمه، وأبى عليه تفرد إلّا أن يمنحها بالتسمية أقصى ما يستطيعه من الحفز في عالم اللغة لذلك لم تكن الغرابة في ألفاظه ترفاً أو تحذلقاً وإنما ذلك من إسباغ فيضه الشعري على عالم الأشياء من حوله.

وفيه قال الأستاذ أحمد محمد الصائغ: ولقد كان لفقد حسين سرحان الأثر العميق في نفوس من يقدرون مكانته الأدبية، فهو من نخبة الرواد الأفذاذ الذين يمثلون طلائع النهضة الأدبية والفكرية في المملكة منذ بداية تأسيسها.. ويستطرد الصائغ في قوله فيقول: إن الشاعر حسين سرحان مقلّ ومجيد ومترفع عن السفاسف وبذل شعره وأدبه بعامة. فهو رجل صلب وملتزم يحترم قلمه وكلمته، ويؤثر العزلة، ولا يأبه للأدنى من معطيات الحياة، وإنما هو رجل بدوي ذو شمم وإرادة واعتزاز..
وفيه قال الأستاذ محمد بن عبد الله بن بركي: حسين سرحان شاعر كبير

وأديب جهبذ فحل، صاحب الكلمة الأصيلة والأسلوب الجزل والبيان الممتع، وهو صرح أشم من صروح الكلمة نثراً، والكلمة شعراً فصيحاً ونبطياً.

ومن المستحسن أن أختم هذه الأقوال بأبيات من قصيدة للشاعر: الشريف محمد بن منصور عنوانها «وتركتنا سرحان نبكي أدبه»:

رب القريض ورب كل قصيدةٍ
ألبستها صفو البيان ومشرق الإعراب

أنت المجنح في علاك مع الألى
من شنفوا الأسماع بالإطراب

أنت المحلق في سماء قريضنا
مستامياً عن نزوة استغراب

ألزمت نفسك بالفصيح تقوله
حتى غدوت منارة الأياب

لم ترض نفسك بالهبوط عن الذرى
فسموت فوق مسايل وهضاب

فحفظت للشعر الأصيل بيانه
ومنعته عن حاقد كذّاب

وأتيت منه بالعجيب نظامه
فعلوت عند محافل الأحباب

وفي ختام تلك القصيدة الرثائية الجميلة التي تبلغ ١٢ بيتاً ونشرتها جريدة «النور» في ١٤/ ١١/ ١٤١٣هـ:

وتركتنا سرحان نبكي أدمعا
حرى مدى الأجيال والأعقاب

كان المفروض أن يقال فيه ذلك وهو حيّ!!

يقف الإنسان في الوسط الأدبي، فيلتفت يمنة ويسرة بحثاً عن سطور فيها مناقب لشاعر أو كاتب أو مفكر ما زال على قيد الحياة، فلا يكاد يجد واحداً.. وإن وجد فهو إشارة خفيفة ربما فرضتها ظروف المجاملة في صورة مختصرة. أما إذا وافاه الأجل فإن البحث عن مناقبه وحصر أعماله الأدبية، وذكر مواقفه البارزة، يقوم على قدم وساق.. والدليل على ذلك أنه يموت بعض العلماء والأدباء والشعراء، وأهل الفكر فتهب الأقلام في إطرائهم وذكر مناقبهم، فيعرضون علينا خصالاً حميدة كنا نود أن نعرفها يوم كانوا أحياء لنحمدهم عليها حمداً يعطيهم دفعة تتمخض عن مزيد من الخلال الطيبة والأعمال المفيدة التي يخلفونها لمجتمعهم.. أقول هذا عندما قرأت ما قيل في الأديب والكاتب والشاعر حسين سرحان الذي ترجمت له في موضوع تقدم تحت عنوان «ومات حسين سرحان» من أقوال بعد موته في ٦/ ١١/ ١٤١٣هـ والتي من جملتها قول حسين بافقيه: «حسين سرحان شاعر حقيقي يعيش بدواة الشعر وصفاءه، وأولياته».

وقول الأستاذ عبد الرحمن العبيّد: «لست أدري ماذا أقول عن حسين؟ أقول: الشاعر الكبير، أم الكاتب الكبير أم الروائي المتميز، أو الناقد الصحفي؟ لكنني أقول: لقد فقدناه علماً من أعلام الشعر ورائداً من رواد الحركة الأدبية والثقافية في بلادنا».

وقول الأستاذ الأديب حمد عبد الله القاضي: «تفقد الساحة الأدبية



اليوم عملاقاً من عمالقة الكلمة الذين أثروا ساحتنا الأدبية والشعرية. كان واحداً من شعراء الأصالة، وقد عرف عنه زهده في كل شيء ما عدا الكلمة التي أعطاها كل همه».

أما الشعراء فقد أكثروا من القول فيه.. وتفجع الكثير منهم عليه في قصائد مؤثرة لا أشك في أنها ستأخذ مكانها من الأدب الرثائي.. من تلك القصائد قصيدة الشاعر عبد الله محمد باشراحيل منها قوله:

سار المحارب للردى
والدهر يهلك ما أشدّه

ها قد ثوى بين الرجام
وأبدت الأيام فقده

ونشيده لما يزل
صوتاً تدفق بالمودّه

قد كان أجنحة بلا
ريش وكان الريش مجده[1]

يا من تناثر كالأريج
يمد للإنسان ورده

ما الشعر ما صوت الرثاء
وأينا قد كان نده

ومنها قوله:

ندعو لك اللّه الذي
قد حف بالإحسان عبده

---

(١) يشير إلى ديوان حسين سرحان «أجنحة بلا ريش».



وهـــو الـــذي يـــرث الـــدنـــا
سـبـحـانـه الـديـان وحـده

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٢٠ بيتاً وقد قرأتها في جريدة «عكاظ» عدد ٩٧٧١ الثلاثاء ١٣ القعدة ١٤١٣هـ.

ο ο ο ο ο

حسين سرحان كان مستعداً للموت!!

إن طول الأمل في الحياة ينسي كثيراً من الناس صيرورته إلى الموت، بل ربما حدث نفسه إن الموت إنما هو مكتوب على غيره، وإنه ناج منه نجاة أزلية.. بينما هناك من يكون على نقيض هذه الرؤية المخادعة، فتراه يترقب الموت في أي لحظة.

ومن الناس من إذا تجاوز معترك المنايا وهو العقد السابع من العمر أخذ في تجهيز نفسه للموت على اعتبار أنه المصير المحتوم.

ومن بين أولئك الذين تجهزوا للموت واستعدوا له الشاعر والكاتب والأديب السعودي حسين سرحان الذي أجاب على سؤال وجّه إليه عن الحياة وذلك قبل وفاته التي حدثت في ١٤١٣/١١/٦هـ بأشهر قليلة. بقوله: أنا إنسان فارقت الحياة منذ زمن. وهذه إجابة توصي بأنه قد جهز نفسه للرحيل من عالم الدنيا. فلعله قد تزود بزاد ذلك الرحيل وقد روي أن آخر حكمة أطلقها وهو مطمئن بدنو الأجل قوله: «من قلّ وزنه فليقدم اعتذاراً للدود» وقوله: متى يخلو المكان من المكين وينداح التراب ويحتويني فألجأ يوم ذلك إلى كريم العفو في البلد الأمين.. وقوله متساءلاً: هل يكون الختام مسكاً. وقد فُسّرت أقواله تلك بأنها رثاء لنفسه. ومن أقواله الدالة على تجهيز نفسه للموت قوله: منذ أعوام طوال وأنا لا ينقطع تفكيري في الموت لحظة واحدة أفكر فيه بين الأكل والشرب وبين الحركة والسكون وخلال النوم واليقظة وعند السرور والحزن، ولما كانت القاضية وقبضت روحه سلم رثاءه إلى أصدقائه ورفاقه رحلته فرثاه من يعرفه بل ومن لا يعرفه إلّا من خلال عمله



الأدبي. وقد كان في مقدمة من رثاه من أصدقائه، صديقه الشاعر السعودي المعروف محمد حسن فقي، الذي رثاه بقصيدة يائية طويلة قوامها واحد وثلاثون بيتاً، منها قوله:

رحلت وخلفت الزمان بواكيا
عليك. وكانوا بالقوافي شواديا

وكانوا وما زالوا إليك صواديا
فمن ذا الذي يسقي ويروى الصواديا

ومن ذا الذي يرضي الحواضر كلهم
ومن ذا الذي من بعد يرضي البواديا

ومنها قوله:

أربَّ القوافي العصم.. أصبحت خالداً
فما كنت مهذاراً ولا كنت لاهيا

وقد كنت فذاً في الرجال مسوداً
بفكر.. إذا جلّى أضاء الدواجيا

وكان عصيُّ الشعر يُلقي قيوده
إليك ويدنو منه ما كان نائيا

ونعجز عن بعض القريض ويستوى
لديك مطيعاً أحرفا ومعانيا

فتختار منه ما تشاء قصائداً
تَسُرُّ حنايانا وتذري المآقيا

○○○○○

ثلاثة من الإبراهميين يؤبنون حسين سرحان!!

والذي تابع وسائل الإعلام المقروءة بعد وفاة حسين سرحان الكائنة في ١٤١٣/١١/٦هـ يجد أن الكتّاب والشعراء قد وفوه بعض حقه من الرثاء والتائبين.. ومن المصادفات أن يكون من بين مؤبّنيه ثلاثة كلهم - إبراهيم -: فإبراهيم بن عبد الرحمن التركي كتب في جريدة «الجزيرة» العدد ٧٥٣١ يوم الأربعاء ٢١ ذي القعدة ١٤١٣هـ مقالاً تحت عنوان «الصدى.. وثلاثة العزلة». وهو بهذا يرمز إلى عزلة حسين سرحان، وقد حسبه ثالث ثالثة اشتهروا باعتزالهم الناس، وهم: أبو العلاء المعري.. والدكتور جمال حمدان.. والثالث حسين الذي كانت وفاته قريبة من وفاة جمال حمدان.. وقد أشار إبراهيم التركي في مقالته إلى بعض مفاهيم العزلة التي تفرضها الكآبة النفسية. وقال: إنها بالنسبة للمبدع تحقق هدفاً ويتمحض عنها عملاً.. فهي وإن كانت سلبية في ظاهرها، فهي بالنسبة لنا كمتلقين لتلك الأعمال إيجابية وغير معدومة الفائدة.

وأما ثاني الإبراهيميين فهو إبراهيم البليهي الذي كتب في جريدة «الرياض» العدد ٩٠٨٩ يوم الخميس ٢٢ ذي القعدة ١٤١٣هـ موضوعاً تحت عنوان «الرثاء إنصاف فات أوانه» وقد ذكر فيه أن إنصاف المبدعين وأهل الفكر والنابغين في المجتمع لا يأتي في الوقت المناسب ولا يكرمون كرامة تليق بهم بل إن عدم المبالاة بهم وبحياتهم الأدبية والفكرية قد أصبح ظاهرة سيئة. ولهذا فإن المبدعين وأصحاب المهارات يعذرون إذا هم لجأوا إلى العزلة لأنهم يشعرون أنهم غرباء في مجتمع لا يفهمه أو يتجاهل ما يقدمون له من أطباق فكرية سهروا على إعدادها.. وأحرقوا في سبيل إنضاجها نفوسهم وأرواحهم.

أما ثالث الإبراهميين فهو الشاعر الدكتور إبراهيم محمد العواجي الذي واكب قافلة مؤبّني حسين سرحان بقصيدة أبدع في ذكر عزة نفس حسين سرحان وشهامته ومنهجه الشعري الذي يتّصف بالأصالة والجزالة وقوة التعبير البعيد عن التكلف أو التقعّر في الكلمات.. من تلك القصيدة قوله:

يا فارس الشعر صار الشعر في حزن
وقد ترجل عن ميدانه البطل

تبكي القوافي يراعاً كان يرفعها
في أزمن صار فيها الشعر يبتذل

الشعر في عرفه صدق وأغنية
أصيلة من شغاف القلب تشتعل

صوت يردده السمار في وله
ومن صداه عيون البدر تكتحل

في زورق كانت الأمواج تقذفه
في حومة اليم دهراً بُعْدُه أزل

رفيقه الصمت والأشجان تجلده
مصابر خلّه الإيمان والأمل

وما حنى هامة للشعر في زمن
فيه القصائد ترى مثلما الجمل

تبكيك يا شاعر الوجدان قافيتي
والحسن والحب والأحلام، والجدل

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ إحدى عشر بيتاً وقد قرأتها في جريدة «الرياض» العدد ٩٠٨٢ يوم الخميس ١٥ ذي القعدة ١٤١٣هـ.



الغنى بالله!!

والفقر لمن لا يدع طرق أبواب الرزق ليس عيباً، ولا هو مذمة للرجل، بل ربما كان زينة له وشرفاً.. لكنه يكون مذمة لمن لا يعمل ولا يطرق أبواب العمل.

والفقير الذي يعمل وهو مؤمن بأن الله هو الرازق، وأن لله في خلقه شؤوناً هو من أغنى الأغنياء نفساً، وأسعد الناس حياة؛ لأن الرضا بما قسمه الله قد أوجد طمأنينة في نفسه، وغنى في قلبه، وامتلأ قناعة بأن هذا هو نصيبه في الدنيا فعاش حياة عنوانها صدق العقيدة بأن الله قد اختار له الفقر لأن صلاح أمره لا يقوم إلا على الفقر.

والثبات على أن الغنى بالله وليس بملايين الريالات فيه سلوة للنفس وطمأنينة وقناعة ورضا.

والإنسان الذي يكون غنياً بالله لا يتسرب إلى قلبه هم، ولا يدب في نفسه غم حينما يرى بعضهم يتقلب في النفس وينعم بنعيم الدنيا الفانية.. بل يحمد الله على أن طرح عنه عدة أسئلة عن المال يوم اللقاء حينما يسأل الغني عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟.. وما استغنى أحد بالله إلّا وكفاه الله ذل مسألة الأغنياء، وطرح عنه همّ الدنيا.

ويا أخي المسلم: لا تهتم حينما ترى أخاك المسلم قد نال حظاً من الدنيا وأنت ما زلت فقيراً، بل تيقن أن ذلك لحكمة أرادها الله.. واجعل نصب عينيك أن الخيرة فيما اختاره الله لك.

ومما يناسب هذا الموضوع من الشعر هذه الأبيات التي اقتطفتها من قصيدة طويلة للشاعر عبد الغني النابلسي:



زينة العبد فقره واحتياجه
والغنى بالإله لاق ابتهاجه

وهو في غيره مجرد وهم
كم به رادت الردى أفواجه

والجهول الذي يظن بشيء
من متاع الدنيا يصح مزاجه

والغنيّ الغنيّ بالذات لا بالعَ
رَض الزائل المثار عجاجه

لا تقل قلّ دون غيري رزقي
كل رزق مقدر إخراجه

قسمة اللّه لا زيادة فيها
لا ولا نقص عذبه وأجاجه

والفتى غير رزقه لم ينله
ولو احتال واستطال لجاجه

كم شجاع أراد رزق سواه
يحتويه فقطعت أوداجه

○○○○○

الاستبشار بمن يدخل في الإسلام!!

كان الرعيل الأول من شعراء الإسلام يستبشرون كغيرهم من المسلمين بمن يترك دينه ويدخل في دين الله - دين الإسلام - ويحتفون به أيما احتفاء لأمور كثيرة لعل من أبرزها وأهمها: الحرص على زيادة عدد المسلمين من ناحية. ومن ناحية أخرى الطمع في أن يكون إسلامه وسيلة مؤثرة على أهله وذويه ومعارفه، فيتّبعون أثره ويدخلون مدخله في دين الإسلام، ويحدث تتابع في التخلي عن الأديان التي أبطلها الإسلام، ويحصل للإسلام قوّةً ومنعة. ومن ناحية ثالثة إشعاره بالانتقال من العبودية والذلة إلى سماحة الإسلام وحريته وديمقراطيته التي تضمن بالنصوص القرآنية والأحاديث الشريفة حقه في الحياة الحرة الشريفة.

واستقبال من يدخل في الإسلام بالروح الأخوية والخلق الإسلامي المتمثل في التحاب والتواد والتآخي والتعاون والتكافل، والنقاء في سائر التعامل، والإثارة على النفس وغير ذلك مما يشكل رباطاً قوياً يربط المسلمين بعضهم ببعض، ويجعلهم أسرة إسلامية واحدة، تحرسها عين الله وتحف بها عنايته. شيء قد أدّبنا الله به في محكم كتابه إذ يقول تعالى في سورة التوبة الآية ١١: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ...﴾ الآية.

وأعود إلى ذكر استبشار شعراء الإسلام بمن ينضم إلى قافلة الإسلام بإعلان إسلامه لأذكر شاهداً من الشعر على ذلك.. ففي ديوان «الإشعار.. بحميد الأشعار» للشاعر علي أفندي الدرويش قرأت قصيدة مناسبتها إسلام علي أفندي عبد الهادي عام ١٢٤٨ هجرية منها قوله:

لا بالأوائل قد عوّدت والأول
يا دين أحمد تدنى أبعد الملل

ولم تزل كلمة الإخلاص غالبة
ومرّت على من ضل في الأزل

وذو المروءة لا يرضى لهمته
إلّا بدين شريف القول والعمل

أتى من اللّه لم يشرك به أحداً
منزّه الجاه عن زور وعن زلل

ومنها قوله:

بمثل إسلامه الصدق الذي ابتهجت
به الليالي ابتهاج الشمس بالحمل

أحسن بوجهك في الإسلام من رجل
رأى الصواب فعنه غير منتقل

بك السرور كقدر الحب فيك لنا
ملء الزمان وملء السهل والجبل

بشراك بالدين قد نادى مؤرخه
يا حسن سعدك بالإسلام صرت علي

أي أن الشاعر قال تلك القصيدة سنة ١٢٤٨هـ.

○○○○○

ابن بليهد عُولج نصفه وأُهْلك نصفه الآخر!!

حينما يصاب الشاعر بمرض غير مقلق لباله فإن شاعريته تبقى صافية، بل هي على أتم استعداد للبوح بما يتعلق بتطبيب مرضه ووصفه، وربما يتعدى البوح بالتطبيب إلى امتداح الطبيب والإشادة به، وقد يشمل على التغزل بالممرضة التي تتولى تمريضه.. قال الشاعر محمد بن عبد الله بن بليهد فيما يرويه عن نفسه: أحسست بألم في كتفي الأيسر فعرضته على الأطباء الأخصائيين في الحجاز ولم يشخصوه، وعرضته على أطباء الأعراب فجاءني حكيم منهم يقال له: «الحبيبة الوقداني» من القبائل التابعة للطائف فقلت له: إن الناس يقولون لي: إن هذا المرض من أنواع أمراض الواهنة. فقال: إن عندي عن مرض الواهنة علماً لم يصل إليه علم الأخصائيين ثم رفع رأس أصبعه الإبهام فوضعه على رأس الكتف المؤلم فقال لي: ارفع يدك فرفعته دون تكلف، فضرب شماله بيمينه. وقال: إن كان في يدي واهنة فهي في يدك. قلت له: ما السبب الذي أوضح لك ذلك؟ قال: لو كان في يدك واهنة بعد وضع إصبعي على كتفك لم تقدر على تحريكها.. وبعد أن وصلت إلى مصر وابتدأت في العلاج والكشف على جميع العضلات فلّما وصلوا إلى هذا المرض قالوا: إنا لا نعالجه بشيء حتى نأخذ صورتين كهربائيتين للكتف الأيمن، وللكتف الأيسر لنطبق المريض على السليم فلما خرجت الصورة من دائرة محمد رجب الكهربائي المشهور في مصر، وجدوا هذا الألم في عصبة خارجة عن موضعها فقرروا علاجها بالكي بالكهرب، فأحالوا علاجي عند ممرضتين ماهرتين في هذا الفن فشفاني الله فقلت في ذلك:

رأيت غزالا في الضحى كامل الوصف
كوتني بنارٍ في فؤادي وفي كتفي

فأما التي بالكتف تذكى بكهرب
وهاتيك تذكّي بالملاحة واللطف

تفاءلت من كفّي سعاد سعادة
وفائزةً فوزاً فطلعتها تشفي

خليلي هو تأسو المراض خريدة
بقامتها الهيفاء منهم من الحتف

لعمري ما دائي سوى نظراتها
وبلسمها الشافي لديها وما أخفي

وقد عالجوا نصفي بكفٍ رقيقة
وبالسحر من عينيهما أهلكوا نصفي

إذا طفقت كلتاهما في علاجها
رأيت المنايا من أمامي ومن خلفي

وما أنا إلا في هواهم متيم
ضعيف القوى شيخ فهل يرحموا ضعفي

والحكاية والقصيدة موجودتان في ديوان ابن بليهد رحمه الله الموسوم بـ «ابتسامات الأيام في انتصارات الإمام».

○○○○○

شاعر يرجو من الله أن ييسر له زوجة!!

والدعاء ليس موقوفاً على طلب معين يشترك فيه الخلق جميعاً، كما أنه ليس محدوداً في عبارات أو كلمات معينة، إذ أن المسلم يدعو ربه بما يحتاجه من أمور في دنياه وآخرته.

وإذا كان التوجه بالدعاء إلى الله فيما هو مرتبط بالآخرة فإنه يكون مشتركاً بين المسلمين من حيث الهدف وغاية المطلب من الله لا يميزه إلا صفة كلمات الدعاء والعبارات التي يدعو بها كل مسلم.. والتي ينوب بعضها عن البعض في حالة غيابه عن ذهن الداعي مثل ما تنوب بعض الكلمات المترادفة عن بعضها في أساليب الإنشاء والتعبير.. أما الدعاء المتعلق بالدنيا فإنه يأتي به الإنسان بحسب حاجته كما أسلفت. فإذا كان فقيراً مثلاً سأل الله أن يمدّه من فضله. وإذا كان مريضاً سأل الله أن يمنَّ عليه بالشفاء. وإذا كان مظلوماً سأل الله أن يرفع عنه الظلم.. والأدعية المندوبة والمرغب فيها كثيرة جداً وصفاتها مذكورة في الأحاديث الشريفة فضلاً عما جاء منها في القرآن الكريم.. فهناك دعاء السفر، ودعاء النوم، وعند دخول البيت والخروج منه، وعند ركوب وسيلة النقل، والأكل والشرب وغير ذلك من أعمال الإنسان اليومية.

والذي لفت نظري من الأدعية والابتهالات المستحبة التي تُضَمّن الأشعار ذلك الدعاء الذي دعا به الشاعر أحمد محمد جمال وهو في سن الثامنة عشر من عمره.. حيث توجّه بدعائه إلى ربه بأن ييسر له الزواج من فتاة استعرض الأوصاف التي يرغب في أن تكون مكتملة

فيها، وذلك في قصيدة له جعل عنوانها «عروس أحلامي» والتي منها قوله:

أتمنّى وقد خلت لي ثمان
بعد عشر سنين من أيامي

كاعباً ذات غيرة في هواها
وحفاظ في ودها والذمام

وكما في دينها وحجاها
وجمال في وجهها والقوام

أتبنّى بها حلالاً كزوج
لا حراماً باسم الهوى والغرام

رب إني أرجوك وحدك إعثا
ري عليها فقد كبت أقدامي

ويكاد الغرام يطرق قلبي
وهو قلب خصم لكل حرام

ومنها قوله:

رب هب لي زوجي وأصلح شبابي
بهواها وحيّه بالسلام

إن في النفس شهوة تتلظى
بضرام والزوج بَرْدُ الضرام

والقصيدة أطول من ذلك فالمطبوع منها في ديوانه «ديوان الطلائع» ثلاثة عشر بيتاً.

○○○○○

تجربة ثانية في قول الحكمة

ما نهيتُ نفسي في يوم من الأيام عن تسجيل أي خاطرة تمر بذهني حتى في نزوعها إلى قول الحكمة كنت مطواعاً لها، رغم معرفتي التامة بأني لست حكيماً، ولكن موافقتها على ذلك حملتني على أن أدوّن هذه الخطرات المقتضبة:

- كل يقبل أو يرغب في أن يوصف بالبطل.. لكنه عندما يطلب إليه تطبيق معناها عملياً يتخلى عن ذلك ويرغب في أن يوصف بما لها من ضد معنوي ولغوي.
- تطبيق العمل القيادي وممارسته يختلف تماماً عن الحديث عنه.
- كل مدخن يحدث نفسه بأنه سيترك تلك العادة. لكن الإرادة هي المتصرفة في مصداقية الحديث.
- القيادة الإدارية التي تكد الفكر هي التي تأتي بنتائج تريح النفس.
- لو سألنا الظبي وقلنا له: بما تصف الإنسان؟ لقال بالوحشية.. ولو سألنا الإنسان عن صفة الظبي؟ لقال: هو حيوان وحشي!!!.
- دوران عقارب الساعة يعني شيئاً لا يعرفه كثير من الناس. وإن عرفه فلا تتجاوز معرفته له أكثر من أنه مرشد للوقت.
- كثير ممن يقرأ القرآن يمر على هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ [الزلزلة: ٤] لكنه لا يدرك معناها تمام الإدراك.
- الفكاهة جرعة منشطة للفكر والذهن فاطلبها في مجالس الظرفاء في أوقات متقاربة.



- لا تربط ما يقدم لك من نصف مستحقك بالنصف الباقي فيذهب جميعه.
- اصطحب كلمة «آسف» عندما تخطئ. وعلل إذا كان الموقف الذي فرضها عليك يشاطرك فيه إنسان عادي.
- المجازاة حقٌّ مشروع لك. لكن العفو والتغاضي والتسامح يلبسك ثوباً متميزاً يتمنّى الناس جميعاً ارتداءه.

وحتى لا يكون هذا الموضوع كله من صنعي نثره وشعره يحسن بي أن أنهيه بأبيات معراة من «الدال والذال» قلتها منذ وقت، وجعلت عنوانها «استبدل الدار ولا تسيء إلى الجار» منها قولي:

متى ساءك الجار فارحل ولا
تطيل البقاء بإضراركا

فبالبيت بيت تسرُّ به
ولا تخشى في الأمر من لامكا

وبعه بترك مجازاته
وليس ببخسٍ كما باعكا

وإيّاك أن تغتنم فرصةً
تُسيء إليه بأفعالكا

فما ضاقت الأرض من ساكن
ولا قلّ في الناس أمثالكا

وسوف تلاقي بها من يرى
حقوقاً عليك وأيضاً لكا

فما عقم الفضل من فاضل
وما خلت الأرض من جاركا

ففتش ففي الناس من يبتغي
كما تبتغيه.. وفي حالكا

هل ليلى صاحبة قيس فائقة في الجمال؟!!

وإذا نظرنا إلى واقع الجمال فإننا نجد اختلافاً كبيراً في مفهومه لدى الناس. ومرد هذا الاختلاف إلى أن لكل عين رؤية خاصة بها. ولكل نفس طبع يقودها إلى ما تهوى وتعشق ولهذا فإن إطلاق صفة الجمال يخضع لنفسية المعبر وذوقه.. إذ إن من الناس من لا يرى جمالاً فيما رآه غيره وحسبه جمالاً فارهاً.. وقد يرى جمالاً فيصفه ويبالغ في وصفه فيأتي شخص آخر فيرى فيه القبح وبشاعة المنظر فيطلق لسانه في وصف قبحه.. وهكذا.. فإن لكل شخص رؤيته وذوقه كما أسلفت.

وانطلاقاً من تحقيق اختلاف الرؤية في الجمال لدى الناس. تأتي عبارة تحل هذا الخلاف وتعطي كلاحقه فيما تندفع إليه نفسه وترى أن الجمال كله فيه.. وهذه العبارة هي ـ الحب ـ فالحب إذا وقع في القلب تجلى الجمال للعين وحرّك اللسان لينطق ويصف الصورة التي انطبع جمالها في القلب الذي كان منبع الحب.. ولهذا قالوا: الحب يعمي ويصم.. وحول هذا القول نبحث في أمر مجنون ليلى ونتساءل: هل هو جن من جمال ليلى؟ إن كان كذلك فإن جنون العشق يكون مربوطاً بالعين، وهذا يفيق بمجرد اختفاء ربة الجمال أو حجبها عمن جنّ بحسن جمالها.. لكن الأمر خلاف ذلك تماماً.. فقيس بن الملوح المعروف بمجنون ليلى لم يجن من الجمال الظاهري لليلى، فهناك من هو أجمل منها. وإنما هو قد أحبها حباً أعماه عمن هن أجمل منها فلم يعد يرى جمالاً إلّا فيها.. ولهذا فإني أرى رأياً خاصاً وعسى أن لا أجد معارضاً لي فيه وهو: إن الجمال يصوّره الحب الذي يقع في

القلب، لا الجمال المجسّد الذي يبرز بطبيعته للعين.. ولا ننسى حكاية ذلك الذي أحبّ امرأة سوداء فأحبّ لحبها سود الكلاب.

وطالما أننا اتخذنا من قيس مثلاً في هذا الموضوع، ولما له من قصائد هي غاية في التعبير عن الحب والتوله، فإنه يحسن بنا أن نختمه بشيء مما قاله في ليلى ابنة عمه:

أيا ويح من أمسى يُخَلّسُ عقله
فأصبح مذهوباً به كل مذهب

خلياً من الخلان إلّا مُغذّ يا
يضاحكني من كان يهوى تجنبي

إذا ذكرت ليلى عقلتُ وراجعت
روائع قلبي من هوىً متشعب

وقالوا صحيح ما به طيف جنّة
ولا الهمُّ إلا بافتراء التكذب

ولي سقطات حين أُغفل ذكرها
يغوص عليها من أراد تعقُّبي

وشاهد وجدي دمع عيني وحبها
يرى اللحم عن أحناء عظمي ومنكبي

تجنّبتُ ليلى أن يلج بي الهوى
وهيهات كان الحبُّ قبل التجنُّب

ومنها قوله:

لقد عشت من ليلى زماناً أُحبها
أرى الموت منها في مجيئي ومذهبي

اللحية جمال ووقار

وكثيراً ما يكون للقوم الذين يتسابق الشعراء في مديحهم صفات يتميزون بها عن غيرهم. وغالباً ما تكون تلك الصفات موضع إشارة يتخذ منها الشاعر منطلقاً يتفنن من خلاله في أساليب المدح الذي يرسله في أبيات من الشعر.

وقد تكون تلك الصفات جسدية كاكتمال الجسم وقوة البدن وسلامته من العيوب، والعاهات المعوقة.

واللحية واحدة من الصفات التي يوصف بها الرجل بالرغم من أنها ليست من الثوابت كالشامة، والحول، وكبر الأنف أو العور أو ما إلى ذلك مما لا يمكن إزالته إلا بجراحة طبية.

والرجل ذو اللحية الكثيفة الطويلة، إن كان كريماً جواداً فاضلاً متديناً وحكيماً مدح بها وجعلت من مظاهر زينته ووقاره، وأضيفت إلى جميل صفاته، وإن كان لئيماً بخيلاً زنديقاً ثقيلاً متطفلاً كانت رمزاً للسخرية وعنواناً للاستهزاء به.

ولبعض الشعراء مع أصحاب اللحى الكثيفة الطويلة مواقف متنوعة كتنوع صفاتهم، واختلاف سلوكياتهم.

فعلى سبيل المثال في امتداح اللحية الطويلة أسوق قول الشاعر السيد علي الدرويش من شعراء القرن الثالث عشر الهجري، الذي امتدح فيه أحد أمراء عصره بطول لحيته، ووصفها بأنها حلية له، وجمال لوجهه، وذلك بقوله:



انظر لحسن كمال البدر في المثل
بلحية كظلال الشمس في الحمل

أكرم بها لحية بل حلية شرفت
بنور ذات لها الحسنى من الأزل

على السعادة والإقبال أرسلها
هدىً وبشرى وتكريماً لخير حلي

فكرم اللّه وجهاً ضاء رونقه
وجه الأمير عليّ القدر في الدول

ذو همة ومعان طاب عنصرها
عفيف طبع شريف القول والعمل

مثل النسيم صفاءً في تبسطه
مثل الحسام على الأخصام في الجدل

قد التحى بظلال الآصفيّ وزيـ
ر مصرَ فرد جميع العالم البطل

والعز بالخير للتوفيق أرّخها
أكرم بها لحية نعم الأمير علي

وقد فعل عجز البيت الأخير هو تاريخ إنشاء الأبيات: مجموع حروف «أكرم» ومجموع «الأمير» ٢٨٢ ومجموع «على» ١١٠ ليصبح مجموع تلك الأعداد ١٢٦٩ وهو يمثل تأريخ السنة أي سنة ١٢٦٩ هجرية.

○○○○○

خاطرة خاصة باختيار مكان القبر!!

تتنوع الخواطر التي تجول في مخيلة كل منا، ويختلف التعبير عنها بحسب القدرة العلمية والبراعة القلمية التي يستند إليها الكاتب أو الشاعر أو أي متعامل مع الحرف بصفة عامة.

وتنوّع خواطر الكتّاب والأدباء والشعراء والمفكّرين يعني في حد ذاته تكوين أدب متنوع في أسلوبه وفي أغراضه وأهدافه وسماته..

وسياق الأمثلة على وجود تنوع الخواطر لا يحتاج إلى إثبات نماذج هنا، إذ إنه بمجرد تصفح كتب الأدب بصفة عامة، يدرك تنوع الخواطر فيما تحويه من نتاج أدبي، يعرض ألواناً مختلفة فيها ما يشبع رغبات الناس على تلون طباعهم، وتنوع ثقافتهم وتفاوت مشاربهم، واختلاف طبقاتهم، وتباين أفكارهم، ومستوياتهم التي تقوم عادة على فارق السن أو العقل أو الإدراك، أو الذكاء، أو تفاوت القيم التي تقوم عليها حياة كل مجتمع.

وإذا نظرنا بالتحديد في هذا الموضوع إلى تنوُّع خواطر الشعراء نجد أنها شبيهة بالحديقة المشتملة على أنواع متعددة من النباتات، أو هي كمخلاة الصياد التي جمع فيها أنواع مختلفة من الطيور.

كيف لا ونحن نقرأ في ديوان الشاعر الواحد قصيدة رثاء، وقصيدة مديح، وقصيدة هجاء، وقصيدة غزل، وقصيدة استجداء، وقصيدة في وصف الطبيعة، وقصيدة يناجي فيها بعض المخلوقات وكأنها تفهم قوله، وقصائد مشحونة بالسخرية المتعددة الوجوه، وقصيدة تحمل طابع النصح، وقصيدة ملونة فيها آراء متنوعة، وقصيدة مقصورة على اللوم والتوجيه.



وهكذا تأتي كل قصيدة ملبية لما تنطوي عليه الخاطرة التي وردت إلى مخيلة الشاعر.

وإذا كان لا بد من شاهد على اختلاف الخواطر فإنني ذاكرٌ أبياتاً من قصيدة للشاعر عبد الهادي حرب والتي تمنى فيها أن يدفن إذا مات ببقيع الغرقد بالمدينة المنورة، مدينة الرسول ﷺ ومثواه، وهو تمني ينمّ عن عمق الإيمان بمحبة الرسول ﷺ:

شهد الفؤاد بأن أحمد مرسل
بالحق فاشهد يا زمان واشهد

أنا في جوارك يا حبيب ولم يخب
من بات جاراً للحبيب محمد

أنا ظامئ يا صاحب الحوض الذي
كيزانه مثل النجوم. أنا صدي

طال الثواء فهل أفوز بمرقد
بين الأحبة في بقيع الغرقد

قد فاز كل عُدَّ ثامن فتية
ما فيهمو إلا سعيد مهتدي

إني إذا ضمت رفاتي طيبة
من بعدما سمعت دعاء تشهدي

فأنا السعيد بحبكم وجواركم
والموت فيكم يا حياتي مولدي

ما أن مدحت محمداً بقصيدتي
لكن مدحت قصيدتي بمحمد

○ ○ ○ ○ ○

ذكر المناسبة مهم عند تدوين المداعبة!!

والكثير من القراء، وخاصة منهم متذوّقي الشعر يعشقون قراءة المساجلات الشعرية سواء ما كان منها قائماً على المناقضة والتهاجي، أو على المداعبة والتمازح، ولهذا نجد في أعمال الكثير من الشعراء بعضاً من المساجلات التي يعتبرها الناقد رافداً من روافد الأدب المتميز، ويعيرها شيئاً من اهتماماته.

والذي أجد الإشارة موافقة له في هذا الموضوع هو التشديد على ضرورة التقديم للمساجلة في حال تدوينها، وعرض الأسباب التي دعت الشاعرين إلى التساجل بالأشعار حتى يكون القارئ على علم بذلك، ولا يغمض عليه فهم بعض الكلمات والعبارات التي تتضمنها أبيات المساجلة.

والمداعبة في المساجلة وعدم الإطالة وتعمد تطعيمها بشيء من اللذعات الخفيفة كلها أشياء تشويقية يطمع القارئ في أن يجدها في أسلوب ولغة المتساجلين لأنه يبحث وجود مثل هذه العوامل ليستمتع بقراءتها كأدب ضاحك يجد فيه تسلية فكرية.

ومن نماذج المساجلات الرقيقة والرفيعة المستوى، والتي تنز بالأدب والاحترام تلك المساجلة التي جرت بين قطبين من أقطاب الأدب المعاصر هما الشاعر محمود غنيم والكاتب والفيلسوف الشهير عباس محمود العقاد، ومناسبتها هي أن الشاعر محمود غنيم الذي كان مفتشاً بوزارة التربية والتعليم بمصر قد زار مدينة أسوان في رحلة تفتيشية أثناء وجود الأستاذ عباس محمود العقاد بها فقام بزيارته في منزله، وأنشده الأبيات التالية:



أسوان والعقاد فيها كعبة
سمح الزمان فكنت من حجاجها

قد كنت أبصرها برأس حاسر
واليوم قد أبصرتها في تاجها

قولوا لروّاد الكواكب إنني
زُرتَ النجوم الزاهرة في أبراجها

الضاد يا عباس أنت سراجها
وأنا شعاع من وميض سراجها

وقد رد عليه الأستاذ العقاد بقوله:

أسوان في دين السماحة كعبة
بحُدَاتها والغر من حجاجها

أقبل إليها يا غنيم وزدْ بما
حييتها برجا إلى أبراجها

والشعر من وحي الغنيم غنيمة
أغنى الغُشاة مُزوّدٌ من حاجها

أنت الوميض من السراج إذ ارتقت
ومضاته العليا إلى معراجها

○ ○ ○ ○ ○

قصائد بعض الشعراء توثيق لواقع بؤسهم!

وقليل من الشعر من تكون حياته حياة رخاء ورفاه ونعيم، واستقرار وراحة بال، وهدوء نفس، بل إن حياتهم كلها ضنك وشظف عيش لا يرتاح معها لهم بال ولا يستقر بهم قرار.

وهذا الواقع الذي نصفه لحالة الكثير من الشعراء، ليس من باب الاستقراء أو التخمين، وإنما هو وصف لحالة ماثلة توثق واقع بؤسهم وسوء حالهم ونحس طالعهم، علماً بأن إثبات واقع بؤسهم يدعمه، بل يحققه شاهد من أنفسهم لا يغيب ذكره في الكثير من قصائدهم التي يبثون فيها معاناتهم التي يعتبرها القارئ والدارس وثيقة لا مجال لإنكارها، أو تجاهلها من قبل الذين يخالفون الرأي القائل ببؤس الشعراء وفقرهم وسوء حالتهم المعيشية.

ولكن ولما يتمتعون به من خفة روح ودعابة، وميل إلى بعض الأساليب الهزلية التي يرون فيها ما يخفف من معاناتهم من قسوة الحياة. نراهم يصفون واقعهم بأسلوب لا يخلو من السخرية المشحونة بالمبالغة التي يقصدون بها تفكيه القارئ من ناحية، والبوح بحالتهم من ناحية أخرى.

وهذا الموضوع ليس هو الموضوع الأول الذي أتناول فيه الحديث عن الشعراء البائسين، وإنما هناك عدة موضوعات مبثوثة في أجزاء هذا الكتاب.

أما شاعرنا في الموضوع فهو الشاعر السيد علي أفندي الدرويش من شعراء القرن الثالث عشر الهجري، والذي وصف منزل أحدهم في أثناء قصيدة له، وذلك بقوله:



أتوا بي لبيت وهو نصف زريبة
وأعلاه مخباة وفي السفل أفران

به جُعل. بق. ذباب. وخنفس
بعوض. وبرغوث. وقمل. وصيبان

فراشٌ. زنابيرٌ. وسوسٌ. وبرقش
ونحل. وصرصارٌ. قراض. وشعران

وبرصٌ. وخفاشٌ. سحالي. عناكبٌ
وفاشٌ. ونمل. والجراد. وديدان

وما زحت بعض الأرض إلّا وراعني
عقارب فيها أو رُتيلٍ وثعبان

ونمسٌ. ويربوع وضب وقنفذ
وكلبٌ. وخنزير. وضبع. وسرحان

وأشياء من هذا القبيل جهلتها
وأضعاف أضعاف الحبوب ففيران

تقاسم جسمي البعض ليلاً وبعضها
نهاراً كأني الخصم والكل إخوان

والقصيدة طويلة جداً فهي تبلغ اثنين وتسعين بيتاً وقد تضمنها كتابه «الإشعار.. بحميد الأشعار» وقد اشتملت على شيء من الحكمة، والثناء، واللوم وهي بمجملها متنوعة الأهداف، ومتلونة الأسلوب.

○○○○○

وطواط الحميدين يدهش حاتم صادق ويذهله!!

قال أحد المعجبين بما يسمى شعر سعد الحميدين، أو قل خزعبلاته التي تعرف بالشعر الحر، وهو حاتم صادق: إن ممن مميزات ديوان الحميدين ـ رسوم على الحائط ـ قدرة التركيب الرائعة التي تولد مجموعة من الصور والمعاني المدهشة في معظم الحالات، والمذهلة في بعض الحالات.

وهذا الاندهاش وذلك الذهول الذي هزّ الناقد حاتم صادق لا يعد عن كونه تعبيراً عن مقدرة الشاعر سعد على توليد كلمة «الوطواط» الذي فرخ في أغوار كعب الليل، والذي زاد من دهشته هو، كيف أن الحميدين والمجداف مثلاً عكازاً في كفي قعيد؟ فتصور أن قعيد يجدف وله عكاز، والذي أذهله أكثر هو قول الحميدين، عمره ليل مقص يقرض الوقت رماداً.

وكلام الحميدين الذي أغرق حاتم في الدهشة والذهول، واختاره شاهداً على شاعريته هو: وقدامى حكايا الأمس خانعة.. بحذاء ليل فرخ الوطواط في أغوار كعبه.. أنا والمجداف عكازان في كفي قعيد.. يضحك النرد المرصع فاعر الشدقين.. عمره ليل. مقص يقرض الوقت رماداً..

وإحدى التفاسير المحتملة لهذه الرموز التي نبتعد بها عن الشك المذهبي، يحتمل أن يقصد عدم الاستقرار النفسي أو المحلي، وأنه مهما بذل لتكون الحياة طبيعية فإن الأمر القائم أو الأوضاع المسيطرة لا تمنحه المقدرة.



وإذا كان من واجبي كقارئ أولاً وناقد ثانياً أن أهدي شيئاً لصاحب الوطواط سعد الحميدين وحاتم صادق الذي هو اندهش من الهندسة الكلامية التي أوجدها الحميدين للفظة: «الوطواط ووظفها في مكان شعري مناسبٍ، فإنني أهدي الأبيات التالية التي هي منه صنع مهندس الكلمة الحقيقي أحمد صافي النجفي وذلك لاشتمالها على وصف كلام الحميدين ونقد حاتم صادق له. يقول النجفي:

قريض يملأ الأسماع وقراً
ونقد يعشق الأشعار هذرا

وفن أهوج للغرب يُنمى
يكاد يميتنا حساً وفكرا

فتحنا معرض الأزياء نظما
وتحت الزي قبحاً لو يعرى

بربك ما يقول الشعر يوماً
إذا السخف استحال لديه شعرا

فيا من ينقد الأشعار جهلا
ويهوى دون لب القول قشرا

رويدك ما عملت كتاب نقد
ولكن للقريض حفرت قبرا

جمعت مصادراً وحُرمت ذوقاً
سهرتَ لياليا وأضعت عمرا

وكنت بحاجة لشراء ذوق
لو أن الذوق في الأسواق يُشرى

○ ○ ○ ○ ○

وقفة أمام قصر بالي

لا تبتعد طبيعة الشاعر الذي يتصيد الخواطر عن طبع الصياد الذي يحمل بندقيته ويمضي باحثاً عن الصيد في كل مكان.. لا يكلّ ولا يملّ.. فبينما تراه يجوب الأودية حيناً تجده حيناً آخر فوق شعاف الجبال، مشغلاً بصره بالتلفت يمنة ويسرة، فكلما لاح له زول وقف يتحققه ويتعرف نوعه.. هل هو مباح له صيده أم لا؟.

وكذلك الشأن بالشاعر فتراه دائماً وأبداً يتطلع إلى ما يطلق فيه خياله ويبحث عما يسترعي انتباهه، ويتصيد ما يشحذ قريحته، ويحرك ساكناً في نفسه، تستوقفه الحدائق الغن ويستهويه تغريد الطيور فوق الأغصان، ويطربه خرير المياه الجارية في الجداول خلال الأشجار، فيستلهم منها موضوعاً يرسمه في لوحة شعرية بديعة تنطق بالواقع.

ويمر على المقابر فيخاطب أصحابها الموتى بأحاديث الذكريات.. وقد يصنع تقاولاً فلسفياً بينه وبينهم ليوجد مجالاً ينقل من خلاله ما حدث بعدهم، ويستنطقهم عما هم عليه من حال. وقد يقف الشاعر أمام الأشياء الأثرية والأطلال، فيرسل خياله في عمق أجواء التاريخ ليصل به إلى عصر أصحابها كي يلتقط صورة تمثل واقعاً كانوا عليه قبل زوالهم.

وقد يستوقفه مشهد واحد من المشاهد التي أصبحت أثراً كبئر معطلة تهدمت زرانيقها وأنقض طينها، أو ما إلى ذلك من الأشياء التي لها منظر يثير قريحته ويحرك شاعريته.

والصور التي خلّفها الشعراء في هذا المجال كثيرة جداً ولا حصر



لها، ولكن لنأخذ على سبيل الاستشهاد قصيدة الشاعر فؤاد حسن الخطيب المولود عام ١٨٨٠م والمتوفى سنة ١٩٥٧م «القصر البالي» ذلك القصر الذي قال عنه إنه كان قصر لعظيم من عظماء الأمة العربية في السودان، فأبلاه الدهر بعدما نزح عنه أهله:

أيا قصر قل لي أين أهلك؟ ما الذي
عراهم. أما من هاتف فيك ذي خُبر

ألم تكن الأيام تجري بأمرهم
فإما إلى يسر وإما إلى عسر

فهل علموا من قبل أن نزلوا الثرى
بما في ضمير الغيب من حازب الأمر

وإن نمال الأرض تشويك بعدهم
فتخرج من جحر وتدخل في جحر

أأنت هو الصرح الذي كان راسخاً
تزعزع حتى اندكّ صخراً على صخر

فيا لك من قصر تخونه البلى
وأزرى به بعد المخيلة والكبر

تناذر فيه القوم غائلة الردى
تحدّث عن شم العرانين من فهر

أتلك هي الدنيا؟ أهذا مآلها
لعمرك إن العالمين لفي خسر

○ ○ ○ ○ ○

زيد الفياض في عدد من إصدار مرآة الجامعة!!

ومرآة الجامعة إصدار من عدة صفحات يصدر عن قسم الإعلام بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كل نصف شهر والعدد الذي بين يدي هو ١٦٣ الاثنين ١٢ ذي القعدة ١٤١٣هـ، والذي دعاني إلى تخصيص هذا الموضوع من ذلك العدد من الإصدار المذكور هو احتواؤه على حوار أجراه - عمار بكار - مع فضيلة الشيخ زيد بن عبد العزيز الفياض من أهالي روضة سدير وفيه مقارنة بين أول دفعة تخرجت في كلية العلوم الشرعية بالرياض عام ١٣٧٦هـ تلك الكلية التي كانت نواة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وبين الدفعة التي ستتخرّج هذا العام ١٤١٣هـ من جامعة الإمام محمد بن سعود.

قال الشيخ زيد في مجمل إجابته عن الفرق في عدد الطلاب والمستوى العلمي والتصور الأكاديمي للجامعة: إن هناك بوناً شاسعاً ما بين أول دفعة تخرجت في كلية الشريعة عام ١٣٧٦هـ والدفعة التي ستتخرّج هذا العام ١٤١٣هـ، فإن الزمن الفاصل بين الدفعتين ٣٧ عاماً بالتمام والكمال وهذه الأعوام تحمل فوارق كثيرة، فالذين تخرجوا في الدفعة الأولى عددهم ٢٢ طالباً كنت الأول على تلك الدفعة، وقد شغلوا مواقع متعددة على الساحة الفكرية في بلادنا، أما الدفعة التي ستتخرّج في هذا العام فعددها آلاف الطلاب في فروع الجامعة المنتشرة في منطق المملكة.

والحقيقة أن هذه المقارنة التي أشار إليها الشيخ زيد الفياض فيها قياس لسرعة عجلة التعليم في المملكة. ووصف لتطور النهضة التعليمية

في بلادنا التي كانت قبل ثلاثين سنة لا يوجد بها معهد ولا جامعة والآن ونحن في عام ١٤١٣هـ يبلغ عدد الجامعات في بلادنا سبع جامعات عدا الكليات والمعاهد كالكليات العسكرية وكليات المعلمين وكليات البنات والمعاهد الصناعية وغيرها من المعاهد المتحضرة كمعهد الاتصال والتمريض وما إلى ذلك من المؤسسات التعليمية الأخرى.

وأعود إلى عدد مرآة الجامعة لأختم هذا الموضوع بأبيات من قصيدة تضمنها ذلك العدد وهي من شعر الشاعر السعودي عبد الرحمٰن بن أحمد الفيفى، وعنوانها «هموم معيد» منها قوله:

ألا ليت تذكار الزمان يفيد
وماض تولى بالهناء يعود

وليت حبيساً في الهموم له يد
فيرفضها أو قوة فيريد

ومنها قوله:

معيد؟ يقول الناس منصب رفعة
هنيئاً لك البشرى فأنت سعيد

وما علموا أن السعادة غادرت
ولم تبق إلّا رهبة وشرود

علام يُهنّون المعيد. وهمه
جبال تهاوى فوقه ووقود

يكابدها سهداً إذا الليل جنّه
وكل العباد الهانئين رقود

ويحملها همّاً ثقيلاً ورهبة
كما هاب أشباح الظلام وليد

وراتبه بخس ويقصف نصفه
إجار على مر السنين يزيد

والقصيدة طويلة فهي تبلغ ٤٠ بيتاً كلها بهموم المعيد وحالته الاجتماعية المتعلقة بالجانب المادي والعمل المثقل للكاهل.

○○○○○

ليس في الوجود ما يوصف بالقبيح!!

إن التحليلات الفلسفية التي تدور غالباً حول مفهوم الحسن، ومعنى القبيح ينتهي بعض خلافاتها إلى واقع تتحد فيه المفاهيم، على أنه ليس في الوجود شيئاً قبيحاً، وإنما كل ما فيه جميل وإن الذي قد استُقْبِحَ منه ما هو بالقبيح حقيقة لدى الجميع، وإنما استقبحته عين شاعر أو كاتب مشهور فشاع تقبيحه له بين الناس، وصار حكم بعضهم على قبحه بسماعه أقوال أولئك وتحليلاتهم. ليس. إلّا.

والحقيقة أن للشاعر الفيلسوف أو الكاتب المتفلسف مقدرة على وصف الأشياء بما يتفق ومزاجه، وبما يناسب ذوقه، فقد يتولى ما هو جميل في أعين الناس بشيء من أساليبه التحليلية فيحيله من خلال مداخل فلسفية إلى قبيح لا تطاق مشاهدته، وكذلك يفعل في عكس الحالة.

أما واقع الحياة وظواهر الطبيعة وجميع ما في الكون فليس فيه ما يوصف بالقبح الذي يكون قبيحاً في جميع الأعين لأن هناك عيناً تراه جميلاً، وكذلك الشأن بالجميل فإن هناك عيناً تراه قبيحاً.

وعلى هذا فإنه ليس في الوجود ما يمكن وصفه بالقبيح، أو بالأصح لا يمكن أن يكون القبح موقوفاً عليه بالاتفاق.

ولقد أحسن صنعاً الشاعر عزيز أباظة حينما سئل عن الجمال، وفي أي شيء يكون سره فأجاب بأن الجمال موجود في كل شيء، وذلك في قصيدة له منها قوله:

سألوني عن الجمال فقلت

الحكم لاثنين فيلسوف وشاعر



وهو للشاعر المحلّق كَوْنٌ
ساحر من شعائر ومشاعر

متعالٍ بما تأنق رب العرش
في صنعه بريشة قادر

في السماء الزرقاء في القمر الوضاء
في الشمس في النجوم الزواهر

في الغروب المخزون في بسمات
الصبح في غضبة البحار الزواجر

في الجبال الخضراء في القمم البيضاء
في ساكب من السحب ماطر

في غناء الأطيار ترأمها الأشجار
في زهرة المروج النواضر

والقصيدة أطول من ذلك بكثير، وقد استعرض فيها الكثير من الأشياء المحيطة بنا والتي ذكرها كنموذج يستدل منه على أنه ليس في الوجود شيئاً قبيحاً، وقد ختمها بقوله: إن أكمل الجمال هو جمال الله جلّ جلاله، وذلك بقوله:

إنه أكمل الجمال جمال اللّه
ينساب قدسه في الضمائر

○○○○○

من الشعراء من يعشق الاكتفاء..
ومنهم من تضطره القافية إليه!!

والاكتفاء فن من فنون البديع، وله جرس تعشقه الأذن، وهو مستساغ في أسلوب الشعر أكثر منه في النثر. ومن الشعراء من يحاول حشد ألفاظ تخضع حينما تكون قافية لقصيدته لقاعدة الاكتفاء ليدلل على مقدرته اللغوية وعمق تحكمه في صياغة الألفاظ الشعرية، ومنهم من تضطره القافية في بعض التعبيرات إلى توظيف اللفظة التي تحتمل انشقاق الاكتفاء منها.

ولا أريد هنا البحث في معنى الاكتفاء ومفهومه اللغوي بقدر ما أريده من عرض مقطوعة شعرية مشحونة قوافي أبياتها بفن الاكتفاء؛ لأن البحث في ذلك قد سبق أن تناولته في موضوع تقدم في الجزء الثاني من هذا الكتاب تحت عنوان «فن الاكتفاء».

أما المقطوعة الشعرية التي سأنقلها فهي للشاعر الوزير بهاء الدين أبي الفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيى المهلبي، وهو قوله متغزلاً:

أسـرَّ جـفـونـك بـالـهـوى
مـن كـان يـعـرفـه ومـن لا

يعني ومن لا يعرفه.

لـم تـلـق غـيـر حـشـاشـة
مـن مـهـجـتـي وأخـاف أن لا



يريد أن لا تلقى.

وتجدر الإشارة إلى أن هذين البيتين قد أوردتهما شاهداً في الموضوع الذي سبقت الإشارة إلى أنه في الجزء الثاني من هذا الكتاب ولم أنسبهما لقائلهما حيث لم أستدل آنذاك على اسم قائلهما وبعد، لنعود إلى القطعة الشعرية لنرى ماذا قال المهلبي من اكتفاء في بقية أبياتها:

ورسوم جسم لم يدع
ومنه الهوى إلا الأقلا

وبمهجتي من لا أسـ
ـميه وأكتمه لئلا

يريد لئلا يعرف اسمها الناس.

عانقت منه الغصن في
حركاته قداً وشكلا

وكشفت فصل قناعه
بيدي عن قمر تجلى

فلثمته في خده
تسعين أو تسعين إلا

ولعله يقصد إلّا واحدة، حتى لا يساير امرئ القيس الذي أضاف إلى التسع والتسعين واحدة لتكمل المئة، حينما قال من قصيدة شك في نسبتها إليه:

وقبلتها تسعاً وتسعين قبلة
وواحدة أيضاً وكنت على عجل

○○○○○

لا أظن البحتري يقبل هذا العنوان من أبي العلاء!!

ولئن قلت: إنه ليس في قول البحتري عبث كما يقول أبو العلاء المعري في كتابه الذي خصّصه لنقد شعر البحتري وجعل عنوانه «عبث الوليد» فلثقتي التامة بأنه لو كان البحتري معاصراً لأبي العلاء لناقشه في نقده مناقشة ربما تجعله يعض يد الندم عل تسمية دراسته بـ«عبث الوليد».

ولكن لعل جرأة المعري على اختيار هذا العنوان تأتي في ظل الفارق الزمني الذي تقدم به البحتري على أبي العلاء إذ إن البحتري من مواليد عام ٢٠٢هـ ومن وفيات عام ٢٨٤هـ وأبا العلاء من مواليد عام ٣٦٣هـ ومن وفيات سنة ٣٩٢هـ. وهذا يعني أن البحتري متقدم على أبي العلاء بحوالي ١١٢ سنة وهذا الفارق يجعل أبا العلاء في مأمن من غضب البحتري لتسمية شرح ديوانه بـ«عبث الوليد».

وإذا سلمنا بأن البحتري يقبل أي ملاحظة تأتي إليه من مثل المعري فإنه لا يقبل بأي حال من الأحوال أن يكون عنوان تلك الملاحظة «عبث الوليد».

أما دراسة أبي العلاء لديوان البحتري من حيث واقعيتها كمادة لغوية وفلسفية، وكمنطلق دراسي لأسلوب النقد فإنها ذات فائدة للدارس الذي يتعشق فن المقارنة والمعارضة والملاحظة وأسلوب النقد بصفة عامة.

أما منهج أبي العلاء في «عبث الوليد» فقد ارتكز على المفهوم اللغوي في معظمه. فمن نماذج وقفات أبي العلاء على قصائد البحتري الهمزية قوله: قال البحتري من قصيدة له:



فلعلّني ألقى الرّدى فيريحني
عمّا قليل من جوى البُرَحاءِ

وكأنما أبا العلاء لم يستسغ «العلّني» ويفضل عليها «لعلي» لكنه لا ينكر استخدامها لعدم صحة لغتها، وهذا البيت جاء صلة لما قبله ونصه:

زدني اشتياقاً بالمدام وغنّني
أعزز عليّ بفرقة القرناء

والبيتان من قصيدة امتدح بها البحتري أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي، وقد استهلها بقوله:

زعم الغراب منبئ الأبناء
أن الأحبة آذنوا بتناءِ

فأثلج ببرد الدمع صدراً واغراً
وجوانحاً مسجورة الرمضاء

ومن تلك الوقفات التي ينتقل فيها أبو العلاء بين قصائد البحتري الهمزية وقفته عند قول البحتري من قصيدة له:

لهم الفناء الرحب والبيت الذي
«أُدَدٌ» أَوَاخٍ حوله وفناءُ

وكأنما أبو العلاء لم يستحسن جمع أخية على ـ أواخ ـ ويرى أن الأفضل في جمع أخية ـ أواخي ـ كأثفية وأثافي وأوقية وأواقي وأضحية وأضاحي.. وهذا البيت كان مسبوقاً ببيت نصه:

وشريف أشراف إذا احتكت بهم
جرب القبائل أحسنوا وأساءوا

وهما من قصيدة امتدح بها البحتري أبا جعفر محمد بن علي بن عيسى القُمّيّ ـ الكاتب ـ منها قوله:

لَـيُـواصـلـنـك ركـبُ شـعـرٍ سـائـرٍ
يـرويـه فـيـك لـحـسـنـه الأعـداء

فتظل تحسدك الملوك الصيد بي
وأظـل يـحـسـدنـي بـك الـشـعـراء

وعلى هذه الوتيرة من الملاحظات اللغوية يتنقل أبو العلاء من قصيدة إلى أخرى حتى نهاية الديوان وكأنما هو يبحث عن ضالة له بالحس واللمس.

هذا وسوف يكون لي إن شاء الله وقفة أنقل من خلالها بعض ما قيل من أقوال فيها تخفيف عن كاهل المعري المثقل بتبعية ذلك العنوان.

○○○○○

تسمية المعري كتابه «عبث الوليد»
تحاملاً على البحتري!!

في موضوع تقدم في هذا الجزء تحت عنوان: «لا أظن البحتري يقبل هذا العنوان من أبي العلاء» تناولت بشيء من الاختصار توقعاتي بعدم رضا البحتري عن تسمية ملاحظات أبي العلاء على ديوانه بـ «عبث الوليد» وبيّنتُ ما ارتكز عليه منهج أبي العلاء في عرض ملاحظات لا ترقى في بعض الأحيان إلى مستوى الملاحظة.

وفي هذا الموضوع أعود لأنقل بعض ما دار من أقوال حول سبب تسمية أبي العلاء المعري دراسته لشعر البحتري بـ «عبث الوليد».

قال أبو العلاء في تحقيق تسميته شرحه لديوان البحتري بـ «عبث الوليد»: تمّ الإملاء المعروف بـ «عبث الوليد». وهذه التسمية موقوفة بين أمرين: أحدهما: أن يراد عبث الوليد الذي هو البحتري، والآخر: أن يعني الوليد الذي هو الصبي وكون الرجل سمي بالوليد - يعني البحتري - تجمل التسمية والله الموافق.

ومن هذه العبارة استشف أن في الأمر تحاملاً على البحتري، وبعض النقاد يرون أن اسم البحتري وهو - الوليد - قد ساعد أبا العلاء على أن يجرأ على تسمية إملائه بـ« عبث الوليد».

والحقيقة أن اسم الوليد كان فيه ما يوحى بذلك، ويجعل كلمة «عبث» مناسبة لـ «الوليد» لكن هذا لا يعفي المعري من الاتهام بالتحامل على البحتري، وتصيد بعض تجاوزاته اللغوية.

والدليل على تحامل المعري على البحتري وقوفه في «عبث الوليد» على قول البحتري:

ذاكي حريق أثقبت شُهُبَاتُه
في الجو مصعدة ومدّ فُرات

وقوفاً قال فيه: إذا صحت هذه الرواية فهي جمع شهب وذلك جائز.. فاعجب من تجويزه له والوقوف عنده.. وأشار إلى أنه كقصر في جمع الليل ثم جمعوه على قطرات.. وقطرات هي على وزن شبهات.. وهذا البيت من قصيدة مجموع أبياتها ٣٢ بيتاً يفتخر فيها البحتري ويعاتب قوماً من أهل بلده، منها قوله وهو البيت المتقدم على البيت السابق:

لن تحدث الأيام لي بدلاً بهم
أيهات من بدل بهم أيهات

أما البيت الذي بعد البيت السابق مدار البحث فهو قوله:

ومُعَيِّرٍ بالدهر يعلم في غدٍ
إن الحصاد وراء كل نبات

ومن تلك القصيدة قوله:

ومن الأقارب من يُسَرُّ بميتتي
سفهاً وعُزّ حياتهم بحياتي

ثم وقوفه على قول البحتري:

صدفتم بطلحة عن حقه
وأضربتم عن موالاته

وكيف يجوز لكم جحده
وطلحتكم بعض طَلْحَاتِهِ

وقوله: أن البحتري سكن اللام في «طلْحاته» وإنما الوجه الحركة، وبعض الناس يزعم أنه ضرورة في الشعر وفيهم من يرى أنه جائز في الكلام.. ويقول: تسكين مثل هذا جائز، وأعجب كيف يكون التسكين جائزاً ثم يجعل منه ملاحظة على البحتري؟! والبيتان في الديوان ليسا موصلين بغيرها ولا واصلين.

والذي يظهر تحامل المعري على حقيقته ما جاء في رده على البحتري في قصيدته التي أشار فيها إلى عدم احتفاء بغداد به، يقول المعري في ذلك الرد المنطوي على التهجم الصريح:

ذمّ الوليد ولم أذمم جواركم
فقال: ما أنصفت بغداد حوشيتا

فإن لقيت وليداً والنوى قُذُف
يوم القيامة لم أعدمه تبكيتا

○ ○ ○ ○ ○

رب ضارة نافعة!!

كان صديقي عليلاً يشكو من آلام متنوعة في سائر جسمه، وقد حمله التصبر عليها فترة من الزمن رغم نصحه بعدم إهمال نفسه والتساهل بما يشكو من آلام ربما كان بعضها مبرحاً. لكن أحداً - وأعني بذلك العلل - ألزمه الفراش حتى استدعت حالته نقله إلى المستشفى وهناك أجريت له فحوصات حددت نتائجها موضع الألم الذي كان سبباً لجميع ما يشكو منه من آلام في سائر جسمه، وأجريت له عملية كلّلت بالنجاح ثم خرج من المستشفى سليماً معافى من جميع ما كان يشكو منه من الأمراض، وكأنما إجراء تلك العملية الناجحة جاء تأكيداً لمفهوم العبارة القائلة: «رب ضارة نافعة».

قلت له: وعليك أن تشكر الله الذي جعل الألم يشتد بك حتى ذهبت إلى المستشفى وعرف سبب مرضك الذي كان ملازماً لك وقتاً طويلاً، واستؤصل والحمد لله. وهذا واحد من مصداقية قولهم: ما من همّ إلّا وله فرج، ولا ضيق إلا وله مخرج، ولا بلاء إلا ويعقبه عافية.

والأقوال في ذلك كثيرة وأجلّها وأصدقها، وأسماها، وأكملها مصداقية قول الحق المبين في سورة الشرح الآيتان ٥، ٦: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝﴾.

وإذا نظرنا إلى هذا الموضوع من الزاوية الأدبية وجدناه قد أخذ باهتمام الأقلام. فهذا الشاعر إسكندر أفندي قزمان المتوفى سنة ١٩٢٤م قد قال قصيدة عنوانها «وتأمل» عالج فيها هذا الجانب بأسلوب ذكي أشار فيه إلى أنه قد يكون المرض الذي يصاب به المرء سبباً لشفائه من

سائر الأمراض، ثم أخذ يعرض بعض الحِكَم ويطالب بالاستمساك بها وذلك بقول:

وتأمل من قبل نومك في يو
مك واذكر صفاك فيه وهمك

وعلى الحالتين ربك فاشكر
فهو أدرى بما يلائم جسمك

ربّ غم نفى به اللّه غمك
رُبّ سقم شفى به اللّه سقمك

تُب له عن شرّ بدا منك في يو
مك واعقد للخير في الغد عزمك

وتجلد إذا بليت بضر
فيه واصفح عمن هجاك وذمك

والزم الحلم عند غيظك واصمت
لا تراجع حتى تراجع حلمك

واتخذ كيد الحاسدين دليلاً
أنْ عليهم قد أشرق اللّه نجمك

وترفق بالحاسدين كفاهم
ما يلاقون عند ذكرهم اسمك

○○○○○

حب الوطن فوق كل حب دنيوي!!

والكلام عن الحب المحسوس والملموس في لغة الشعراء يطول ولا ينتهي الباحث فيه عند حد.

لكن الحيرة تكمن في حب ينازعه حب آخر في قلب واحد. والمفاضلة في هذا الأمر يحكمها واقع يتمثل أمام العين التي تبصر منظرين متضادين في كل شيء.. حتى في المنطق وأساليب الكلام.. فأحدهما يفاتح الشعراء في الحب ويحاول اجتذاب عقولهم واستنطاق ألسنتهم ليتوجهوا نحوه. وهذا ما عبر عنه الشاعر مصطفى حسن حمد الله النبالي وكشف واقع أمره على لسان تلك التي تستثيره وتحرك في بحر حبه مجداف الغزل طمعاً في أن يكون لها مكان في زورقه.

وتسألني ألست تقول شعراً؟
فأنت كما يقول الناس شاعر

تطاوعك المعاني والقوافي
وتلتهب العواطف والمشاعر

ولكن هذا الاستهواء لم يكن عاملاً حقيقياً لتوجيهه نحوها لأنه كان مشغوفاً أو مشغولاً بحب غيرها، وهو حب يتردد صداه في نفس كل من يعايشه على الأرض التي ترعرع فوق ثراها واستظل تحت سمائها، إنه حب الوطن الذي يزداد في كل يوم عمقاً في النفس خاصة إذا كان يحتوي مقدساً إسلامياً كمدينة القدس الشريف التي جعل الشاعر من احتلال اليهود لها ما يصرفه عن قول الغزل والتغزل في الجمال البشري إلى الاشتغال بحب القدس. والحث على تخليصها من أيدي



اليهود المغتصبين لها. وذكر ما تعانيه من تدنيس وإهانة. ولهذا فهو يرد بكل صراحة على تلك التي طمعت في مغازلته لها بقوله:

أعاذلتي كفاني منك لوماً
فإني للهوى والحب صائر

ولكني شغلت بحب أخرى
على ربواتها قامت مجازر

وعمّ الظلم منها كل صوب
وأحرقت المساجد والمنابر

أأترك جرحها يدمي وأمسي
صريع الكأس في الحانات ساهر

وأشرب من لمى الحسناء كأساً
وفي أرضي يهودي مكابر

وأهفو للكواعب والغواني
وشعبي قد غدا مليون ثائر

ومن ذا الذي لا يؤيده في ذلك؟ بل من ذا الذي لا يناصره على رفع الظلم الواقع على محبوبته (القدس) ومن ذا الذي لا يزجر أية غانية تطالبه بأن يترك حب القدس ويأخذ بحبها ومغازلتها؟ لا أظن أحداً يسري في عروقه الدم العربي إلّا ويوافقه على قراره.

○○○○○

أشجان الليل

و«أشجان الليل» ما هي إلّا عبارة اختارها الشاعر السعودي حسين عرب المولود بمكة المكرمة عام ١٣٣٨هـ. عنواناً لقصيدة أطال فيها النفس فبلغ بأبياتها نحواً من ثلاثة وأربعين بيتاً قسمها على سبعة مقاطع، استهل معظمها بـ«الليل» أما مطلعها فهو قوله:

سهران قد لعب الهوى بصوابه
وقف الكرى ثملاً على أهدابه

وفيها ناجى الليل مناجاة العاقل الذي ينتظر منه إجابة شافية، وذلك بقوله:

يا ليل حسبك من غواية شاعر
ذهبت أمانيه بومض شبابه
حيران كالطيف الغريب تزاورت
عنه العيون وضل نهج مآبه

ويمضي مع محادثة الليل ومساءلته مساءلة المدرك الذي يأمل منه فهم شكايته والإنصات لاستفهامه:

يا ليل ما الآمال؟ ما وهم الحجىٰ؟
ما العالم الممطول في أحقابه

ويزيد في الإمعان في مساءلته الليل عن كثير من الأشياء التي يكتنفها غموض لا يدرك كنهه.. لكنه في هذه المرة يوحي إلى الليل بأن أقماره المضيئة ليست فريدة من نوعها من حيث التوهج ونشر

الضياء.. وإنما في الأرض أقمار كانت مضيئة، لكنها خبت وانطفأ ضياؤها. وذلك بقوله:

يا ليل ما الأقمار فيك تألقت
بضيائها المرفض من محرابه

في الأرض أقمار خبت أضواؤها
لما تعجلها الدُّجى بإيابه

ويحاول استكشاف بعض المجهولات من خلال مطالبة الليل بالإفصاح عما خلف ظلامه من أشياء قد سترها البعد عن بصره.

يا ليل هل خلف الظلام أشعة
وهّاجة للمستنير النابه؟

هل للكواكب في ذراك عوالم
مستورة بالبعد خلف حجابه؟

وعلى هذه الوتيرة من التساؤلات المشوبة بالأسلوب الفلسفي سار الشاعر حسين عرب بهذه القصيدة مصطحباً الليل يسأل كواكبه عما إذا كان هناك عوالم خلفها.

وهي ـ وأعني بذلك القصيدة ـ مدونة في مجموعته الشعرية الجزء الثاني منها.

○○○○○

ثمن المراهقة ومفهومها

والدخول في مرحلة سن المراهقة وممارسة مفهومها يعني مصاحبة هوى النفس التي تمتطي نزوات الشباب وتوهيماته التي تعرف بالمنعطف الحياتي الخطير الذي يكون في تجاوزه صعوبة، بل ربما دفع المراهق ثمن مراهقته حينما لا يتجاوزه بسلام لأن التوقف في منعطفه يجرح الكبرياء، ويذل النفس، ويدنس الاعتبار، ويسيء إلى السمعة.

وقيادة النفس في ذلك المنعطف الحساس يُعَدّ من الأمور التي يجب أن يتنبه له الشاب حين تنزلق قدماه فيه حتى لا يمضي في متاهات يصعب عليه الرجوع منها، الذي يتوقف باحثاً في مفهوم معنى المراهقة تتكشف له طرق متشعبة وغير مستقيمة تشكل في مجموعها المراهقة بعينها.

أما كيف نحدد مفهوم المراهقة ونصف طبيعتها؟ فإن هذا من الأشياء التي تتطلب وصفاً منبثقاً عن مشاهدة الواقع الذي تتكون منه المراهقة، ولهذا فإن خلاصة القول في ذلك تعرف المراهقة بأنها مجموعة خلال وصفات مختلطة تتصارع داخل النفس في مرحلة الشباب وتصف الملازم لها بصفة السفاهة.. أما الذي يتجاوزها إلى الحلم بزورق العقل ومطية الضمير الواعي، هو الذي يستطيع وصفها بحكم المشاهدة والتطبيق، والوقوف من أجل مساءلة من مر بهذه المرحلة ومكث فيها ثم اجتازها فإن مساحة هذا الموضوع لا تكفي لتسجيل إجابته خاصة إذا كان قد مارس المراهقة بمعناها ومفهومها الاجتماعي الذي يحذر منه أهل الفكر والعقل.



أما البحث في أسباب الوقوع في المراهقة أو الاستمرار في الانزلاق فيها فيرجع إلى أمور كثيرة، لعل أهمها: البؤس، والحرمان، والقسوة على الشباب والتوجيه الخاطئ، وعدم التكيف في التعامل معه وغير ذلك من الأمور التي تجعله يتخذ قراراً ينأ به عن ذلك الوسط. فتكون النتيجة: مثل ما أشار إليه الشاعر منصور دماس في قوله:

كانت مراهقة وكان مراهقاً
فتعلقت لما هفا وتعلقا

وتلهفت لرضاً به لما بدا
لرضابها متلهفاً متشوقا

مسكينة غرت به حتى رأت
في أهلها نكداً إذا بَعُدَ اللقا

وهبته من بستانها المحفوف بالو
رد الندى جنى لذيذاً مورقا

حسبته أهلاً للمحبة فارتوى
من شهدها وجنى الثمار وطوقا

مسكينة لو أنها ما صدقت
كلماته الجوفا لهان وما ارتقى

خان الإخاء فلم يدع لسواه من
فعل الشهامة والدماثة منطقا

لو أنه رجل لما زلت به
قدماه في عفن الهوى وتملقا

○ ○ ○ ○ ○

القرآن والسنة تحولان
دون التقليل من شأن اللغة العربية!!

تتعاقب الأقلام الغيورة جيلاً بعد جيل على تمجيد اللغة العربية وإظهار فضلها، بل تشهد بعظمتها شهادة تذكر بها الغافل عن الاعتراف بأهميتها وأصالتها. وبأنها كانت الوعاء الواسع للقرآن الكريم الذي هو حبل الله المتين وحجته الدامغة، والرسالة السماوية التي ختمت بها الرسالات.

ويزخر التاريخ، بل يعبق بما سطر على صفحاته من بحوث أدبية وعلمية عن اللغة العربية وما لها من فضل على العالم.

أما أبناء اللغة العربية فإنهم قد تميزوا بفصاحة اللسان عمن سواهم من الشعوب التي لا يستطيع لسان أي منها أن يلفظ حرف الضاد لفظاً صحيح ويخرجه من مخرجه الحقيقي، وهذا تمييز فيه شرف للعربي الأصيل.

والفضل الذي تتقدم به اللغة العربية على سائر لغات العالم يترجمه ترجمة كلها فخر واعتزاز الضمان القرآني الذي حققت نصوصه الكريمة تخليدها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والذين يناهضون الإسلام ولسانه العربي الفصيح يرون تعجيم اللغة العربية مدخلاً يقصرون من خلالها على الإسلام وأهله، ومن خلال هذه الرؤية العدائية راحوا يدسون الدسائس على مفاهيمها ويتهمونها بالعجز دون أن يعرفوا مدى استعدادها لاحتواء أي لغة من لغات العالم، لكن الحقد والعداوات قد نزعت بهم إلى هذا القول وترويجه بين الشعوب التي لها علاقة بالعالم العربي تمهيداً لإيصاله إلى العرب بأسلوب يستهوي ضعفاء النفوس فيناصرونهم بعقوقهم لها. وقد يتمادى الحداثيون منهم فيطعنونها بتستر بمدية



قذرة في ظهرها؛ لأنهم لا يستطيعون المجاهرة بذلك. فالقرآن الكريم والسنة المطهرة التي جاءت بلسان عربي مبين قد حالت فصاحتها وجلالها وجمالها وهيبتها ووقارهما دون ما يشتهونه من طعن ظاهر وغير متستر.

ولأهمية الوقوف في وجه كل متخاذل ومتآمر عليها استنطقها كثير من الشعراء وجعلوا لسان حالها هو الذي ينافح عنها ويفحم المتآمرين عليها، وممن قال على لسانها الدكتور محمد خضر عريف حيث صنع قصيدة منها قوله:

لا ترثني كم غيور جاء يرثيني
لما أزل حية والله يحييني

إن كان صوتي لا يحظى بمستمع
في موكب البؤس والإذعان واللين

وإن دعوت ولم أنصر بمن رضخوا
سينصر الحق بالغر الميامين

يا من حملت سيوف المكر قاطعة
وجئت تطعنني أو جئت ترديني

سيحفظ الذكر في حفظي إلى أزل
ويخلد الآي في نضجي وتبيين

كم في خلودي على الأجيال من عظة
أو في صمودي من حين إلى حين

فإن طعنت فإن الطعن علمني
أن أهتف اليوم في كل الميادين

لن تبلغوا من حماي اليوم مبلغكم
كمبلغٍ ليهود من فلسطين

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ عشرين بيتاً وقد قرأتها في «الأربعاء» الملحق الأسبوعي لجريدة المدينة ٢٩ شوال عام ١٤١٣هـ.



حداثة الشعر وبنيويته!!

وتربط الحداثيين من الشعراء بالبنيويين رابطة الاشتراك في العمل على قطع الصلة بالماضي. وفصم حلقة تاريخ الأدب والتراث فصماً لا يرتبط معه بالأدب الحديث. بل إنهم ليتخذون أوصافاً للتراث الأدبي أقلها ـ رجعية الفكر ـ واتهام اللغة بالعجز والتقصير بينما هم يخوضون في سواحلها ولا يعرفون العمق الذي قاسه أولئك الذين خلفوا لنا ذلك الزخم من التراث اللغوي والأدبي.

ومن التعليلات الفاسدة التي نسمعها من أعداء لغتنا وتراثنا قول ـ تريستان تزارا[(١)] الروماني اليهودي الذي جاء إلى باريس وأنشأ مذهباً جديداً سموه «دادا» وهو لقب «الحمار» ـ: إذا كان المستقبل لا يبنى بمواد الماضي الصدئة المهترئة الشبيهة بدخان السجائر فإن الواقع يبنى بأعقاب السجائر التي تلقى على الأرض.

قلت: والتصويران كلاهما خطأ من وجهة النظر الحقيقية التي تقف إلى جانب تأصيل الحضارة الأدبية، فالماضي لا يجوز وصفه بالدخان بصفة عامة فما بالك بدخان السجائر النتن الرائحة إلّا في مجتمع تريستان، والأدب الحاضر الملتزم بما تعنيه كلمة (الأدب) لا يُشبّه بعقب السيجارة الذي يتحلل ويخلط بالتراب فلا يرى له أثر.

قال الدكتور منير العجلاني في بحث له في مذاهب الشعر الفرنسية: «إن أنصار مذهب «الدادانية» قد اخترعوا لعبة تصنع شعراً،

---

(١) ولد تزارا سنة ١٨٩٦م وتوفي سنة ١٩٦٣م، ولم تنشر آثاره إلا بعد موته.



وذلك أن تقص من جريدة كلمات وجملاً قصاراً ثم تلصقها في غير ترتيب على ورقة وترسلها إلى مجلة «دادا» فتنشرها. ولن يفهمها القراء فيكون ذلك دليل على جودة الشعر وعمقه، لأن الشاعر العظيم هو الذي لا يستطيع الناس فهم شعره».

قلت: وهذه العملية أو اللعبة بالأصح قد وصلت إلينا وعرفنا بالشعر الحر أو المنثور الذي لا يفهم أوله من آخر ولا أسه من رأسه، وإنما هو رموز لا يتفق اثنان على تفسيرها أو تحديد هدفها. لكن رفضه والحمد لله قائم وقوي من قبل بعض الشعراء الذين يرون جمال الشعر في قافيته وتفعيلته وقوة معناه وتماسك مبناه، من أولئك الشعراء الشاعر السعودي يحيى توفيق حسن الذي يقول من قصيدة طويلة قوامها ٣٤ بيتاً يصف فيها كيف استخدم أعداؤنا جهالنا لهدم لغتنا وإضاعة تراثنا:

دسوا لنا جهالنا ليشوهوا
ألق التراث ووشيه الفينان

نظموا القصيد ولا قصيد، وإنما
مسخ عجيب واختلاط لسان

صلبوا له الأقمار جوقة موكب
والعازفون فكسروا العيدان

في كل منعطف طبول دعاية
وعلى الدروب قوافل الإعلان

علم الصغار عن الطموح إلى الذرى
فتقوقعوا في حمأة القيعان

أمن الحصافة تركهم بضلالهم
يتخبطون تخبط الوسنان



يتقيأون ويعبثون بقيئهم
ونعيش نحن كآبة الغثيان

ماذا يريد شبابنا أن يثبتوا
شعراً؟ فلا شعر بلا أوزان

○ ○ ○ ○ ○

الجنة تحت أقدام الأمهات!!

في الحديث الشريف: «الجنة تحت أقدام الأمهات»، والتذلل للأم والخضوع لها خضوعاً كله شفقة ورحمة، ورقة وعطفاً وتودداً واحتراماً لا يحصل إلّا من مؤمنين قد جعل القرآن والسنة المطهرة منهجاً لحياته فأخذ بما جاء فيهما من توصيات وأوامر وتجنب ما ورد فيهما من نواهي وزواجر.. فتراه يعامل أبويه بنص الآية الكريمة: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]، والذي يعامل أبويه وفق هذا المنهج القرآني الكريم ويكون أرضاً دمثة لأقدامهما هو الذي سيكافئه الله بالجنة، قال عليه الصلاة والسلام: «الجنة تحت أقدام الأمهات».

والحث على إطاعة الوالدين والرفق بهما عند كبرهما، وعدم عصيان أمرهما متواصل من قبل الدعاة وأهل الفكر وأصحاب الأقلام.

والشواهد على توفيق البررة بوالديهم في الحياة الدنيا كثيرة جداً.. والمتتبع لهذه الظاهرة لا يجد باراً بوالديه يعاني من قسوة الحياة أو ضائقة الزمان.

وقد أخذ الشعراء دورهم بالإشادة بالأم وعلو مكانتها. وما لها من حقوق وواجبات لقاء ما تبذله في سبيل تربية أبنائها وتأديبهم وإسعادهم وراحتهم فخصص بعضهم بعض قصائده في مديح الأم.

وممن امتدح الأم وأثنى عليها بما هي أهل له الشاعر مصطفى

حسن حمد الله النبالي، الذي أنشأ قصيدة بهذا الخصوص عنوانها «الأم»، ومنها قوله:

هبة الإلٰه ورفقة من نوره
نزلت إلى الدنيا تنير دجاها

هي رحمة، واللّه جل جلاله
من فضله للكائنات حباها

أوصى بها، ودعا الأنام لبرها
ورضاه بات معلقاً برضاها

لا خير في الدنيا بغير عطائها
فالخير ما جادت به كفاها

أجد السعادة والهناء بقربها
أمي.. وهل نبع الحنان سواها

من مثلها؟ تعطي خلاصة عمرها
طوعاً وتبذل صبحها ومساها

هي بلسم الأرواح تبرئ جرحها
وتزيل عنها بؤسها وشقاها

كم ليلة باتت تهدهد طفلها
حتى ينام، ولم تنم عيناها

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ نحواً من أربعة عشر بيتاً وموجودة في ديوان مصطفى النبالي «أين الطريق».

○ ○ ○ ○ ○

«روماتزم» الركب في الأدب!!

لا يستغرب من المسنين ومن ابتلوا بداء الروماتزم في ركبهم، كثرة الشكوى من آلام المفاصل وخاصة منها مفاصل الركب.

وإنما الذي يستغرب أن ترى مسناً يجلس جلسة القرفصاء، أو يجلس متربعاً كما يجلس الشاب، ولا يمل من طول الجلوس ولا يضجر من الجلوس متقرفصاً.

ومن طريف ما يقال في هذا الموضوع أن بعض المسنين الذين لم تصب ركبهم بذلك الداء تراهم يتواجعون بنغمات يتظاهرون بها بأنهم مصابون بـ«الروماتيزم» وذلك خوفاً من أن يغبطون أو أن يصيبهم حاسد بعينه فيتبعهم بمعاينته لهم ركب المتألمين حقيقة من أوجاع ركبهم.

يروى أن أحدهم زار صديقاً له كان يشكو من ألم شديد في ركبتيه فأخذ يواسيه ببعض المداعبات التي أراد أن يتوصل من خلالها إلى القول بأن داء الركبتين ليس من الأدواء التي يجدي فيها العلاج وليحمله على التصبر فقال له: إنني أذكر أن شاعراً قال بيتاً من الشعر في داء الركبتين لكنه لم يحضرني الآن صدر البيت أما عجزه فيقول: «وما لداء الركبتين دواء» قال صديقه الذي يشكو من ركبتيه: ليتك يا أخي حفظت أول البيت ونسيت آخره.

ولبعض الشعراء وقفات طريفة يطلون من خلالها على داء الركب بأسلوب أدبي شيق وجذاب، من ذلك ما كتبه الشاعر السعودي المعاصر محمد بن سعد المشعان قائلاً:



يا شيخ بي ألم أمات سروري
أدرك أخاك بـ«لبخة الدكتور»

ألم الركيبة لا أبا لركيبة
موفورة الآلام والتكدير

ما زلت أشكو ركبتي في مجلسي
وأنوء بالأوجاع حين مسيري

وإذا وقفت صرخت من آلامها
وتجدُّ في الإيجاع فوق سريري

و«ابن الأكارم» باذل لعلاجه
ولنصحه ويضيف بعض تمور

ولجرة العسل الذي يسخو به
ويقول جرّب لحسة لسحور

حتى إذا جرّبته أكبرته
وأضفت منه لحسة لفطور

وشكرتُ عبد الله واستمطرتُهُ
دبساً فأهدى منه حمل بعير

والأبيات أطول من ذلك فهي تبلغ نحواً من عشرة أبيات وقد قرأتها في جريدة «الرياض» العدد ٩٠٢٣، يوم الاثنين ١٥ رمضان ١٤١٣هـ.

○○○○○

نداء الغريق في بحر الغرام!!

عندما يستشري الحب في النفس ويصبح جزءاً من غذائها الرئيسي ثم تعتو أمواج الجفوة ويكتسح سيل الصدود نفس العاشق فإن دموعه تنهمر على وجنتيه، وقد يرتفع صوته مستجيراً بمن هيج أمواج الغرام في نفسه، وصرف مجرى سيل الوصال عن ناحيته، وأحدث لوعة الشوق في قلبه.

والبوح بما يعانيه الغريق الذي لا يعرف كيف يتعامل مع بحر الحب لا يتعارض في مفهومه مع أدب الغزل، وقد يوصف من لايعرف السباحة في بحر الحب بالدمية التي تطفو على سطح البحر فتعلو بها الأمواج حيناً، وتلقى بها في الأثباج أحياناً، إذ إنه لا يملك من الأمر شيئاً وإنما هو طوع حركة المد والجزر التي يتلقاها ممن علق بحبه وانساقت إليه نفسه.

وتصوير هذا المشهد الذي يقع فيه العشاق يأتي في كامل صورته الجميلة إذا رسمه شاعر قد اكتوى بنار الحب وذاق صد محبوبته، وخاصة إذا جعل صهوة كلمته الشاعرة جانباً من طبيعة البر والبحر، ومزج بين حاليهما في التعبير التصويري في قافية شعرية بديعة.

ومن الصور التي ترجمت همسات الحب المتغلغلة في جانب واحد من الطرفين، تلك الصورة التي رسمها الشاعر السعودي يحيى توفيق حسن في قصيدة له جعل عنوانها «حبيبتي أنت» وبلغ بها سبعة وعشرين بيتاً موزعة على ستة مقاطع لكل مقطع قافية مستقلة.

يقول الشاعر يحيى في المقطع الأول منها:



ما أنت سالية.. ولا أنا سالي
حالي كحالك فاصفحي وتعالي

في ليل صمتك تزهر الأشواق في
صدري.. وتورق في سفوح خيالي

ويضوع عطرك في دياجي غربتي
يجتاح نبضي.. يمتطي موَّالي

وعلى صهيل الريح ترحل آهتي
وتعود نازفةً مع الآصال

وتجف في عيني الدموع من الأسى
ويحار في شفتي ألف سؤال

أما المقطع السادس فقد جاء فيه قوله:

لا تتركيني في الضباب كريشة
مالت بها الأنواء حيث تميلُ

للموج يلعب بي وأنت بعيدة
عنّي.. أجدّف والطريق طويل

وحدي كطفل حائر في زورق
بين العباب.. وللرياح عويل

○○○○○

ابن إدريس يخرج من موقفين محرجين!!

قل من الناس من لا تصادفه بعض المواقف المحرجة.. لكنها إذا كانت موافية لأديب أو كاتب أو شاعر فإنه يكون لها طرافة وصدىً بعيداً في المجتمع الأدبي.

وكدليل على ذلك ما صدف لشيخنا وأديبنا عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس من مواقف أهمها أنه قد كان مدعواً للمشاركة في أحد مهرجانات المربد بالعراق، وكانت مشاركته بقصيدة استنسخها في ثلاث ورقات ثم صورها وأبقى الأصل في جيبه: قال ابن إدريس: «وعند حضوري المهرجان أخذ مني المشرفون على البرنامج القصيدة للاطلاع عليها ثم أعادوها إليّ، ودونما أتفقدها وضعتها في جيبي ولما جاء دوري اعتليت المنبر وأخذت في إلقاء القصيدة ولما انتهيت من الصفحة الأولى لم أجد الصفحة الثانية، وإنما وجدت الصفحة الأخيرة، فقلت: أين هي؟ وأعني بذلك الصفحة الثانية، وعلقت تعليقاً مناسباً ألقيت فيه اللوم على المتسبب في ذلك ثم استخرجت الأصل من جيبي الآخر وواصلت الإلقاء فاستحسن ذلك مني جميع الحضور، ودوت القاعة بالهتاف».

أما الموقف الثاني والذي أكتفي بذكره في هذا الموضوع فهو أنه حضر افتتاح المهرجان الشعبي الثقافي الثامن بالجنادرية بالرياض بناءً على دعوة من إدارة المهرجان، ولما حضر إلى قاعة الاحتفال واستقرّ به المكان سأله أحد المسؤولين عن القصيدة التي سيلقيها في هذا الاحتفال فأظهر دهشته واستغرابه فأكد له المسؤول بأن اسمه مدرج على قائمة برنامج الحفل الذي يحضره عدد كبير من مفكري وأدباء العالم العربي.



وقد كان داعي الاستغراب أنه لم يصله في البريد ما يبلغه بهذا التكليف ففكر في الانسحاب كمخرج من ذلك المأزق الذي وقع فيه.. وفي أثناء ذلك الحوار الدائر بينه وبين المسؤول تدخل شخص فقال لابن إدريس: إن ديوانك «في زورقي» موجود لدي في السيارة فهل تريد أن أحضره لتقرأ منه كحل لهذا الموقف المفاجئ، قال ابن إدريس: فأحضر ذلك الرجل ديواني فاخترت من بين قصائده قصيدتي التي جعلت عنوانها: «هي أمتي» فألقيتها بعدما أنبت إدارة المهرجان على عدم متابعة الرسائل التي ترسل وفيها تكليف بالمشاركة في برنامج الحفل.. واسترسلت في التأنيب استرسالاً تشفيت به ممن أوقعني في ذلك المأزق.

وبعد: إنه من المناسب جداً أن أختم هذا الموضوع بأبيات من تلك القصيدة التي أنقذت صاحبها من ذلك المأزق، وهي قوله:

رسمت على وجه الزمان سماتها
مجدولة الأضواء من هالاتها

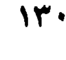
شماء لم تحن الجبين لغاصب
أو طامنت أحداثها هاماتها

شاخ الزمان وما تزال فتية
والدهر يحسدها على قسماتها

تضفي على الآفاق كل فضيلة
من عطفها الفياض.. من خفقاتها

تحلى على التاريخ كل عظيمة
من مجدها وتنيل من خيراتها

نبتت على طيب الأصول فروعها
وتمايزت عن غيرها بثباتها



وبنت على هام الدهور قلاعها
مرهوبة الأكناف من جنباتها

كم حاول الحساد طمس جمالها
وتآمروا للنيل من غاياتها

○○○○○

ومات عثمان حافظ

مؤسس مؤسسة المدينة للصحافة!!

في يوم الثلاثاء الموافق ١٦ رمضان ١٤١٣هـ امتدت يد المنون واختطفت واحداً من رجال الفكر والصحافة في بلادنا هو الأستاذ عثمان عبد القادر حافظ الذي كانت ولادته بالمدينة المنورة عام ١٣٢٨هـ، فأحدثت وفاته ضجة في الوسط الأدبي والصحفي وتسابق الكتاب والشعراء من أصدقائه في رثائه، وذكر مآثره ومناقبه الحميدة. وتباروا في كشف النقاب عن سيرته الذاتية المشرقة فأفادوا بأنه استكمل دراسته ونال شهادة التدريس من أستاذه الشيخ عبد القادر توفيق شلبي، كما ذكر أنه قرأ في المسجد النبوي على عدد من المشائخ الذين منهم الشيخ أحمد بساطي والسيد أحمد الفيضي أبادي والشيخ إبراهيم بري، والشيخ محمد الأنصاري، وغيرهم كثير.

أما حياته المهنية فقد ذكر أنه التحق بالوظائف الحكومية منذ عام ١٣٤٥هـ حيث عين كاتباً أولاً في مديرية المعارف بالمدينة المنورة وهي أول وظيفة أسندت إليه، ثم تدرج في الوظائف الحكومية والنشاطات الأدبية إلى أن انتخب في عام ١٣٨٦هـ رئيساً لتحرير جريدة «المدينة»، وبقي في رئاسة تحريرها ١١ سنة وفي عام ١٤٠٣هـ أقامت مؤسسة المدينة للصحافة التي كان أحد مؤسسيها حفل تكريم له ولأخيه علي عبد القادر حافظ.

أما مؤلفاته فهي: «تطوير الصحافة في المملكة العربية السعودية» ويقع هذا المؤلف في جزئين. و«صور وأفكار» ومقال عنوانه «التعليم أسمى ما يتحلى به الإنسان» و«صور وذكريات».



أما ما رثي به من الشعر فهي تلك القصيدة التي قالها فيه الدكتور عمر زهير حافظ وجعل عنوانها «دمعة» أما أبياتها فتبلغ ٢٦ بيتاً تقريباً منها قوله:

عماه يا عثمان فاضت أدمع
والجمع حل به اعتبار نافع

في العشرة الوسطى لشهر صيامنا
ودعت دنيانا وطاب المضجع

أودعت أرضاً بالبقيع بطيبة
فاهنأ أيا عماه حيث المهجع

كل العباد مصيرهم أن يتركوا
هذي الحياة ويرجعوا ويودع

والموت أعظم واعظ متحفز
بالناس حتى يلزموا ما ينفع

لكأنما ترجو انتظار صيامنا
فإذا أتى قلت الرحيل وارجع

ومنها قوله:

عثمان عمي رائد ومعلم
شهد الزمان بفضله والموقع

هو في الصحافة لا يشق غباره
هو في الإدارة قد تفرد يلمع

وقد نشرت القصيدة في «الأربعاء» الأسبوعي، ٢٤ رمضان ١٤١٣هـ.

مديح الصالح في مكانه

إني لأطرب أشد الطرب حينما أسمع مديحاً يوجه لمن يستحقه، ويقدم إلى أهله.. على أنني أستاء كثيراً إذا قرأت مديحاً لمن يستحق الذم، بل إنني أعتبره مغالطة فاحشة تخضع في ظاهرها وباطنها لواقع الحالة المادية ولا أستبعد أن ينكفئ ذلك المديح بصاحبه - أعني بصاحبه: قائله - وتيسِمه بميسم التلون الذي يبرأ منه المجتمع ويدعو إلى محاربته. واعتزاله ونبذه.

وهذا الصنيع يعد من مفاهيم الكذب وألوانه التي تقلب الحقائق وتعبث بذراع التوازن لفترة يكون فم النافذ فيها ملقماً حجراً. وقلم الرقيب فيها متقاعساً عن ممارسة دحرها، أقول لفترة لأن الحق شمس مهما سترها جهام الكذب فإنها لا بد طالعة.

والإغراق في مديح الطغاة والسفلة وشرار الناس مهما بلغ من شوط فإنه يأتي غير موافق لطبيعتهم وما جبلوا عليه من طبع، ولهذا نلحظ من خلال أبسط تحليل له أنه كذب وبهرج لا يلبث أن ينكشف وينمحي أثره ويزول.

ومما أطربني من المديح الذي يتصف بالواقعية، ويبتعد عن المغالطة ويصيب الهدف، هو ذلك المديح الشعري الذي أزجاه الشاعر الدكتور عبد المنعم الخفاجي إلى الشيخ عثمان الناصر الصالح.

والحقيقة أنه لا غرابة أن يمتدح عثمان الصالح أكثر من شاعر أو كاتب فهو الأديب والمفكر والكاتب والشاعر. بل هو أديب الشيوخ وشيخ الأدباء في عصرنا هذا.



وبدلاً من الاسترسال في ذكر صفات الشيخ عثمان الصالح الحميدة، ومناقبه وأخلاقه الفاضلة بأسلوب نثري قد لا يحالفني فيه بديع القول في ذكر خلال شيخنا الصالح. أرى أن أنقل بعضاً من ذلك المديح الشعري الذي امتدحه به الخفاجي، وذلك مثل قوله:

يا أخا النور والعلا والفخار
ابق فينا كمثل ضوء النهار

إيه عثمان ذو الحجى الفذ أستا
ذ المربين في ربوع الديار

نلت ما نلت من خلال كرام
من صفات جليلة من نجار

من سجايا الصلاح والطهر والمجـ
ـد ومن همة النفوس الكبار

خلق طاهر، وعقل ذكي
وفؤاد له صفاء النضار

كم روى الخير عنك والشعر والفخـ
ـر وناداك في الدجى كل ساري

ورأيناك تبتني للمعالي
كل صرح عال علو الدراري

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ نحواً من ٢٢ بيتاً.

○○○○○

ذكرى العيد

يجب أن تشتمل على مقارنة بين المتعيدين!!

وعندما يحل العيد أو يقترب من الحلول تنطلق الأقلام محددة ذكراه مع إقامة مقارنة بين من يمر عليه العيد وهو سعيد وغارق في النعم وبين من هو في شغل عن زينته ومعاناة تصرفه عن مظاهره وهموم تنأى به عن سعادته وتلقي به في بحر مشكلاته.. ومع هذا الطرح الذي ربما يكون جيداً من الناحية الأدبية إلّا أنهم لا ينسون ذكر المعاناة التي باح بها الشاعر المتنبي في قصيدته التي تجاوز فيها حد الهجاء في كافور الإخشيدي، والتي استهلها بقوله: «عيد بأية حال عُدت يا عيد». وكأنما هم لم يقرؤوا إلّا تلك القصيدة. وكأنما قول المتنبي في ذلك عمران الذي يضرب به عامة الناس المثل في التخصص في قتل الحيّة فيقولون: «ما يقتل الداب إلّا عمران».

ولماذا لا نصور الواقع المؤلم للحياة التي تحياها بعض شعوبنا العربية التي نالت منها أيدي اليهود ما نالت وسلبت منها كل حرياتها وممتلكاتها ومقدساتها في المناسبات التي تحسن فيها المقارنة بين من يعاني من الظلم والتعسف ومن هو في أمن وبحبوحة من رغد العيش.

إنني أطالب إخواننا أصحاب الأقلام بأن يجعلوا من الشواهد الشعرية لهذه الذكرى ـ أعني ذكرى الأعياد ـ ما يجدد في النفس الكراهية لليهود المغتصبين الذين سيطول خلافنا معهم طالما بقوا ظالمين للشعب الفلسطيني ومناوئين لديننا الإسلامي الحنيف، وذلك مثل الاستشهاد بالقصائد التي يكون فيها بوح بالمعاناة من الاضطهاد اليهودي



للعرب كما في قول الشاعر مصطفى حسن حمد الله النبالي من قصيدة له عنوانها «العيد»:

يا فرحة العيد السعيد
والبيت محزون كئيب

القلب يملؤه الأسى
والصدر يحرقه اللهيب

في الأرض أضرب تائهاً
في كل قطر كالغريب

وحدي مع الألم المبرح
لا أنيس ولا حبيب

آلام أهلي يا أخي
قد أحرقت عودي الرطيب

هل ينعمون بعيدهم
في ظلمة السجن الرهيب

في كل بيت مأتم
والحزن في كل الدروب

صرخت صبايا القدس للـ
ـدنيا ولكن لا مجيب

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ إحدى عشر بيتاً وقد تضمنها ديوان مصطفى النبالي «أين الطريق».

○○○○○

الذات ومنهج العمل في الحياة!!

ومن صناع الأدب وأصحاب المؤلفات والشعراء من نظر إلى غموض حياة من سبقه إلى التأليف والتدوين، وكيف تبادلت بعضهم أقلام النقاد وجعلته بين مخطئ ومصيب. وألقت على سلوكياته نظرات تخمين منها ما يجانبه الصواب. ومنها ما يوافقه. فأخذ في تحاشي ذلك بعرض ما يوفر على القارئ سبيل البحث عن طبيعة عمله، وذلك في مقدمة ما يقوم بتأليفه من كتب إذْ يصف ذاته للدارس والناقد لعمله، ويبسط منهج حياته العملية فلا يجعل الدارس يستقرئ ويبحث عن شواهد يهتدي بها إلى وصف حياته ومكانته ومستواه في التخصص العلمي وأفق ثقافته وكل ما له ارتباط بالأدب.. كما يضع بين يدي الباحث في أعماله ما يسهل الترجمة له، ويدل دلالة واضحة على اتجاهاته الفكرية، وما طبع عليه من صفات وأخلاق.

والحقيقة أن بسط مثل هذه الأشياء يرفع عنه قلم الناقد الذي يأخذ من الهفوات شاهداً على سلوك هو بعيد عنه كل البعد. وهذا من ناحية نفي أي شبهة تثار حول فكره ومن ناحية أخرى يحصل ببسط منهجه الفكري واتجاهاته الأدبية على شهادة بثبوت نضجه وصدق تعبيره ووضوح مسلكه الذي يقرر عدم تذبذبه أو انحرافه مع التيارات الفكرية المعاكسة لسمو الأدب وفضل العلم.

من الشعراء الذين حددوا اتجاهاتهم، ورسموا صورة واضحة لحياتهم التعاملية مع منهجهم الشعري الشاعر عبد الغني النابلسي.. حيث قال من قصيدة له جعلها في مقدمة ديوانه: «ديوان الحقائق أو مجموع الرقائق».

فكأن الذات الشريعة روح
وكأني من فوقها أطيار

أتغنّى وتارة أتعنى
ونظام طوراً وطوراً نثار

وغرام طوراً بأحور أحوى
حدث حسن وجهه الأقمار

وبهيفاء تارة ذات دل
شعرها الليل والجبين نهار

وبروض وجدول الماء طوراً
وبكأس من المدام يدار

وبزهد وعفة وخشوع
وعلوم بها العقول تحار

وأنا العارف المحقق طوراً
أبذل النصح عندي استبصار

وعلى الضدّ تارة ولذاتي
كل حين بوصفها أطوار

وسواء كان هذا التوضيح عادلاً منه في ذاته أو لم يكن. فهو قد أعطى صورة واقعية لمنهج حياته العملية.

○○○○○

عذارى لبنان في شعر الهنداوي

تتحكم عواطف الحب في القلب في كثير من المواقف.. ويملي سلطان الغرام ولسان الهيام عباراته الرقيقة عندما يكون الحب محبرة والشاعر قلماً يدون المشاعر التي تغوص في العشق وتستخرج من قاعه ما يعرف في ساحة الشعر بالنسيب والغزل.

وتوحي العين للخاطرة عندما يلفت انتباهها منظر قد ارتوى بالظرافة، وتوشي بالجمال فيولد ذلك الإيحاء تجليات ترسم لوحة جميلة فيها من صدق الإبداع الشعري ما يجعلها موضع دراسة تحليلية تقف على معانيها وما تحتوي عليه من بديع القول وبليغه.

والقصيدة الغزلية التي ترتفع عن سطحية اللفظ الرخيص الذي ينافي المبادئ الإنسانية، والأخلاق الأدبية. وتشتمل على سمو الهدف، تستحق من الدارس وقفات تليق بها من حيث المستوى الأدبي التي تتسم به.

وكتب الأدب العربي ودواوين الشعر فيها الشيء الكثير من القصائد الغزلية التي تستطاب قراءتها حيث يستشف منها سعة الخيال، وعمق التصوير الذي يبتعد به الشاعر عن أجواء الواقع الذي تدنسه حقيقة اعترافات المتبجحين بالقول الذي يدينون به أنفسهم ويقررون به ارتكابهم الفحش والفجور الذي يجب أن يكون لوصفه موضع في القصيدة الغزلية.

ومن القصائد الغزلية ذات الطابع الأدبي ما يكون وليد استشارة وترجمة لمجرد رؤية عين المشهد اكتسى بالجمال، وذلك مثل نقل الصورة



التي رآها الشاعر خيري الهنداوي في عذارى لبنان، والتي منها قوله:

سرب أشيعه وسرب يقدم
هذي محدقة وهذي تبتسم

يمشين في ظل الصنوبر حسراً
مشي القطا قد غاب عنها القشعم

هذي هنا تعطو باتلع جيدها
وهناك تلك على الأليفة تبغم

والقلب يخفق تارة من ذعره
لا يطمئن وتارة يستسلم

والنجم يشهد لي إذا جن الدجى
ماذا ألاقي من هوى لا يرحم

○ ○ ○ ○ ○

أنا في ربا لبنان في نسماتها
في مائها الصافي شغوف مغرم

تخذ الجمال بها مسارح لهوه
فاختال في ساحاتها يتنسم

هي جنة للعين إلا أنها
للقلب من فرط الغرام جهنم

والقصيدة طويلة فهي تبلغ ٦١ بيتاً، قيل: إنها نشرت في جريدة «الأخبار» العدد ١٤ الملحق للعدد ٦٠، السبت ٢٧ آب ١٩٣٨م ووضعت لها مقدمة مثيرة منها: «هذه أنفاس محترقة يصعدها صدر يحمل قلباً فتياً»، ومنها: «هذه لمعات يرسلها شاعر جبار أسكره الحسن وكهربه الحب».

إزالة الشك برمي العظم وتقريب العشب!!

قد يصادفنا في الحياة مخلوق مستغرب الشكل. فيساورنا الشك في الحكم على انتمائه إلى أي فصيلة حيوانية أو إلى أي جنس من أجناس الحيوانات التي نعرفها بأسمائها.

وحيث إن مبادئ التهجين وطبيعة المهجن من الحيوانات تلغي في بعض الحالات السمة والشكل الذي يعطي الحكم القاطع بأنه من فصيلة كذا أو كذا.

وبالمنطق الفلسفي الذي يكون متأولاً مظاهر بعض الناس الذين نراهم بصورهم وأزيائهم ولا نعرف مداركهم وسلوكياتهم يصف بعض شعراء الحكمة طريقة عملية يحكم بها الذي يساوره الشك في نسبة أي مخلوق حيواني إلى فصيلته، بل يحقق بها مصداقية الانتماء.

فمثلاً إذا كان هناك حيوان مهجن من ذئب وغزال، وكان في مظهره العام بين الذئب والغزال، ولا يعرف من أي أبويه ورث طباعه، فإن إزالة الشك تأتي حسب رأيهم بأن يرمي له عظماً، وعشباً معاً فأيهما تناوله عرف من أي فصيلة مضى به عرقه. فلو أكل العظم عرف بأنه انتمى إلى أبيه الذئب وتطبع بطباعه واتصف بصفاته، أما إذا تناول العشب سُلّمَ بأنه غزال قد أخذ عن أمه تقاليدها وورث طباعها.

ولقد وفق الشاعر السعودي يحيى توفيق إلى رسم تلك الصورة الملونة باللون الفلسفي الجميل الذي يحل الإشكال ويرشد إلى أخذ الحكمة في الحكم على الأشياء التي تتشابه في شكلها وتختلف في



طبيعتها وطباعها بأسلوب شعري بديع حيث يقول من قصيدة له جعل عنوانها: «عظم ونظم»:

فتصوّروا.. ماذا يكون، تصوروا
لو أن يوماً ظبية ولدت جنين

من صلب ذئب سادر في غابة
هذا الهجين.. فما عساه غداً يكون

أيكون ذئباً أم غزالاً يا فتى
فإذا جهلت وقد تحيرك الظنون

فارم له عظماً وعشباً وانتظر
فإذا دنا للعشب في رفق ولين

فهو الغزال.. وإن عدا وثباً إلى
حيث العظام فإنه ذئب مشين

وإن اختبرت الناس سوف تراهم
إما ذئاباً أو ظباء.. يرتعون

إن شئت تمحيصاً فقرب نحوهم
أشتات قوت.. ثم لاحظ ما يكون

من يدن من قوت البطون فإنه
مهما تخفى وارتدى ذئب خؤون(١)

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ نحواً من ١٣ بيتاً وقد قرأتها في ملحق الأربعاء ١٣/٧/١٤١٣هـ من جريدة «المدينة».

---

(١) أما الذي يبتعد عن قوت البطون فإنه يبحث عن قوت آخر ذكره الشاعر يحيى في قوله في البيت المرادف للبيت المذكور:
أما الذي يدنو إلى قوت القلوب فإنه.. روح محلقة حنون

مناسبة افتتاح المهرجان الثامن بالجنادرية

وفكرة الكتابة عن المهرجانات الشعبية الثقافية في الجنادرية كانت مساورة لي منذ وقت، فلما جاءت مناسبة افتتاح المهرجان الثامن الذي انطلقت فعالياته يوم الأربعاء الموافق ١٤١٣/١٠/١٥هـ أصبحت مناسبة أوجز فيها بعض المعلومات البسيطة عن الجنادرية والمهرجانات الشعبية الثقافية. فأقول: الجنادرية هي عبارة عن روضة كانت تبعد عن مدينة الرياض من ناحية الشرقية الشمالية بنحو ٣٠ كلم وذلك عند افتتاح أول المهرجانات الشعبية الثقافية عليها سنة ١٤٠٥هـ لكنها مع افتتاح المهرجان الثامن الذي أشرت إلى تاريخه آنفاً أصبحت طرفاً من مدينة الرياض إذ لم يكن هناك بعداً يميزه خلو العمران كما كان الحال في بداية المهرجانات.

والجدير ذكره أن مهرجانات الجنادرية قد أخذت في التوالي سنوياً في كل سنة تتطور برامجها من حيث عرض التراث الشعبي من مختلف مناطق المملكة وإقامة الندوات الأدبية والأمسيات الشعرية، واستعراض لسباق الهجن والفروسية وبعض الألعاب التي كان يمارسها الآباء والأجداد ثم اندثرت، وعرض لمؤلفات الكاتب السعودي.

وبعد هذه الإلمامة المختصرة عن الجنادرية وطبيعة مهرجاناتها، أرى أن نستعرض تواريخ افتتاح المهرجانات الثمانية واختتامها.

ففي ١٤٠٥/٧/٢هـ افتتح المهرجان الأول واختتم في ١٤٠٥/٧/١٣هـ. افتتح المهرجان الثاني واختتم في ١٤٠٦/٧/١٥هـ.

وفي ١٤٠٧/٧/١٨هـ، افتتح المهرجان الثالث اختتم في ١٤٠٩/٨/٢هـ.



وفي ٢/٧/١٤٠٦هـ، وفي ١٢/٧/١٤٠٨هـ افتتح للمرة الرابعة وقد اشتركت في نشاطاته في هذه المرة دول مجلس التعاون الخليجي.

وفي ١/٨/١٤٠٩هـ افتتح المهرجان الخامس واختتم في ١٥/٨/١٤٠٩هـ.

وفي ٢/٨/١٤١٠هـ افتتح للمرة السادسة واختتم في ١٧/٨/١٤١٠هـ.

وفي ٩/٨/١٤١٢ افتتح للمرة السابعة واختتم في ٢٢/٧/١٤١٢هـ وقد لوحظ أن معرض الكتاب الذي كان له نصيب في المهرجان السابع قد بلغ زوارة «٢٥٠» ألف زائر، وقد رعى جميع افتتاحات المهرجانات الآنفة الذكر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عدا المهرجان السادس منها فقد افتتحه صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني نيابة عن خادم الحرمين الشريفين.

أما من يقوم على إعداد ذلك المهرجان فهي جهات عدة وعلى رأسها الحرس الوطني الذي يقوم بجل أعماله وتنظيماته.

ولقد أشاد كثير من الشعراء بتلك المهرجانات، لعل أحدثها قصيدة الشاعر حمد العسعوسي المحررة في ٩/١٠/١٤١٣هـ والتي منها قوله:

يا قادمين إلى شرق الرياض هنا
عطر الخزامى لكم، يعلو وينتشر

هنا تقوم بكم، للشعر مملكة
وللثقافة جيش جاء ينتصر

هنا الرياض، أناخت في مرابعها
كل القوافل وانثالت، بها، الفكر



هنا اليمامة والسوق الذي ازدحمت
به القبائل، كي تشدو وتفتخر

تقيم للشعر سوقاً من قصائدها
ومهرجاناً زهت، في ظله، الصور

تراث أجدادنا فاحت أصالته
ومن تفاصيله تُسْتلهم العبر

وللحضارة في آفاقه صور
ينافس البدو، في إبداعها، الحضر

جنادرية، يا حلماً يراودني
ويستفيق على إيحائه البصر

○○○○○

أسماء بعض البلدان في جازان

وارتحال الشاعر من بلده إلى بلد آخر يوجد فيه شوقاً وحنيناً إلى بلده الأصلي ومسقط رأسه بالذات. فيعمل قريحته مع ذكر مراتع طفولته، ويذهب به الخيال في أودية وسهول منطقته التي كانت منطبعة أسماء وأوصاف مدنها وقراها وطبيعة جغرافيتها في ذاكرته.

فتذهب به التجليات الشعرية كل مذهب، وتملي عليه أسماء أماكن منطقته بشكل عام فيصوغ منها في قالب شعري بديع ما يحفظ لها مكانتها التاريخية فيبقي بذلك على أسمائها في صفحة التاريخ.

والحقيقة أن الشاعر الذي يأتي على ذكر أسماء قرى وهجر وأودية المنطقة التي ولد وتربى فوق أرضها وتحت سمائها يعد ذلك براً منه ووفاءً لمنطقته بالإضافة إلى أنه خدمة للأجيال التي ستعقبه وتقف على الأماكن التي حددها وتغنّى بأسمائها في شعره.

ولقد أثار إعجابي قصيدة للشاعر السعودي محمد بن حسن أبو عقيل من منطقة جازان.. والذي أشار إلى مناسبة قوله، بقوله: أقامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية دورة لتعليم اللغة العربية في الباكستان، وكنت أحد المشاركين وقد هاج ابتعادي عن الوطن قريحة الشعر، فكانت هذه القصيدة بوح محب لوطنه ومشتاق لأهله وذويه.

أما القصيدة فهي طويلة نسبياً إذ تبلغ نحواً من ٣٢ بيتاً وسأذكر منها الأبيات التي ذكر فيها بعض مدن وقرى جازان، وخص منها مسقط رأسه «شعْبُ دُهْمى» والأبيات هي قوله:

يا بيس عُذراً على تقصير مبتدئ
قد هام فيكم وفي واد لشهدان

أبو عريش تريح النفس رؤيته
ويطرب القلب في سدٍّ لجازان

يا صاح سلم على الأحباب في خلب
وفي سيّال وخمران ودهوان

بلغ سلامي وأشواقي إلى لِيةٍ
فإن فيها أصيحابي وخلاني

دار العلوم بها تُدْعى بسامطة
ومعهد العلم فيها خير تبيان

مغيالةٌ ذات أشجار معطرة
وتَعْشرُ الجود، يجري قرب وعلان

أشِعْبُ دُهْمى رعاك اللّه من بلد
وجادك الغيث من سيح وتهتان

يا مسقط الرأس ما أنسى فضائلكم
مهد الطفولة يا عيني وإنساني

ومن خلال هذه الأبيات الثمانية نتبين أنه أتى على ذكر ١٤ موضعاً في جازان منها المدن والقرى والأودية والشعاب حيث ذكر: بيس، ووادي شهدان، وأبو عريش، وسد جازان، وخلب، وسيّال، وخمران، ودهوان، ولية، وسامطة، ومغيالة، وتعشر، وعلان، وشعب دُهمى.

○○○○○

حقد ذوي القربى

يكثر التذمر والانفعال لدى بعض الناس، وتبرز عبارات التضجر في أساليبهم الشكاوية بقدر تعدد ما يرد إليهم من إساءات جارحة من أقربائهم.

وإزاء هذه المشكلة التي لايخلو منها أي مجتمع نرى الناس مختلفين في كيفية طرقها وطرق البوح من أجل البحث عن حلول ملائمة لها، والشعراء الذين تمسهم هذه المشكلة هم أكثر الناس حرصاً على رصد نوعية الإساءة التي ترد إليهم من أقربائهم في قصائد يخلدها التاريخ، وقد أشرت إلى هذه الظاهرة التي كثيراً ما تطفح على سطح الحياة الاجتماعية، ويغمر غسرها الإخوة والأبناء والأعمام والأخوال وجملة الأقرباء، فيصبح أمرهم من جراء الإساءة في شتات وقوتهم في ضعف فيستحيل حبهم وتآزرهم وتناصرهم إلى تعاد وتباغض، بل يكونون في حالة عصبية مشدودة بصفة مستمرة.

أقول قد أشرت إلى هذه الظاهرة في أكثر من موضوع هي مبثوثة في أجزاء هذا المؤلف، وقد ذكرت بعض أسماء الذين كان حظهم فيما يتعلق بعلاقتهم مع أقربائهم شيئاً، إذ لاقوا منهم الهوان والإذلال، فكان تعبيرها عن ذلك ينز بالألم النفسي المصحوب بالتذمر من الإساءات التي تترك أثراً سيئاً على روابط القرابة.

والذي يجعلني أضيف هذا الموضوع، وربما موضوع أو موضوعات أخرى هو ما أجده من التسخط والتذمرات المتتالية التي يرصدها الشعراء في أشعارهم.

أما هذا الموضوع فقد أثاره ما قرأته للشاعر السوداني محمد سعيد



العباسي من قصائد كان من بينها قصيدته التي جعل عنوانها «بنو أبي» والتي أشار فيها إلى ما كان يلاقيه من إخوته وأقاربه من جفوة وإساءة وجحدان لما تفرضه القرابة من صلة الرحم.

وهذه القصيدة هي من ضمن القصائد المدرجة في ديوانه الصادر عن دار الفكر العربي عام ١٩٤٨م ومنها قوله:

إذا قمتُ أبني في حماهم معاقلاً
من المجد راحوا يسرعون لها هدما

ومنها قوله:

أناضل عن أحسابهم في مشاهد
يكلفني فيها طلابُ العلا غرما

وإن ما رأوا من حادث الدهر أسهما
بمرمى تمنوا أنني ذلك المرمى

على أن أحشائي تذوب عليهم
حناناً وحتى كدتُ أقضي لهم غما

وما نقموا مني ذنوباً جنيتها
عليهم ولا عاراً أتيتُ ولا إثماً

ومنها قوله:

ودعني من ذكر القرابة إنني
خبير إذا ما اغترّ غيري بالاسما

تصرفتُ في حالاتها ووجوهها
فأخلقتها لبساً وأفنيتها علما

فما الخال إلا من خلا لك قلبه
وما العم إلا من بإحسانه عما

طرف من رسالة شعرية مبعوثة مع الريح

والرسالة الشعرية التي أشرت إليها في عنوان هذا الموضوع هي رسالة غرامية بعث بها الشاعر الوزير بهاء الدين أبو الفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن منصور بن عاصم المهلبي من شعراء القرن السابع الهجري إلى محبوبته، وقد استفتحها بقوله:

أنت الحبيب ومالي عنك سلوان
وفيك ضج عليّ الإنس والجان

ولكن مع من بعث بها إليها؟ إنه لا يأمن أحداً من الناس عليها. فبعث بها مع النسيم الذي لا يمنعه حاجب ولا يخشى رقيباً:

فيا نسيم الصبا أنت الرسول له
واللّه يعلم أني منك غيران

ومع السلام يريد من نسيم الصبا أن يوضح لمحبوبه أنه غاضب لغضبه عليه:

بلغ سلامي إلى من لا أكلمه
إني على ذلك الغضبان غضبان

لكنه سرعان ما يتراجع عن طلبه إلى النسيم إبلاغ غضبه لمحبوبته لأنه غضب غير حقيقي، وإنما هو غضب مختلق ليس له جذور ذات كراهية، بل هو غضب يكتبه الهوى ويمحوه الغرام:

لا يا رسولي لا تذكر له غضبي
فذاك مني تمويه وبهتان



ويتساءل في تعجب من افتعال غضبه مع إظهار تراجعه عن ذلك ورضاه بغضب محبوبته، بل إنه قد عرض موافقته على قتله وفرحه بذلك إن كان فيه ما يرضي محبوبته:

وكيف أغضب لا واللّه لا غضب
إني لما رام من قتلي لفرحان

وإن لم يكن قتل فالإساءة من محبوبته تلذ له ويعتبرها إحساناً إليه:

يلذ لي كل شيء منك يؤلمني
إن الإساءة عندي منك إحسان

بل إنه يسعد بتردد الرسل بينه وبينها وتلون العتاب الذي يتجدد في كل يوم بينهما:

في كل يوم لنا رسل مرددة
وكل يوم لنا في العتب ألوان

ويكرر الرمز إلى الغيرة عليها باستخدام الريح لنقل السلام إليها، وكأنما هو في عصر سليمان بن داود في استخدام الريح، وليس في عصر قد توفرت فيه وسائل نقل الرسائل:

أستخدم الريح في حمل السلام لكم
كأنما أنا في عصر سليمان

والجدير ذكره أن هذا الشاعر من الشعراء الذين لا يذكرون أسماء ولا يكنون من يتغزلون به، وتلك ميزة تجعل الناقد بين أمرين: إما مصدق بواقع التغزل، أو أن الشاعر يتخيل تخيلاً، ولا يعرف شخصاً واحداً يتوجه إليه بتغزله.





استعصاء الشعر على الشاعر

قد يتمرد شيطان الشعر - إن صح هذا التعبير - على الشاعر فيهجره وقتاً من الزمن فيحكم الناس على الشاعر إنه اعتزل الشعر وأغلق بابه، فيحمد بذلك الشاعر الذي كان للسانه صولات وجولات في هجاء الناس، ويوصف بالتزام العقلانية والحكمة والأخذ بمبادئ الأدب الحقيقي مع الناس بصفة عامة، لكن هذه التحليلات التوهمية التي تدور حول انقطاع الشاعر عن الشعر ما تلبث إلّا وتصبح في خبر كان كما يقولون، إذ يعاوده شيطان الشعر بنشاط وهمة فيمضي به في كل فن من فنون الشعر وبخاصة فن الهجاء الذي يطربه.

والأدباء يسمون انقطاع الشعر عن الشاعر: (إجبالاً). روي عن علي بن هارون أنه قال: أخبرنا أبو الغوث يحيى بن البحتري عن أبيه أنه أجبل - أي صعب عليه القول - عشرين سنة فما كان يستطيع أن يقول بيتاً من الشعر قال: ثم دعاني في وقت من الأوقات فقال لي: تعال يا بني، فجئت إليه فقال: اكتب، وأقبل يملي عليّ ابتداءً قصيدة قد كان قال بعضها، ووسط قصيدة، وقطعة من مدح من قصيدة وتشبيباً من أخرى، فقلتُ له: يا أبت ما هذا؟ وظننته من أشعار له قديمة، فقال لي: يا بنيّ قد عرفت المدة التي قطعت فيها قول الشعر، وللّه ما كنت أستطيع فيها أن أنظم بيتين، وأما الآن فقد أطلعتُ طلع بحرٍ من الشعر لا يلحق غوره.

وحول مفهوم انقطاع الشعر عن الشاعر وإجباله صنع الشاعر

محمود مفلح قصيدة عنوانها «عندما يهرب الشعر» وهي تقرب في بعض معانيها مما تقدم ذكره.. منها قوله:

منذ عام ولم يهل القصيد
وأنا واحد وأنت وحيد

منذ عام ولم يعكر سمائي
طائر نورس وبرق جديد

ومنها قوله:

عقني الشعر في أواخر أيامي
وهذا طريقه مسدود

ومضى ينهب الطريق سريعاً
وأنا من ورائه مهدود

هكذا يفعل الجواد إذا ما
زل عن ظهره الجواد العنيد

لم يقرب ذراعه من ذراعي
وكلانا في جريه محسود

ومنها قوله:

أيها الشعر لا تعكر مزاجي
فأنا عاقل وقولي سديد

أحمد اللّه كل يوم ألوفا
وطعامي التسبيح والتحميد

«الأربعاء» ١٩/٨/١٤١٣هـ.

○○○○○

تأييد الحداثة في الخروج على اللغة والتراث الأدبي يعد ذنباً وعصياناً وتمرداً!!!

والحداثيون الذين أخذوا في الآونة الأخيرة يمدون أعناقهم، ويتبجحون بالتجديد في الشعر وما تجديدهم ذاك إلّا سراب يحسبه الظامئ ماءً، ولهذا فإن الأخذ بما أتوا به يعد ذنباً مرتكباً لا يغفره المجتمع المتمسك بأصالة تراثه الأدبي، أما الرضا به فهو عصيان وتمرد على اللغة وعلى التراث الأدبي بجميع أشكاله واتجاهاته الفكرية.

وحتى لا أكون الوحيد الذي يمقت الحداثة والمذاهب الحداثية في الأدب، أرى أن أنقل هنا جزءاً من مقابلة أجريت مع البروفسور العراقي يوسف عز الدين، والتي قال فيها: الحداثة التي يتبناها بعض الأدباء ليست هي التجديد المنشود للأدب العربي لأنها تقليد دون وعي للأدب العربي وتزييف للشعر الأجنبي بصورة عامة لأن أكثر هؤلاء لا يعرفون لغة أجنبية يستقون منها علومهم ولم يزوروا في حياتهم بلداً غربياً إنما يعتمدون على الترجمة المشوهة وحسبوها الأدب الأصلي فجاء التقليد.

وعن خوفه من التيار الأعمى للحداثة قال: أنا أخاف على اللغة العربية والأدب الحديث من هذا التيار الغامض لأنه يضيع الحس المرهف والنغم الرقيق الذي ورثناه عبر حوالي الألفي سنة، والشعر العربي مفهوم لا تغيب معانيه عن الأمة وقد عكس حياة المجتمع العربي البدوي والمتحضر والإسلامي والجاهلي والبدائي والمعقد وما كان الشعر يوماً أدباً للخاصة إنما هو أدب الشعب كله.

ويستطرد البروفيسور عز الدين في الحديث عن الحداثة فيقول:

وعندما أقرأ ما يكتبه هؤلاء أحار في المعاني ولا أفهم القصد، لأني أعرف أن المبدع لا بد أن يفهم المتلقي حتى يتجاوب مع عواطفه ويمتعه بفنه ويوصله إلى الهدف الذي يسعى إليه، ولكن هذا الشعر أصبح عليّ لغزاً وأنا رائد من رواد التجديد وأستاذ النقد ولي قاعدة فلسفية اجتماعية درستها في الجامعة وأعرف الأدب الغربي بلغته، ومع ذلك لم أفهم ألغاز هذا الشعر وإدخال أساطير الغرب ومُثُله الاجتماعية وفكره الديني المسيحي كالصلب وارتداء الغار والسير في طريق الأحزان، وتعليق الصليب في الرقاب.. وكان حرياً بهؤلاء أن يعكسوا في شعرهم تجاربهم الشخصية حتى تظهر قابلية هؤلاء الفنية وتنسجم أفكارهم الخاصة وليجدوا من يفهمهم ويتجاوب مع معاناتهم الروحية.

ومن الشعراء الذين ناهضوا الحداثة التي تقدم وصفها الشاعر السعودي مقبل عبد العزيز العيسى الذي قال قصيدة عنوانها «تقليد.. وتغريب» منها قوله:

وحداثة شعر زعموها
إيقاعاً للزمن الحاضر

ودعوها «عَصْرَنة» تشقى
بقيود من ماض غابر

تقليد غموض لا يعني
شيئاً.. بل عبث ظاهر

عبث لا يزرع إنساناً
في نور.. بل كهف مشاعر

* * *

وحداثة نقد قد أمست
ألسنة ولغات عشائر

نقد لا يأبه بالمعنى
فالمعنى في قلب الشاعر
سموه نهجاً لعلوم
ومداه تهديم سافر
فالغاية منه تغريب
عن لغة فصحى. ومآثر

○○○○○

هل التقاعد علامة انصراف؟!!

ما من موظف يمد الله في عمره ويستمر في وظيفته إلّا ويقول له نظام الخدمة المدنية: «عند هذا الحد قف»، بل يقولها له بلهجة إجبارية تمتزج بنبرات قاسية وبصوت جهوري يملأ سمعه الذي أثقلته السنون، ويختلف الموظفون المتقاعدون في تقبل ذلك الأمر والانصياع له من الناحية النفسية والاستعداد الذاتي بحسب اختلاف المزاج وشباب القلب وهرمه لا من الناحية التنفيذية العقلية لأن ذلك أمر قاطع ونافذ لا رجعة فيه.

والتقاعد عن الوظيفة يعني من نفس بعض الموظفين المتقاعدين شيئاً يمتنع تداخل مفهومه مع الهواجس النفسية وامتزاجه مع رجعة الأحلام من سفرها الطويل الذي رافقت فيه الآمال الشبابية امتناعاً يمثله عدم الاستطاعة على التعبير الحقيقي الذي يترجم الخلجات الجديدة التي شغلت بفعل الحركة المجازية للتقاعد حيزاً كبيراً من أفق النفس التي تدنت فيها الرؤية وانحسر التفكير بموجبها في دائرة يصعب على المسن كسر محيطها والخروج منها إلى حيث الفضاء الشبابي الذي قد كان مسرحاً في وقت من الأوقات.

والذي يزيد الطين بلّة ـ كما يقولون ـ هو الإشارة التي تصوب نحو المتقاعد ليُميِّز بل يخصّ بها من أجل التعريف به إذا ما ضمه مجلس من المجالس العادية العامة.. وهو تمييز يعتبره المتقاعد، بل يعده عن يقين ثابت أنه مؤشر لبداية منطلق التحول عنه وعدم الالتفات إليه. والحقيقة التي لا مناص عنها أن تلك الإشارة تعد في حدّ ذاتها

وإن لم يصحبها تعبير واضح إيحاءاً وإيذاناً بصرف النظر عنه.

وإذا كان لا بد من وقفة على رأي الشعراء فيما يستحيل إليه المتقاعد فهذا الشاعر السعودي المعاصر أحمد سالم باعطب، يقول في أحد مقاطع قصيدة له عنوانها «موت الضمير»:

يا فتاتي أتسألين لماذا
مذ تقاعدت أنكرتني طيوري

نسيت جنتي التي ظللتها
وتناست جداولي وبحوري

ألأني كبرت أصبحت جرحاً
في الحنايا وغصة في العصور

ألأني كبرت جرعت صمتي
سكتت أحرفي وشاخت سطوري

يا لبؤسي إذا تهاوت غصوني
وسرى الداء موغلاً في جذوري

والعقوق الذي تجرع مني
كأس خذلانه تفشى بدوري

يا لعصر شكوته فيه اغترابي
بين أحضان إخوتي وعشيري

سود أيامه استبدت وأدمت
خلجاتي بشرها المستطير

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ نحواً من ٢٧ بيتاً.

○○○○○

موقف الشاعر البليهد مع الصبان

وتسجيل المواقف لا يعني محاولة حصرها في موضوع بذاته، إذ إنه ما من شخص إلّا ويحصل له مواقف فيها ما هو مستحكم الصعوبة ويتطلب مواقفَ رجولية تحل مشكلة وتفرج هماً وكرباً.. ومنها ما هو وقتي ينتهي بمرور الأيام.

والطريف من المواقف هو الذي تعتني به صفحات الأدب وتتناقله كتب التراث ليكون فاكهة مجلس وحديثاً مستطرفاً تهتم به الرواة.

وقد لا تكون بعض المواقف التي نجدها مدونة في كتب التراث الأدبي على درجة من الطرافة التي تؤهلها لاحتلال صفحة أو صفحات من سجل التاريخ الأدبي.

لكن صاحب الموقف هو الذي يفرضه بأسلوب أدبي تلتفت إليه عناية التأليف وتتعشقه الرواة.. أما كيف يكون ذلك؟ فإن واقع الحال يكشف أن كثيراً من المواقف ليست بذات أهمية بالنسبة للقارئ لكنها إذا حصلت لأديب أو شاعر فإنه يجعل منها ما يستحق العناية لأنه يبرمجها كما يقولون.

ويضعها في قالب فكاهي نثري إن كان ناثراً أو شعري إن كان شاعراً.

وعلى العموم فإن أي موقف يأخذ مكانه في الأدب لا يخلو من فائدة.

وإذا ابتعدت بعيداً عن المواقف التي يفرضها أصحابها على



صفحات تاريخ الأدب، واتجهت نحو البحث عن شاهد على المواقف الطريفة التي يحفل بها عصرنا فإن صاحب ديوان «ابتسامات الأيام في انتصارات الأيام» لصاحبه محمد بن عبد الله بن بليهد قد دون موقفاً حصل له سنة ١٣٥٧هـ، ولخصه في قوله: حولتني مالية مكة على مالية بلد الظفير من بلاد غامد، وأمين الصندوق العمومي لمالية مكة خليل عبد الجبار، وقد اختلف هو ومدير مالية الظفير في ذلك التحويل ودار بينهما مكاتبات في شأنه وكان مدير إدارة مالية مكة في ذلك الوقت محمد سرور الصبان وقد أوقف التحويل خلال أياماً قليلة، وعرض الموضوع على محمد سرور وكان رجلاً دمث الأخلاق وحسن السيرة فحل الموضوع بأحسن أسلوب فقلت عند ذلك:

أقلا ملامي فالحديث طويل
وشكواي بين العارفين شكول

فلو أنها سارت بنهج محمد
لكان لها نحو النجاة سبيل[1]

وأضحت كنوز الشمس بيضا صحيحة
ولكن محاها بالقتام خليل

على غير قصد في الكتاب يؤمه
له طرق مسلوكة وأصول

وقلت له حل الخلاف وقال لي
سأفعل ما يرضيكموا وأقول

وقلت السبيل المرتضى أنت أهله
لأنك فيها حاذق ونبيل

---

(١) محمد: هو الشيخ سرور الصبان.

كذاك جبات المال يلقى إليهموا
أمـور وفـيـهـا مـبـرم وسـحـيـل[1]

دعـوا كـل وعـر مـا أطـيـق رقـيـه
لأن بـلادي عـشـعـث وسـهـول

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ نحواً من عشرين بيتاً.

○○○○○

(١) المبر والسحيل: هي ثلاثة خيوط تجمع فتبرم، والسحيل: خيط واحد.

الشاعر يجعل معشوقه متفوقاً في الأوصاف على ما يصفه به!!

يسترسل بعض شعراء الغزل في وصف من يتعشقونه فيأتون بتشبيهات بديعة من واقع الطبيعة ليدخلوا بمن يشبهونه بها في دائرة المقارنة التي يحققون بها عن قصد وتعمد أفضليته عليها.

وممن درج على هذا النمط الشاعر ابن معصوم، واسمه: علي صدر الدين بن أحمد نظام الدين بن محمد بن معصوم المدني المولود بالمدينة المنورة ليلة السبت ١٥ جمادى الأولى عام ١٠٥٣هـ، أما وفاته فقد حصل خلاف في تاريخها لكن أرجح الأقوال هو في سنة ١١٢٠هـ، وذلك بقوله في قصيدة له تضمنها ديوانه «ديوان ابن معصوم» وقوامها ٩ أبيات منها:

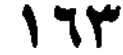
تبسّم من أهوى فقلت لصاحبي
بلغت المنى هذا العذيبُ وبارقُ

ولاح فقال الصبح هذا تبلجي
أيكذب هذا الصبح والصبح صادقُ

ومن هذين البيتين نرى كيف أن ابن معصوم شبه وقارن من ناحية جمال المظهر فجعل المشبه أفضل من المشبه به.

أما الرائحة والحركة فقد قال فيها:

وفاح فقال الروض نافح عبقتي
وهل نفحت بالمسك قط حدائق



وماس فقال الرمح تلك معاطفي
متى أزهرت فوق الرماح الشقائق

أما النطق الذي شبهه بالدر فذلك بقوله:

وفاه بنطق خاله الدر نظمه
وهل لفَظَ الدرَّ المنظَّم ناطق

ثم يأتي على تشبيه ما يحرك في النفس ساكن الشوق ويعرض أمام النظر عامل الاستشراف والرؤية ويلفت الانتباه إلى مواطن الإثارة في الجسم ومواضع الحسن والجمال وذلك بقوله:

وأرخى أثيثاً أوهم الليل لونه
ومن أين للون البهيم فَفَارِق

وأبدى لحاظاً أقسم الريم أنها
لواحظه لولا السهام الرواشق

وبعد ذلك يصدر ابن معصوم الحكم في تلك المقارنة بأن محبوبه هو المتفوق في تلك التشبيهات وذلك حينما قال في نهاية تلك الأبيات:

وكلهم قد كاد يحكيه مُشبها
ولكن من أهوى على الكل فائق

○ ○ ○ ○ ○

التشبيه في الغزل عند ابن عطا الله
يختلف في صورته عما كان عند ابن معصوم!!

في موضوع تقدم في هذا الجزء تحت عنوان «الشاعر يجعل معشوقه متفوقاً في الأوصاف على ما يصفه به، وناقشت بإيجاز بعض التشبيهات التي يأتي بها الشاعر حينما يصف محبوبته، وأشرت إلى أن الشاعر يصدر الحكم في المقارنة لصالح محبوبته، وهذا في الحقيقة أمر يتطلبه الأسلوب الغزلي ليستقيم الأمر للشاعر ويبدع في القول، ويسمو بالغزل.

وها أنذا أعود إلى الموضوع نفسه ولكن بصورة تشبيهية تختلف من حيث التركيب اللفظي والحكم بالأفضلية، وذلك الحكم الذي أصدره الشاعر ابن معصوم في الأبيات التي أوردتها شاهداً في الموضوع الآنف الذكر، لكن التشبيه في هذا الموضوع ما زال قائماً بصورة بديعة وبأسلوب تعشقي راق قد تفنن في سبكه الشاعر السعودي المعاصر عطا الله الأسمر فجأة في صورة تختلف من حيث التركيب اللفظي عما في الصورة التي رسمها ابن معصوم.. وهذا الاختلاف يرجع في حد ذاته إلى نوعية المتلقي أو الملقى إليه بالأصح، فابن معصوم يتغزل في عشيقة له، بينما ابن عطا الله يتغزل في أم أولاده، وشتان ما بين الهدفين في الصورة.

ولندع الإشارة إلى ابن معصوم وما يهدف إليه من تغزله الذي أكثر فيه من التشبيه لنرى ماذا قال ابن عطا الله في قصيدته التي قال أنه أهداها إلى غاليته أم أولاده وشريكة حياته.

ولكون القصيدة طويلة نسبياً إذ تبلغ نحواً من واحد وثلاثين بيتاً فإنه من الأفضل أن أقتطف منها أبياتاً ذات علاقة بالتشبيه المدرج في الأسلوب الغزلي عند ابن عطا الله حيث يقول:

ما كان يطربني لحن ولا نغم
إلا ورجعك في سمعي يناغيه

ما كنت أنشد في ربع خمائله
إلا وكنت عبيراً في مغانيه

ما كنت أسمع غريداً على فنن
إلا وصوتك في قلبي يحاكيه

ما كنت أقرأ من سطر ولا خبر
إلا وسحر هوى عينيك يرويه

وفيها يقول:

يا من تشاركني عمري برمته
قطعته بضنىً كانت تواسيه

كيف السبيل لما لقياك غاليتي
يا مهمها بعدت عني مراميه

«ريًا» فما نظرت عيني كغرتها
بدراً تكامل في روحي مواضيه

لا ريّ يعدله «ريّا» على كبدي
ريُّ الندى لها قاح لا يساويه

○○○○○

ألم الفراق عند الأم
لا يقارن تأثيره بما عند سواها!!

عندما تفرض الظروف الزمنية وعوامل الحياة فراق متحابين بسبب سفر أحدهما فإنه يحصل البوح بألم الفراق، ويتزايد التعبير عنه كلما طال أمده وامتد زمنه.

ولعل الذي يكون أقوى بوحاً باشتياقه لرؤية محبوبه، وأشد تأثراً بمصيبة الفراق هو الذي يكون باقياً في المكان ولم يمسك بعصا الترحال، لأن المنتقل والمفارق يكون فراقه في الغالب عن إرادة، وربما كان عن رغبة تدفعها مصلحة ومنفعة من وراء السفر فيخفف هذا العامل الذي يهدف إليه من سفره وطأت فراق محبه.. بينما الباقي في المكان ليس له هدف يقلل من تأثير ألم فراق صاحبه.

وإذا ابتعدنا عن المتحابين وما تفرضه علاقة المحبة بينهما من أسباب مكتسبة تجعل افتراقهما مؤلماً لنفسيهما، وبحثنا عمن تكون المحبة قائمة بينهما غريزياً كتأصل المحبة القائمة بين الأبناء وأبويهما أو الأخوة الأشقاء وجميع صلات القرابة لوجدنا لألم الفراق في نفوسهم وقعاً وطعماً يختلف عن ألم فراق الذين كانت محبتهم قائمة على مبدأ تجانس حياتهم، وتقارب مستوياتهم العقلية والفكرية، أو الذين كان حبهم فيما بينهم مبنياً على تعشق كل منهم للآخر.

وإذا التفتنا إلى محاولة تصوير حالة من يكون حبهم غريزة متأصلة في النفس وممتزجة بالدم فإن الأم هي حجر زاوية هذه الحالة، ولهذا فهي أشد تأثراً بألم فراق ابنها من أن متحابين ترك أحدهما الآخر، لأن



حنان الأم وشفقتها يملي ذلك، ويرسم واقع قلبها الذي يتعلق بابنها من بداية سفره حتى يعود إليها وتأنس برجوعه، وهو في حالة ترضى عنها.

ولقد صور الشاعر اسكندر أفندي قزمان المتوفى سنة ١٩٢٤م شعور أم غاب ولدها، في قصيدة منها قوله:

أتدري يا بني بما ألاقي
وكمن بي برّحت أيدي الفراق

أحرُّ الجمر أيسر من جواه
ومرُّ الصبر أهون في المذاق

هو السمُّ الزعاف وماله في الـ
ـبرية دون جمع الشمل راق

أزور هنا مكانك كل يوم
وأطمع في الزيارة بالتلاقي

فَيُذْكِرُني اغترابك في اكتساب الـ
ـعلوم لترتقي أعلى المراقي

أريدك جانبي لكن أُبدي
علاك ولو عليّ قضى اشتياقي

ويبقى في النوى دمعي طليقا
وقلبي مع رقيّك في وثاق

ولو كانت دموع العين تجدي
لأطفأ لوعتي فيض المآقي

ο ο ο ο ο

عاتكة ليست مقبرة وإنما شرفت بأربعة

ليس من باب التشاؤم أن نقول إن المرأة التي يتوفى عنها من يتزوجها مقبرة، خاصة إذا كان الأزواج من الرجال الذين تنال بهم شرف الدين والدنيا وذلك مثل أزواج عاتكة بنت عمرو بن نفيل التي كانت من أجل نساء قريش، والتي تزوجها وافتض بكارتها عبد الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنهما، وكان من أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً، وأبرّهم بوالديه، وقد روي أنه لما دخل عليها غلبت على عقله بجمالها وعقلها وأدبها فأحبها حباً جماً، ولما علم والده بذلك مرّ به يوماً وهو في غرفة له، فقال: يا بني إني أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها، فقال: لست أقدر على ذلك، فقال: أقسمت عليك إلا طلقتها، فلم يقدر عبد الرحمٰن على مخالفة أبيه فطلقها، فجزع جزعاً شديداً أدى به إلى الامتناع عن تناول الطعام والشراب، فبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه وقال له الناس: أهلكت عبد الرحمٰن فمر به يوماً وعبد الرحمٰن لا يراه وهو مضطجع في الشمس ينشد هذه الأبيات:

فو اللّه ما أنساك ما ذر شامه
وما صاح قمري الحمام المطوق

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها
ولا مثلها في غير شيء يطلق

لها خلق عف ودين ومحتد
وخلق سوي في الحياة ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال: راجعها يا بني، فراجعها وأقامت عنده



حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله ﷺ إذ أصابه سهم فقتله، فجزعت عليه جزعاً شديداً، ثم تزوجها بعده الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ودعا الناس إلى وليمة وعاشت معه إلى أن قتل فجزعت عليه جزعاً شديداً، وبعد فترة خطبها الزبير بن العوام وتزوجها وكانت تخرج إلى المسجد كعادتها فشق عليه ذلك لشدّة الغيرة عليها فخاطبها مرة يريد صرفها عن الخروج لكنها لم تستجب وتترك مصلى صلت فيه مع رسول الله ﷺ ومع خليفتيه أبي بكر وعمر، وكان الزبير يكره أن ينهاها نهياً صريحاً عن الخروج إلى الصلاة لحديث النبي: «ولا تمنعوا إماء الله مساجد الله» فعرض لها ليلة في ظهر المسجد متنكراً فلما مرت ضرب بيده عجيزتها ثم انصرف، فعدلت بعد ذلك عن الخروج إلى المسجد، وكان يقول لها: ألا تخرجين يا عاتكة؟ فتقول: كنا نخرج إذا الناس ناس وما بهم من باس وأما الآن فلا.. ثم قتل عنها الزبير وتزوجها بعد ذلك محمد بن أبي بكر فقتل بمصر، فقالت: لا أتزوج بعده أبداً، وكرهت أن تقترن بغيره خشية أن يكون مصيره كذلك القتل، وقالت: إني لأحسب أني لو تزوجت جميع أهل الأرض لقتلوا عن آخرهم، ولقبت رضي الله عنها بزوجة الشهداء.

ومما يقرب مما أنشده عبد الرحمٰن بن أبي بكر من شعر من حيث اللفظ قول محمد بن عبد الله بن يحيى بن شرف الدين المولود عام ٩٣٨هـ والمتوفى عام ١٠١٠هـ:

إنـــي عـــلـــيـــك لـــولـــهـــان
الـــفـــؤاد مـــؤرقـــا

وأظـــل فـــيـــك مـــكـــابـــداً
كـــمـــداً وشـــوقـــاً شـــيـــقـــا

لـــهـــفـــان لا نـــاري خـــبـــت
حـــيـــنـــاً ولا دمـــعـــي رقـــا



وقول الشاعر ابن معصوم واسمه علي صدر الدين بن أحمد نظام الدين بن محمد معصوم المولود بالمدينة عام ١٠٥٣هـ والمتوفى عام ١١٢٠هـ:

عَسَى ما عَسَى من عودِ شملي يَكتسي
بعَوْدهم بعد التسلُّب أوْراقا

فلم يصفُ لي من بَعدهم قطُّ موردٌ
ولا لذّ لي عيشٌ وإن طاب أوراقا

○○○○○

الحقيقة تظهر وإن طال التصنع!!

وإذا كان الحقود فقيراً وضعيفاً، ولا يملك منطقاً يتستر خلفه فإنه يلجأ إلى استرحام ويظهر بمظهر الوديع الذي ترق له قلوب الناس وتحنو عليه نفوسهم فيحصل منهم التسابق في العطف عليه ليشعروه بأنه الرجل الذي لا يقل عنهم في شيء من الأشياء الاعتبارية فتحدثه نفسه المريضة بل يحدثه طبعه الملون بالحقد أنه أصبح ذا شأن في مجتمعه وأنه قد صار الشخص المعتبر في قومه والمعمول برأيه فيدع الترحم جانباً ويخلع قناع التصنع الذي كان متستراً به فيظهر على حقيقته ظهوراً ينادي إلى سحب بساط العطف عليه من تحت قدميه ليقف مرة ثانية المسترحم الذي صنع ذل نفسه بنفسه.

قال محدثي: كان أحد أقربائي في حاجة ماسة إلى العون والمساعدة، ونظراً لجهله وفقره، ولأنه أخرق لا يتقن صنعة، ولا يحسن تعاملاً مع الناس لهوجه وحمقه، لكنه بفعل الفقر لا تبدو عليه علامات تحذر من الاقتراب منه لما فيه من تلك الخصال الذميمة، أخذت أعطف عليه وكأنني أحد أبنائه، وكذلك كان الناس الذين يعرفونه يفعلون به، فتوفر لديه شيء من المال بسبب انهيال الصدقات والزكوات عليه، فظن أنه أصبح بما توفر لديه من مال رجلاً اعتبارياً فركب طبعه الحقود وأطلق لسانه البذيء في توجيه الانتقادات بل بالتجريح الذي نالني منه ما نالني، قال محدثي: فقلت في نفسي: يا سبحان الله!! أين تلك الوداعة؟ وأين ذلك الاسترحام؟ وأين عبارات الامتنان التي كنت أسمعها منه عندما أنقله من مكان إلى آخر بسيارتي أو أناوله شيئاً من صدقاتي؟ ثم بعد هذا التساؤل، قال: فعلمت أن ذاك كان خلقاً تطبعياً

لا طبيعياً، وأنه بحقده وسوء منطقه الطبيعي قد أنكر كل جميل صنعته به، وجحد كل معروف أسديته إليه.

قلت: إن قريبك هذا في إنكاره لجميلك لا يبعد في طبعه عن طبع صديق الشاعر خيري الهذاوي المولود عام ١٨٨٥م والمتوفى سنة ١٩٥٧م الذي قال فيه قصيدة كلها تذمر واستنكار على صديقه الذي قلب له ظهر المجن كما يقولون، من تلك القصيدة هي الأبيات:

أقللت من أملي أكثرت من يأسي
وزدت في وحشتي من بعد إيناسي

مقالة قد أتتني منك موجعة
جرحت عاطفتي فيها وإحساسي

يا للصواعق لا وقع ولا ألم
كوقعها يوم قد صبت على رأسي

ومنها قوله:

تركتني ولهيب القول يلفحني
حيران أضرب أخماساً بأسداس

عرفت حلوي ومري بعد تجربة
وقلت للناس هذا خيرة الناس

ثم انثنيت بلا ذنب تنقصني
كأن كفك لم تعلق بأمراسي

ومنها قوله:

كم موقف لك لم يثبت سواي به
لما تبدي بوجه منك عباس

وقلت جنباً لجنب منك منتصباً
كالطود والأسد رعباً قعر أخياسي

الدامغ.. اسم فاعل

يا من استغربت ـ اسم الدامغ ـ وتساءلت عن مفهومه تساؤلاً فيه استغراب كاستغراب الطفل حينما يلقن أسماء بعض الأشياء القريبة منه. . إن كان استغرابك هذا فيه شيء من السخرية فاعلم أنني أفتخر به، لأنه يحمل معنى فصيحاً ويرمز إلى القوة ويوصف ببيان الحجة، قال تعالى في سورة الأنبياء الآية ١٨: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾.

ولأن رائحة السخرية تنبعث من استغرابك وتساؤلك، رأيت أن أستوقفك استيقافاً أدبياً، وبعيداً عن أي انفعال نفسي إذ ليس ذاك من طبعي والحمد لله وذلك لأقول لك: لا تتمادى في الجهل باللغة العربية، وعليك أن تدرك جيداً أن ـ الدامغ اسم فاعل ـ وعليك أيضاً إن كان عندك ثمة مبدأ بسيط في علم اللغة أن تميز بين قوة الفاعل، وضعف منزلة المفعول به أمامه من حيث المفهوم اللفظي والمعنوي للتركيب اللغوي فضلاً عن المفهوم الحركي.

وبما أنني أحد أفراد قبيلة آل دامغ وقد وهبني الله فضلاً ونعمة من أهم بعضها نيلي نصيباً من الثقافة بالإضافة إلى تذوقي الشعر والجرأة على قوله، ولهذا أجرأ في هذه المناسبة فقط فأقول لك: إن لقلمي دفقات حلوة، وحامضة، ومرة، ولأن الموقف معك لا يستحق الدفقة الأولى من حيث مكانته الأدبية، ولا يناسب للأخير من حيث عدم أهميتك ولهذا اصطبغ هذا الموضوع بلون الدفقة الثانية، وكبداية للفت نظرك ليس إلا، أسوق لك هذه الأبيات، عسى أن يكون فيها ناقوس

يحرك فيك هاجس الأدب ويبتعد بك عن السخرية والغرور الأهوج:

انظر إلى وقع الدوافع إنها
مشتقة في الناس من أسمائي

وأرهف سماعك للقصيد فإنني
أحدو به الجوزاء في البيداء

أنا من إذا امتشق اليراع رأيته
في صنوة الكتاب والشعراء

قد تمتطي في الجهل ظهر حماقة
عمياء نحوي قاصداً لهجائي

فتضيع في صحراء مملكتي التي
تخفى مجاهلها على السفهاء

دعني وشأني كي تكون مخبأ
عن أعين النقاد والأدباء

أنا إن عرضتك في الصحيفة مرة
وأشرت نحوك بأصبع صماء

نطقت بهجوك ألسن مقوالة
وأُصِبْتَ بعد إشارتي بالداء

○ ○ ○ ○ ○

نشكر الله ونصلي على رسول الله!!

كل ما راجعنا قراءة القرآن المجيد وسنة من ليس عن الطريق يحيد سيدنا وحبيبنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ازددنا بهما إيماناً ومعرفة ويقيناً، وتجددت لدينا ثقافة إيمانية تعطر النفس بأدب توجيههما، وتروي الظمأ بفيض نورهما، فالحمد لله على أن هدانا للإسلام وجعلنا أمته وأهله، ومنّ علينا بجود كرمه إذ بعث فينا ومنا رسولاً لسانه لساننا، عربي قح فاق بفصاحته الفصحاء وبحكمته الحكماء وبأمانته الأمناء، وبأدبه الأدباء.

وقد كان ﷺ قبل مبعثه الصادق المصدق الذي لا يكذب، والأمين المأمون الذي لا يخون، والوفي الذي لا تخشى بوائقه.

ولقد كان صلوات الله وسلامه عليه كما أراد الله له أن يكون، فكان رسولاً نبياً خاتماً للرسل، رسالته القرآن العظيم خاتمة الرسالات، فكان فعله وأمره ونهيه وتوجيهه المنتهى في كل تشريع والحكم في كل خلاف، والمرجع في كل أمر.

ولقد كانت وفاته ﷺ نهاية الاتصال بين السماء والأرض حيث استكملت بعثته كل ما يصلح أمر ديننا ودنيانا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وما علينا بعد هذه النعم الظاهرة والباطنة إلّا أن نتوجه بالشكر إلى الله كما أمرنا: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢]، وأن نصلي على خاتم الأنبياء والمرسلين وسيدهم محمد ﷺ كما أمرنا بذلك ربنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟



تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦] فاللهم صل وسلم وزد وبارك على محمد وآله، وارض اللهم عن صحابته والتابعين لهم وتابع التابعين إلى يوم الدين شعراً:

أحمد اللّه على نعمائه
وعلى الضراء حمد الشاكرين

صلّ يا رب على الهادي الذي
كان في الدنيا منار الحائرين

وعلى الإيمان أرسي دولة
حكمت بالحق والنور المبين

صحبة الأبرار كانوا حوله
حملوا العبء ثقيلاً صابرين

ومضوا للفتح مع إيمانهم
وبنصر اللّه كانوا واثقين

نصروا اللّه.. أقاموا شرعه
وإلى الجنات كانوا سابقين

عزت الصحراء من عزتهم
وبنوا مجداً سما للفرقدين

فورثنا ما بين أسلافنا
وهدمناه فكنا مجحفين

تلك الأبيات من قصيدة للشاعر مصطفى حسن حمد الله النبالي، وفي البيت الأخير منها لوم على تضييع ما بناه لنا الأقدمون، وهو لوم في موضعه.

○ ○ ○ ○ ○



الشتاء بدايته ونهايته ونجومه وظواهره!

ولست هنا أريد الحديث عن حال الشتاء وصفاته الأدبية بقدر ما أريد تبيانه من ناحية بدايته ونهايته ونجومه وبعض ظواهره، والعامة في نجد تصف حال الشتاء وتقول: الشتاء وجه ذيب، وفي الأثر: كاد البرد أن يكون كفراً، أو ما معناه: أما أحلام ليله الطويل فإنها تذكر في الأعمال الأدبية كالقصص والروايات وما يكون له ارتباط في الموضوعات الشعرية والنثرية، والناس تعد للشتاء عدته وتأخذ الحيطة من برده، وفيه تقل الأسفار وتكتن كثير من المخلوقات في بيوتها.

أما بدايته فقد حددها الفلكيون وأصحاب التقاويم بدخول برج الجدي وهو البرج الرابع من برج السنة الشمسية مقبله الميزان، والعقرب، والقوس، وبعده الدلو، والحوت الذي به ينتهي فصل الشتاء وبعد الحوت، الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، ويقع أول الجدي في ٢١ ديسمبر ـ كانون أول من السنة الميلادية حتى ٢٠ مارس ـ آذار ثم يبدأ فصل الربيع، أما الأنواء التي تقع في فصل الشتاء فهي، القلب وبدايته تكون بعد مضي ١٤ يوماً من المربعانية وأيامه ١٣ يوماً ثم يعقبه الشولة وأيامه ١٣ يوماً ثم النعايم ١٣ يوماً، ثم وتصادف بدايته دخول الشبط وعدد أيامها ٢٦ يوماً ثم بعد النعائم نوء البلدة ١٣ يوماً ثم سعد الذابح ١٣ يوماً وببدايته تبدأ العقارب وعدد أيامها ٤٠ يوماً ثم بعد سعد الذابح سعد بلع ١٣ يوماً ثم سعد السعود وعدد أيامه ١٤ يوماً، ومن الظواهر التي يستدل بها على بداية الشتاء، اختفاء النمل، وخروج الدخان من الجوف وبعض

العامة ترى أن بداية الشتاء تظهر على جلود البقر بحيث يقف شعرها ويحدث تغير في لونه، والعرب لها أقوال سجعية في بعض أنواء الشتاء التي تقدم ذكرها فهم يقولون: إذا دخلت الشولة طال الليل طوله وأعجلت الشيخ البولة واشتدّ على العائل العولة، ويقولون: إذا طلعت النعائم ابيضت البهائم من الصقيع الدائم وقصر النهار للصائم وكبر العمائم وخلص البرد إلى كل نائم، وتقول: إذا طلعت البلدة حممت الجعدة وأكلت القدة وأخذت الشيخ الرعدة وقيل للبر أهده، وتقول: إذا طلع سعد الذابح حمى أهله النابح وتصبح السارح وظهرت في الحي الأرايح، وتقول: إذا طلع سعد السعود ذاب كل جمود واخضر كل عود وانتشر كل مصرود وكره في الشمس القعود.

وللشعراء أقوال كثيرة في الشتاء، أختار منها أبياتاً من قصيدة للشاعر محمد أحمد محجوب الذي يقول:

يا ليالي الشتاء حسبكِ طولاً
فالظلام الرهيب هدّ كياني

فيه تسري الظنون مثل الأفاعي
وتثار الشجون في كل آن

يا ليالي الشتاء من لفقير
عضه الجوع عاريَ الأبدان

مزّق البرد جلده وفراه
وغزاه السّنان بعد السنان

بات يشكو وليس ثمّ مجير
يمنح البائسين بعض الحنان

يا ليالي الشتاء حسْبُك قُرّاً
قد سرى في عظامنا غير وان

كلما داهم المساء نهاراً
وتبدّت نجومه للعيان
خِلْتُ هذا المساء آخر عهدي
وحسبتُ الحياة بضع ثوان

○ ○ ○ ○ ○

عندما يقول الشاعر: أنا

وبعض الشعراء يحلق بأجنحة نرجسية في أجواء خيالية أحياناً، وينقل نفسه أحياناً أخرى إلى أفق الواقع، وهو في كلا الحالتين يأتي بما يشجي حيناً وبما يصمى أحياناً وهو في حالتيه يخضع للعوامل النفسية التي يكون عليها حينما يتجلى له الخيال وترف به أجنحة الحقيقة في سماء الواقع، فيصدق في تجلياته، ويبدع في أقواله.

وعندما يقول الشاعر المبدع الذي يملك إحساساً وثقة بنفسه تجعله يجرأ على أن يسوق عبارات توجيهية، أو يجعل من نفسه ملهماً لمتردد، أو هادياً لحائر، أو واصفاً نفسه بصفات يعشقها كل ذي إحساس مرهف، وأدب رفيع، أقول عندما يقول ذلك الشاعر: «أنا» فإنه إما أن يصف نفسه بما يطرب له السامع طرباً يستزيده من الاسترسال فيه، أو أن يبوح بكآبة مسته أو بؤس يعاني ضره، على أن الشعراء يختلفون في هذه الناحية من حيث أمكنتهم الاجتماعية، إذ أن منهم من إذا قال: «أنا» أضاف إليها تمجيداً وفخراً لنفسه، بل إن منهم من يركب المبالغة فيما يضيفه إلى «أنا» فيجعل من نفسه الشجاع الذي لا يغلب، والفارس الذي لا يبارز، والمقدام الذي لا يهزم، والبطل الذي لا ينازل، والقوي الذي لا يقاوى، بل يضرب في عمق المبالغة فيصف نفسه بما لا يتفق والواقع. الذي يترجم شخصيته وذاته.

ومهما يكن من أمر بالنسبة للثناء على النفس، فإن الشاعر المفرد في ساحة مجتمعه بما تعشق الأذن والنفس من رقة وبلاغة وواقعية، هو الذي يجد متلقياً عندما يقول: «أنا».

وحول هذا الموضوع كان للشاعر محمود جبر وقفة في إحدى قصائده التي ضمها ديوانه «مزامير الإيمان» مع «أنا» في أبيات متوالية منها وهي قوله:

إني لقيت بشاعة وفظاعة
وصدعت صدعاً ليس بالمرؤوب

أنا لن أعود إلى الشكاية ثانيا
أنا قد لفظت متاعبي وكروبي

أنا رغم ما ضيعت لست بنادم
سترد لي الأيام كل نصيبي

أنا شاعر ملأ الحياة بشاشة
وأقالها من عترة وخطوب

أنا واهب الأطيار سحر لحونها
أنا من حبا النسرين نفخ الطيب

أنا عزة المعتز في أوطانه
أنا جوهر الإرهاب في المرهوب

أنا رقة الأنسام حين تمر بي
والسلسل الجاري بكل خصيب

أنا كل ما في الكون من أغرودة
أنا قلب من عاشوا بغير قلوب

○ ○ ○ ○ ○

أدواته الهندسة في المديح

والشاعر يتكيف مع ظروف المناسبة التي توحي له بقول الشعر وتفتح عليه خواطر المديح تكيفاً يمده بأسلوب الإبداع في الإشارة إلى صفات الممدوح ومميزاته الخلقية والسلوكية، وكل ما جبل عليه من حياة اجتماعية توفر له مادة يبرهن بها على صدق قوله، ويدعم بها مبالغاته التجاوزية.

والحقيقة أن بعض قصائد المديح لا تستوقف الذي قد قرأ شيئاً من المدائح المطولة، لأنه لا يرى فيها جديداً، وإنما هي عبارات إن لم تكن مكرورة فهي أساليب مدحية متشابهة، إذ إن مجملها ينصب على ذكر المناقب والصفات بشيء من المبالغة المعروفة والدارجة في أساليب المدح خاصة إذا كان الممدوحون في مستوى اجتماعي متقارب من حيث التميز عن العامة.. لكن..

لكن هناك بعضاً منها - وأعني بذلك المدائح - يكون متميزاً في الأسلوب والمفردات، بحسب تميز الممدوح في مجتمعه.. فمدائح العلماء تختلف في أسلوبها عن مدائح الأمراء، ومدائح الكرماء تغاير في تعبيراتها مدائح الشجعان ورجال الحروب، وهكذا فكلٌّ له مدائح ذات طابع خاص يشتمل على صفته وطبيعة حياته.

ومما قرأته من أشعار متسمة بالمديح، قصيدة للشاعر السيد علي أفندي الدرويس وهي في الحقيقة قصيدة أستطيع أن أصفها بالتخصص، وذلك بحكم أنه امتدح بها شخصاً أكمل تلقِّي علم الهندسة وهو إبراهيم باشا يكن، فجاءت متميزة بكلماتها المفردة التي اشتملت على ذكر بعض أدوات الهندسة، منها قوله:



لأصُول دعوى شكله تسليمُ
في الحسن إذ برهانه مرسومُ
أودى بجسمي في مسطح خده
خط شعاعيّ البها مرقومُ
في نقطة القلب المحيط به الهوى
من فوق حاجبه السهام تقوم
من ذا يوازي مستطيل علائه
لا يرتضي من شأنه التحكيم

ومنها قوله:

أضحي لدائرة المعارف مركزاً
بِرْكَارُهُ التفخيم والتكريم
هو في قواعد كل من كعبة
طوّافها المنطوق والمفهوم
لا كان قلب عنك منحرف ولا
ضلع على نار السّوَى مضموم

ومنها قوله:

علم العلوم متمماً معروفه
شانيه مخروط المقال بهيم

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ نحواً من ٢٦ بيتاً وقد ضمها كتابه «الإشعار.. بحميد الأشعار».

○○○○○

الفتى المعهدي.. هو أحمد جمال!!

كان الرعيل الأول من أدبائنا وكتابنا وشعرائنا يستعيرون أسماء يذيلون بها مقالاتهم في بدايات انطلاقة أقلامهم.

ولا أريد هنا أن أتحدث عن الدوافع التي جعلتهم يفضلون الأسماء المستعارة على أسمائهم الصريحة لأن هذا يحتاج إلى شيء من التحليل الذي يدخل فيه تخوفهم من النقد حينما لا تكون مقالاتهم على المستوى المطلوب من الناحية الفكرية، والأدبية والإنشائية.

ولا أريد أيضاً أن أذكر أو أستعرض أسماء الذين كانوا يوقعون تحت أسماء مستعارة آنذاك وقد أصبحوا الآن أعلاماً محلقة في سماء المعرفة وأجواء الأدب، بقدر ما أريد أن أذكر من كان قد قرأ أول النصف الثاني من القرن الرابع عشر موضوعات موقعة تحت اسم «الفتى المعهدي» بأن هذا الفتى هو الأستاذ الأديب الشاعر أحمد محمد جمال الذي وافته المنية في اليوم التاسع من ذي الحجة سنة ١٤١٣هـ.

ولكوني قد كتبت عدداً لا بأس به من الموضوعات عما قيل في تأبين الأستاذ أحمد محمد جمال، وتحت عنوانات متنوعة تقدمت على هذا الموضوع، فإنني أكتفي في هذا الموضوع بذكر أبيات من قصيدة للشاعر اللواء علي زين العابدين، وهي قصيدة طويلة تبلغ نحواً من اثنين وستين بيتاً كلها تفجع وسرد ذكريات وتمجيد سيرة استهلها بقوله:

أحمدٌ مات يا لهول المصاب
مات أغلى أحَبّتي وصحابي



ومنها:

أيها الراحل العزيز سلاماً
لك من صاحب محب محابي

كنت بين الصحاب منبع نبل
وسماحٍ يفيض فيض السحاب

ومنها:

كنت في لجة الحياة قوياً
وطموحاً إلى أجل الرّغاب

وبلغت المرام من كل علم
نافع صالح صراح لباب

وكتبت المقال إثر مقال
تتوالى بسحره المنساب

«الفتى» نابغ وأي نبوغ
أكبرته فطاحل الكتاب[1]

رب عقل سما فكان مناراً
ساطعاً باقياً مدى الأحقاب

○ ○ ○ ○ ○

(١) والفتى: قصد به الشاعر ما أشرت إليه أعلاه من أن أحمد بن محمد جمال كان يوقع تحت اسم «الفتى المعهدي».

عبارات من مقالات راثية لأحمد جمال!!

ولا أريد هنا أن أسطر كلمات أنتقل من خلالها إلى ذكر بعض الفقرات التي تضمنتها مقالات راثية للكاتب الشاعر الأديب أحمد محمد جمال، فأستهلك مساحة، أصحاب تلك المقالات أحق بها مني هنا.

فمن تلك الفقرات قول الأستاذ عبد الله عبد المطلب بوقس: لقد لقي الكاتب الإسلامي أحمد محمد جمال ربه بعد جهاد قضاه مع الكلمة الرائدة في شتى المجالات الإسلامية فكان خير داعية إلى الالتزام بالنهج الإسلامي والتمسك بأهداب الخلق الفاضل والدفاع عن شريعة الله ضد كل من يحاول الإساءة إلى الإسلام وهو في المجال الاجتماعي خير مصلح وموجه لكل ما فيه خير المجتمع وصالحه.

وقول الأستاذ عبد الله القرعاوي: إننا اليوم إذ ننعي أحمد محمد جمال فإننا نبكي الخسارة الكبيرة للأدب والفكر الإسلامي والصحافة التي واكب مراحل تطورها فترة فترة لم يغب عنها في كل الأحوال حيث قدم من خلالها الشيء الكثير لبلاده وأمته ودينه.

وقول الأستاذ عبد العزيز الرفاعي: وبطول عشرتي لأخي الصديق الحبيب أحمد محمد جمال عرفت الكثير من أخلاقه، فمفتاح شخصيته الوضوح والصراحة فهو يجهر برأيه متى استطاع إلى ذلك سبيلاً ويحتمل راضياً نتائج هذا الجهر وهذا أسلوب من السلوك قد لا يرضاه بعض الناس الذين أخذوا على المداراة والمجاملة، ولكن هذا الخلق النقي السليم طبع في صاحبي ألفه وعاش به وألفه أصحابه عنه، وهو أكثر ما يكون بروزاً، حينما يشعر أن كلمة الحق توشك أن تهتضم.

وقول الأستاذ جميل محمود مغربي: إن الأستاذ أحمد محمد جمال يشكل نموذجاً قلّ أن يجود الزمان بمثله، فلقد حرص على المزاوجة بين مفاهيم الإسلام سلوكاً وعلماً فلا يلمس الدارس لعلمه أو القريب منه تضارباً بين النظرية والمنهج بل يجدهما منسجمين في تحقيق هدف أسمى وأنبل يتجسد في توخي وجه الله في القول والعمل، لذا اتسم قوله وحرفه بالسبق والوضوح، ولا يتأتى ذلك إلا لمن هانت في نظره الدنيا، وكبرت في دخيلته الآخرة.

ورثاه الشاعر محمود عارف بقصيدة قوامها أربعة عشر بيتاً منها قوله:

الحي في الدنيا يعيش مودعاً
أحبابه والمنتهى للمضجع

إني أودع من أراه محبباً
وأراه عند الموت غير مودع

هذا الذي أبكي عليه مكانه
في القلب أحمله وبين الأضلع

إن مات أحمد فالحياة قصيرة
والموت للأحياء آخر موقع

والعمر في الدنيا خيال زائل
والخلد في الأخرى لقلب طيع

في جنة المأوى يعيش منعماً
والمرتقى عند المقام الأرفع

هذا عزائي في الفقيد أعده
متألماً لبنيه عبر الأدمع

فالله يرحمه بواسع فضله
ويذيقه النعمى بخلد واقع

وقد قرأتها في جريدة المدينة العدد ٩٥١٠ يوم الأربعاء ١٢ ذي الحجة ١٤١٣هـ.

○○○○○

ومات الأديب أحمد محمد جمال!!

وموت الأديب والكاتب البارع أحمد محمد جمال في يوم الأحد التاسع من شهر ذي الحجة سنة ١٤١٣هـ وهو اليوم المصادف ليوم عرفة من أيام الحج، يعني تتابع موت الأدباء في هذه السنة إذ مات في ٦ ذي القعدة ١٤١٣هـ الشاعر والأديب حسين سرحان الذي كتبت عنه ما فيه الكفاية في موضوعات تقدمت في هذا الجزء.

ولقد كان لموت الأديب أحمد محمد جمال صدى واسعاً في الوسط الأدبي عامة.

أما وفاته فكانت في القاهرة وقد نقل جثمانه بالطائرة ودفن في مكة المكرمة حيث هي مسقط رأسه.

وموت العلماء والأدباء والأساتذة والشعراء وغيرهم من الأعلام يكون له وقع مؤلم في المجتمع الذي عايشوه، لكن هذا الوقع لا يكون مكتوماً في النفوس وإنما يباح به في أسلوب ينم عن الوفاء المغلب بعبارات الرثاء المشتملة على ذكر المآثر والخصال الحميدة التي كان يتمتع بها الراحل من الدنيا.

والحقيقة أن هذا شيء طيب، وإن كان الرأي يتفق على أن المديح وذكر المناقب إبان الحياة أفضل منه بعد الموت، ولكن الرثاء مطلوب وذكر الموتى بأحاسن أعمالهم مرغب فيه، ومحثوث عليه.

والأديب السعودي أحمد محمد جمال من الرجال الذين استحقوا الرثاء من مجتمعهم حيث الرضا عنهم وعن حياتهم كان سائداً، بل كان قائماً على ما قدموه من أعمال أدبية وفكرية كان المجتمع في حاجة



إليها، ولهذا فإنه لا غرابة حينما توالي الصحف نشر الكلمات التأبينية والقصائد الرثائية التي ينعي أصحابها أديبنا أحمد محمد جمال رحمه الله رحمة واسعة، ومما نشر من قصائد في رثائه قصيدة الشاعر الدكتور عمر زهير حافظ التي منها قوله:

فجعت ديار بالحجاز وساءها
هذا المصاب بفقدكم إذ جاءها

في خير أيام الزمان بمصرنا
خبر الوفاة إلٰهنا قد شاءها

سمعنا رضينا بالقضاء وحكمه
كتب الرحيم حياتنا وفناءها

إن الدّيار لفقدكم محزونة
تبكي الأديب معلماً أبناءها

أستاذنا يا أحمد بن محمد
ابنٌ لمكة قد رعيت وفاءها

ومنها قوله:

ندعو لكم رباً رحيماً قادراً
بمنازل كان النعيم جزاءها

فاهنأ قريراً بالنعيم وجنة
خلق الرحيم نعيمها وهناءها

بشرى لمن حمل القصيدة ناصحاً
كل الشباب لكي يكونوا ماءها

وقد قرأت هذه القصيدة في جريدة «المدينة» العدد ٩٥١١ الخميس ١٣ ذي الحجة ١٤١٣هـ.

رجال قالوا في أحمد جمال

وعندما وافت المنية الأديب أحمد محمد جمال في ٩/١٢/١٤١٣هـ، نعاه الكثير من أصدقائه وممن تربطهم به حرفة الأدب ولغة القلم، فقال علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر: إن الأستاذ أحمد محمد جمال بالنسبة لي من أحبابي وإخواني الأعزاء الذين أحمل لهم منتهى التقدير فقد كان يتصف بصفات قل أن تجدها في عالم مفكر في عصرنا الحاضر. أهمها ثباته على موقفه ثباتاً لا يتأثر ولا يتزعزع إذا اعتقد أن الأمر حق، وهذه الصفات والميزات هي التي تفتقرها في الأدباء والمفكرين، وكان يظهر ما يبطن دون أن يترك للمؤثرات فرصة لإخفائها لأنه كان عف الكلمة، طاهر الضمير لو خالفته في رأي من الآراء لن تسمع منه كلمة تؤثر في نفسك.

ولم أقرأ يوماً لأحمد جمال ما أقول ليته لم يكتبه رغم أن له بعض الآراء التي لا يقبلها البعض.

وقال الأستاذ عبد الله فرج الزامل الخزرجي: لقد فقدت الساحة الثقافية أحد رجالاتها الأدباء الذين أعطوا وأسهموا إسهاماً كبيراً في إثراء الساحة الثقافية بالأعمال الجليلة.

وقال الدكتور محمد الرويتي: لقد انطفأت شمعة من شموع الخير والإصلاح الإسلامي، ولقد كان رحمه الله رمزاً من رموز الفكر الإسلامي الحديث بما قدمه من أبحاث ودراسات عديدة تخاطب الشباب قبل الشيوخ وكانت كتاباته تخاطب العقل والوجدان الإسلامي.

وقال الأستاذ محمد الجابر: لقد خسرت الساحة الثقافية واحداً من



الرموز الثقافية الإسلامية الذي أعطى الساحة الوقت والجهد، وإن مات أحمد جمال فإن أعماله الخيرة ستظل شاهرة وستظل عالقة داخل الأذهان والقلوب.

وقال الدكتور سهيل حسن قاضي: كان أحمد جمال صاحب رسالة ولم يمت إلا واقفاً ومدافعاً عن الحق والخير، كان معتداً بفكره مؤمناً برسالته لا تأخذه في الله لومة لائم يناصر الضعيف والمظلوم ويقف دونهما وربما تحمل في سبيل ذلك بعض المشاق، يكره المداهنة والنفاق والمجاملة، ويؤمن بحرية الفرد الفكرية ويسعى على تنميتها بين طلابه يشغل دائماً نفسه بقضايا المجتمع المحلي، والمجتمع الإسلامي.

ومن الشعراء الذين رثوه الشاعر محمد علي مغربي الذي رثاه بقصيدة منها قوله:

ما كنت أحسب أنني أرثيكا
بل كنت أوثر أنت أن ترثيني

لكننا والله مبرم أمره
نرضى ونحمل لوعة المحزون

يا صاحب القلم الأبيّ كأنه
سيف يذود عن التقى والدين

تلقى به جيش الضلال فينجلي
وجه الحقيقة كالصباح مبين

وترد كيد الكائدين بحجة
تجلو ظلام الشك والتظنين

أفنيت عمرك كاتباً ومجاهداً
للّه تدعو في ثبات يقين

مصباحك القرآن تنشر نوره
مما حباك اللّه من تبيين

ومنها قوله:

إني لأشعر والأسى ينتابني
إن المكان غدا بغير مكين

والقصيدة أطول من ذلك وقد نشرت في «الأربعاء» ملحق جريدة «المدينة» ١٩ ذي الحجة ١٤١٣هـ.

○ ○ ○ ○ ○

أحمد جمال، نجم هوى

لما مات الأستاذ أحمد محمد جمال الكاتب والشاعر والأديب السعودي في ٩/١٢/١٤١٣هـ، كثرت فيه المراثي، وممن رثاه من الشعراء صديقه الشاعر الكبير محمد حسن فقي، وذلك بقصيدة جعل عنوانها «وهوى النجم» وقد أطال فيها النفس إذ بلغت أبياتها المنشورة في العدد ٩٥١٧ يوم الأربعاء ١٩/١٢/١٤١٣هـ، من جريدة «المدينة» ٣٥ بيتاً استفتحها بقوله:

أسيلوا عليه الدمع، فهو به أجدى
ولا تذخروا شكراً ولا تذخروا حمدا

فقد كان ذا فضل، وقد كان ذا هُدى
يفيضان للعافين من ربعه رفدا

ومنها قوله:

أأحمدُ كنت الروض فينا ثماره
وأزهاره كانت لنا النفح والرغدا

فصوّح هذا الروض، جفّ نميره
فلم نلق طعما لذّ فيه ولا وردا

لقد كنت فيه بلبلا متفرّداً
بأنغامه يُشجى بها المجد والوجدا

فأجدب هذا الروض بعدك باكياً
على طيره الشادي الذي سكن اللحدا

ومنها قوله:

أأحـمـدُ، يـا رُبَّ امـرئٍ مـتـمـيـز
يـنوِّر لحداً مثلما يطربُ المهدا

وقد كنته شيخاً، وقد كنته فتى
فما أكرم المثوى، وما أكرم الخُلدا

أما الذين أكثروا من تأبينه نثراً فمنهم الكاتب عبد المقصود خوجة الذي قال: كان أحمد محمد جمال طيّباً، دمث الخلق متعاوناً في كل ما من شأنه خير وصلاح مجتمعه، لم يغضب رحمه الله لنفسه ولكن للحق، وغالباً ما يبدأ بعتاب رقيق تزول على إثره رواسب الغضب أو أي خلاف قد ينشأ بين الأحبة، فلم يعرف قلبه الضغينة والأنانية بل نذر معظم وقته لخدمة النّاس من خلال الجمعيات الخيرية وخدمة العلم وطلابه.

ومنهم الكاتب محسن أحمد باروم الذي قال عنه: أشهد أن الأستاذ أحمد محمد جمال كان مثال الكاتب الملتزم الذي كان يسعى في طلب الحقيقة أياً كان مصدرها، ويصدع بالحق وإن كان مرّاً ولو أوذي في سبيله.

إن أحمد محمد جمال كان ثروة فكرية واجتماعية ووطنية ضخمة لأهله وصحبه ومواطنيه وتلاميذه وأبناء أمته يجدون عنده ما يطلبونه من زاد العلم وثراء الثقافة. وسعة منهج الفكر والأخلاق. وقوة الإيمان. وحسن الإدراك. والإخلاص في العمل والسعي الدائب لإذاعة القيم الروحية والخلقية والحضارية والإسلامية.

○○○○○

أحمد محمد جمال

واحد من أعيان وفيات عام ١٤١٣هـ

ومن ذا الذي لا يؤمن بأن الموت منتزع أرواح المخلوقات جميعاً، لكن الذي يؤلم هو موت الأعيان الذين تفتقد أعمالهم الاجتماعية الجليلة، ونشاطاتهم الإنسانية النبيلة بوفاتهم فيحصل على موتهم حزن وأسف وألم وحسرة في قلوب من تربطه بهم أية صلة.

والأديب الكاتبُ والشاعرُ المفكر الإسلامي أحمد محمد جمال كان واحداً من أعيان وفيات هذا العام ١٤١٣هـ، إذ وافته المنيّة في ٩/ ١٢/ ١٤١٣هـ.

والحقيقة أن موت الأستاذ الجامعي أحمد محمد جمال يعني خروج فارس من فرسان الساحة الأدبية والميدان الفكري، وليس أدلَّ على ذلك من قول الكاتب والشاعر مصطفى زقزوق: كيف أبكي أسفاً وحسرة على العالم الجليل، والأديب النبيل أستاذنا أحمد محمد جمال نبكيه لأنه رجل امتنع عن الخصومة والجدال، وسخر قلمه وفكره لخدمة القضايا الإنسانية وجاهد بهما دفاعاً عن الإسلام والمسلمين، واستطرد في مقاله قائلاً: إن أحمد محمد جمال رمز في حياتنا الثقافية، أستاذ ومفسر وكاتب وصحفي ظل إلى آخر أيامه يشارك في زاويته في صحيفة المدينة. طارحاً أبرز القضايا الفكرية والاجتماعية والثقافية ومدافعاً عن قضايا الدين إزاء من يحاولون النيل منه من أعدائه.. وقائلاً: إن أحمد جمال معادلة إنسانية توازن فيها العلم مع الحق والعطاء مع النبل الإنساني رحمه الله رحمة واسعة.



ومن قول الأديب والكاتب والشاعر عبد الله بن خميس:
رحم الله أحمد جمال، لقد كان فذاً في خلقه فذاً في إسلامه فذاً في سلوكه، فقد فقدت البلاد بفقده علماً من الأعلام وأديباً نابغاً، أمضى عمره كله في الجهاد والنضال ومعالجة الأوضاع والنصح للإسلام وأهله. لقد عرفت الرّجل فعرفت فيه الخصال الحميدة والخلق الرّضيّ.

ومن قول الشاعر مقبل عبد العزيز العيسى الذي رثاه بأبيات منها قوله:

رحيلك كان في يوم فضيل
إلى رب يجازي بالجميل

فقد أبديت في دنياك حسناً
وكنت ملازماً أهدى سبيل

وما كنت الخفي بغير شرح
لأحكام بقرآن جليل

فيا من عاش في دنياه يدعو
لدين اللّه والعرض النبيل

دعوت الناس بالحسنى لدين
حنيف شقّ عن علم أصيل

ومنها قوله:

إذا ما غاب أحمد عن حياة
لنا أرثيه من بعد الرحيل

نعاه لنا النعاة بيوم عيد
فلم أحفل بعيد أو قبيل

ومنها قوله:

وما كنت لأحمد في حياتي

سوى خل يميل إلى خليل

والأبيات أطول من ذلك فهي تبلغ ١٢ بيتاً قرأتها في جريدة «المدينة» العدد ٩٥١٠، الأربعاء ١٢ ذي الحجة ١٤١٣هـ.

○○○○○

استبساط البداية يسبب الفشل في النهاية!!

بعد صلاة فجر يوم السبت ٩ ربيع الثاني سنة ١٤١٤هـ الموافق .... والذي صادف بداية العام الدراسي لجميع مراحل التعليم في المملكة العربية السعودية عنّ لي أن أكتب موضوعاً أدبياً بهذه المناسبة لأحث فيه الطلبة على التشمير عن سواعدهم، والتهيء لتلقي العلم بنشاط فكر. وصفاء ذهن. وارتياح نفس ولأبث فيهم روح الحماس مع أولى اللحظات التي يبتدؤون بها تقليب الصفحات الأولى من المناهج والمقررات الدراسية.

فرأيت أن أقتصر في ذلك على التنبيه لما يسببه التساهل الذي يتسرب أحياناً من استبساط بدايات المناهج، ذلك الاستبساط الذي ينفلت بسببه الزمام من اليد مع التدرج في المناهج، وقد يتمادى الطالب في استصحاب ذلك الاستبساط طيلة الأسابيع الأول من الدراسة فما يدري إلّا وهو واجد نفسه قد أفضى إلى مواضيع لا يمكن فهمها واستيعابها ما لم يكن قد وصل إليها من مداخلها وعن طريق التمهيدات لها واستيعاب ما سبقها من موضوعات هي أشبه ما تكون بالمفاتيح التي تحل أسرارها وتجعل صعبها سهلاً وغامضها واضحاً، أو هي أشبه بالمشهيات والمقبلات التي تقدم قبل ومع الأكلات الدسمة.

ولأذكر التلميذ بأن أطول رحلة يقوم بها الإنسان لا بد أن يكون أولها خطوة يبدأ بها الرحلة سواء كان راجلاً أو متجهاً بها نحو وسيلة نقل برية أو بحرية أو جوية.

ويبقى أن أقول إني لست وحدي الذي يغتنم الفرص التي يحسن

فيها الحث على التحصيل، فهناك الكثير من الكتاب والشعراء الذين يبذلون جهدهم على حمل التلاميذ على عدم فوات الفرص والأخذ بالجد منذ البداية فمن أولئك الشعراء الشاعر ياسر فتوى الذي صنع قصيدة عنوانها: «أيها الطالب» منها قوله:

تابع وثوبك أيّها المتوثب
هذي النجوم مكانك المرتقبُ

ترنو إليك بأعين كرُمت بها
غاياتُها وبها تسامى المطلب

وإليك قد مدت يداً فانهض لها
نهض الرجال بعزمةٍ لا تغلب

يا أنت يا من يقتفي سبل النهى
ويظلها منها الرواق الأرحب

تابع طريقك في غمار ضيائها
وليزحم الأضواء منك المنكب

وآقطف ثمار الشمس فهي قريبة
ولمن يروم غلالها هي أقرب

من كل علم تستقيه ظامئاً
يحلو لديك ظماؤه المستعذب

تغريك أنجم أحرف في بوحها
شرفُ المنال وعزة لا تكذب

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٣٠ بيتاً وقد قرأتها مجلة «اقرأ»، العدد ٩٣٢، في ١٤/٤/١٤١٤هـ.

○○○○○

وقفة على المبالغة في المديح

والكثير من الشعراء الذين تحوم أخيلتهم حول الخلفاء والأمراء والأعيان ومخروقي الأكف بصفة عامة.. وتتجلى شاعريتهم في سماء الإبداع وأفق المبالغة حينما تتروى بهاجس الطمع في الصلات والخلع الجزلة والهبات الثمينة، ولا غرابة في ذلك بل إن هذا هو الواقع وهو عين الصواب. ولب الحقيقة التي يندرج تحت مفهومها قولهم: إذا نثرت الحب تهافتت من حولك الطيور، وغردت بألحانها الشجية. وكذلك الشأن ببعض الشعراء؛ فإنهم حينما يجدون باب كرم مفتوحاً ويداً معطاءة مبسوطة يتسابقون نحوها متأبطين صحائفهم الشعرية.

وطبيعي أن يولّد تزاحمهم على أبواب الكرام تنافساً على صياغة المديح لقناعتهم بأن أجودهم شعراً وأعذبه هو الذي يحصل على أجزل الصلات، وأثمن الهبات وأغلى الخلع. ولهذا المطمع التمسوا في صنع قصائدهم جميع ألوان البديع وأوغلوا في الأساليب البلاغية التي منها ما خرجوا بها على الحد المعقول، بل بعضهم يسترسل في ذكر صفات ممدوحه ويأتي بمبالغة لا يقرها العقل. ولا يصدقها الخيال. بل ربما جره الإيغال في المبالغة إلى الزندقة والمروق من الإسلام إن كان مسلماً.

والغريب في الأمر أن بعض الممدوحين يرضى بذلك وهو يعلم أن الشاعر كان كاذباً، وأن الصفات التي ذكر ليست من صفاته بل ربما أن المتوفر فيه هو عكسها تماماً.

ومن الشعراء الذين سلكوا هذا المسلك، الشاعر فتيان الشاغوري

واسمه أبو محمد فتيان بن علي جمال الدين الأسدي المولود عام ٥٣٠هـ والمتوفى عام ٦١٥هـ الذي امتدح الملك الأشرف مظفر الدين شاه أرمن بقصيدة أقتطف من جملة أبياتها قوله:

مظفّر الدين دُعاءَ من رمى
كلكله الدهر عليه وبرْك

لو سقطت في البحر من غضبته
شرارة أصبح مِقلَى للسمَك

وترعد الجبال من حملته
وتقشعر الأرض خوفاً أن تدكْ

همته تعصر تحت رحلها
في الأفق عنقود الثريا المنتهكْ

لو شاء صاد الليث بالثعلب فا
لليث لديه المسترق المشترك

تخشى الشواهين سطا حَمامِهِ
فهو الأكرُّ والشواهين الأرك

فباسمه يُستهزمُ الجيش وراء
الصين وهو وادع في بعلبك

فُقْتَ ملوك الإنس بالعزم وقد
ذلّت ملوك الجن بالتعزيم لك

○○○○○

إفرازات الطبقية في بعض المجتمعات الإنسانية!!

بعض الشعوب التي لا تحفل بالتكافل الاجتماعي في الحياة تجدها منقسمة إلى عدة أقسام، أو قل إلى طبقات مختلفة من حيث مستوى الحياة المعيشية والاجتماعية، الأمر الذي جعل كل طبقة منها تتجمع في ناحية وتنحاز في مكان من المدينة أو القرية فتعرف حالة كل طبقة بمجرد النظر إلى مظاهر منازلها ونظام عمران بيوتاتها.

والحقيقة أن هذه ظاهرة تفسر عدم اندماج تلك الأمة التي تقيس على ذلك النظام الطبقي اندماجاً يذيب الفوارق الاجتماعية، وذلك مثل مجاورة الغني الفقير في السكن ومجالسته ومنادمته. ويحقق في نفس الوقت ظاهرة التميز والانعزال والتحزب، فالأغنياء بحكم ذلك الواقع يمثلون طبقة راقية، والفقراء يشكلون قسماً متواضعاً لا يعرف الأبهة إلا باسمها، ولا الزي والملبس الناعم الجميل إلّا برؤيته وشكله، ولا يذوق الحلوى في مأكله، وإنما يعيش عيشة كلها شظف يقاويه بكسر الخبز ورديء الطعام.

ومثل هذه الطبقة إن قلنا أنها معزولة كان القول صحيحاً على اعتبار أنها تلاقي جفوةً من الأغنياء وإن قلنا أنها بحكم تجانس حالتها الاجتماعية هي التي عزلت نفسها كان القول صحيحاً أيضاً على اعتبار أنها لا تستطيع مسايرة الأغنياء فيما يأكلون ويلبسون ويسكنون. ولهذا كانت محط أنظار أصحاب الملاحظات من أصحاب الأقلام والشعراء الذين يجعلون من تلك الظاهرة مواضيع اجتماعية يدعون فيها إلى العمل على التكافل الذي يزيل الفوارق الاجتماعية، ويجعل جميع أفراد المجتمع يعيشون في حالة تقاربية تشبه الأسرة الواحدة.

مرّ الشاعر أحمد زكي أبو شادي بحي تسكنه طبقة من الفقراء فعن له أن يرسم صورة لذلك الحي في قالب شعري، فقال في ذلك أبياتاً جعل عنوانها «مقبرة **الأ**حياء» أقتطف منها قوله:

فاجتزتُ والصحب الذين تثاءبوا
بعض الأزقة بعد طول عياء

قالوا: لنختصر الطريق، وهكذا
نجتاز منطقة بغير عناء

فتبعتهم وجميعهم في حَيْرَة
وشجاعة كشجاعة الجبناء

حتى إذا زلق الدليل تيقظوا
فإذا به هاوٍ بغير رجاء

في حفرة فيها البراز مكدس
والبول خالط آسناً من ماء

ويطن بالفرح البعوض حيالها
وحيالها الأكواخ كالأرزاء

فأُغيث ثم مضوا وسِرتُ وكلنا
جزءٌ من الأدران والأقذاء

لا نستطيع لنا رجوعاً بينما
في سيرنا روْع من الأدواء

○○○○○

تكنولوجيا الصناعة..

حصيلة لأعمال العقل والفكر!!

والكون باتساعه وعمقه، وبكل ما فيه من كائنات حية، وأجرام وكواكب وذرات ومخلوقات لا يعلمها إلّا الذي وسع علمه كل شيء يعد ميداناً يطلق فيه الإنسان عقله وبصره وفكره وخياله بل إنه قد أمر بذلك ودعي إلى إعمال فكره فيما يستطيع أن يحققه عقله من نظريات ينطلق من واقع معطياتها وبراهينها وحقائقها إلى حيث يستطيع الانطلاق، ويتجه إلى حيث ما يمكّنه عقله وإدراكه قال تعالى في سورة الرحمٰن آية ٣٣: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾، وقال تعالى مرشداً الإنسان في إمعان النظر والتبصر فيما حوله وما يحيط به من مخلوقات في سورة ق من آية ٦ إلى الآية ١١: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾.

والدعوة من الله إلى الإنسان بالتفكير في السماء والأرض من أجل الوصول إلى بعض الحقائق العلمية والقوانين التي مَنَّ الله على الإنسان بالوصول إليها واكتشافها من أجل الاستفادة منها في شؤون حياته التي أصبح كل منها خاضعاً للمخترعات التي استبدلت كل صناعة يدوية، ونحن إذا ما نظرنا إلى بعض الاكتشافات التي مكنتنا من السيطرة على ما كان

صعباً أمام جهدنا اليدوي أدركنا بواقع الحال أن الله قد مَنّ على عقل الإنسان فمكنه من التوصل إلى ما يعرف اليوم بتكنولوجيا الصناعة التي يسرت له أمناً غذائياً وصحياً وحربياً وفكرياً تحقق له بها إيجاد وسائل تعليمية وتثقيفية وغير ذلك من الاتصالات التي لها دور في تقوية الروابط الاجتماعية والفكرية والسياسية، والحقيقة أن كل شيء يتوصل إليه الإنسان في عالم الصناعة ما هو إلا نتيجة علم انتهى إليه وظفر بالسبق إلى معرفته، وحول هذه الحقيقة العليا التي دعانا الله إلى البحث عنها وإشغال الفكر في سبيل الوصول إليها يقول الشاعر أحمد محمد أبو شلباية من قصيدة له:

وكل ممنع سيلين يوماً
لألباب ولو مثل الصفاة

ألم تر للذين سموا بعلم
فساروا فوق متن النيرات

فهل فعلوا المحال أم استجابوا
لآيات الكتاب والبينات

لقد قال انظروا فيما لديكم
تروا في الكون شتى المعجزات

فإني قد خلقت لكم عقولاً
ترون بها الخفايا ظاهرات

دلائل قدرتي أسرار خلقي
تقوم على وجودي شاهدات

فسبحان الذي أحيا وأفنى
له الأكوان تغدو طائعات

كتاب الكون إيمان وهدي
لمن ضلوا الطريق إلى النجاة

شعر في أحداث الساعة!

وأحداث الساعة لا يلم بها شعر شاعر واحد أو عدة شعراء، وإنما كل شاعر تخفق أمامه خاطرة شعرية بالحدث الذي يؤرقه، أو بالأحداث التي يوليها اهتمامه، ويكون على علم تام بمجرياتها، ولهذا فإن الشعر أو بعضه بالأصح يأتي مؤرخاً وراصداً للأحداث والوقائع التي زامنت الشاعر.

وأحداث الساعة بالنسبة للعرب وإسرائيل تتمثل في محادثات السلام التي بدأت مع مطلع عام ١٩٩٢م حيث قبل بها العرب على مضض فكان أول اجتماع عقد لها في مدريد عاصمة إسبانيا، فكان العرب بين متفائل ومتشائم حيال تلك المحادثات، لكنه مضى عام كامل دون إحراز أي تقدم في تلك المحادثات أو الحصول على أي تنازلات تنبئ بأن إسرائيل ومن يقف إلى جانبها صادقة فيما تدعيه، وإنما كانت.. وهم.. يريدون من دخول العرب في المحادثات الإبقاء على الحالة القائمة التي لإسرائيل فيها اليد العليا على العرب، بل اليد الباطشة، والاكتفاء منه بالاعتراف بإسرائيل بأنها دولة ذات سيادة على عموم فلسطين وأجزاء من البلدان المجاورة لها.

ولا أريد هنا أن أصف أفعال يهود التي أقلها القتل والتشريد للشعب الفلسطيني، والتمييز وارتكاب الجرائم في أبشع صورها، ولعل أحدها هو إبعاد أربعمائة فلسطينياً دفعة واحدة وتركهم في زمهرير الشتاء الواقع بين عامي ١٩٩٢م و١٩٩٣م يقتلهم المرض والجوع والصقيع.. ومجلس الأمن يهدّد ويتوعد ولكنه لا ينفذ أو حتى يوصي بالتنفيذ.

ولقد عبر عن هذا الوضع السيء الذي يتلقاه المسلمون من أعدائهم بتواطئ من مجلس الأمن الذي تهيمن عليه دول تسعى جادة لكسر شوكة الإسلام في أي مكان من العالم، الشاعر عبد الله بن محمد بن حماد آل حماد في أبيات شعرية عنوانها: «اليهود ومفاوضات السلام»، منها قوله:

نادى المنادي لصلح في «قضيتنا»
ليخلف الحرب سلم وارف الظلل

ومجلس الأمن قد أبدى على حذر
قراره خجلاً خوفاً من الزلل

قالوا نفاوضها للحق نلجئها
لكنها ماطلت دهراً بلا خجل

لا دين يردعها، لا عرف يلزمها
ماذا سنجني من الليكود والعمل[1]

نريده جدلاً مراً، وتفرض ما
شاءت وتقتلنا بالبأس والملل

ومنها قوله:

لكنها لم تحد أو تنتكس أبداً
عن سعيها لاحتلال السهل والجبل

والمبعدون مثال من تعنُّتِها
سيقوا إلى البرد والتشريد والعلل

حتى ابن «بطرس» ناغاها وغازلها
فعاد مبعوثه قد باء بالفشل[2]

---

(١) الليكود.. والعمل: حزبان رئيسان في إسرائيل.

(٢) بطرس: هو بطرس غالي: والقصيدة منشورة في العدد ٨٩٧١ من جريدة.....

الرد القاسي لقاء التطاول

يقولون.. إن من يريد أن يشتهر اسمه ويحلق صيته في سماء الأدب فعليه أن يماحك الشهير ويأخذ في مجادلته. ويسعى إلى محاولة اجتراره إلى التقاول: واجتذابه إلى ساحة الأخذ والرد في المواضيع المثيرة التي يتلقفها الناس، ويعملون أفكارهم في الموازنة بينهما فيصبح بذلك في كفة. والشهير في كفة. وعندئذٍ لا يهمه الرجحان به لأنه حصل على صفة الموازنة من قبل المتلقفين من الناس، وإن كان لا يوازنه، ولا يراجحه في كفة الميزان.

والساحة الأدبية مليئة بهذه الصورة.. فكم قرأنا من مناقشات خالية من التكافؤ، فأحد أطرافها له شهرة وباع طويل في ساحة الأدب.. والآخر ركس به في الجهل ضعف مستواه التعليمي ولجوئه إلى الادعاء، فكان بدخوله مع ذلك الشهير في بعض المناقشات التي يعمد إلى اختلاق الخلاف معه بقصد الاستمرار الذي يأخذ به إلى البروز أشبه ما يكون بالسخل الذي ينطح الصخر.

والشعراء الذين يشار إليهم بالبنان قد يحصل منهم بعض التجاوزات للمتشاعرين ما لم يحدث منهم تطاول، أما إذا بدا منهم تحرس غير مألوف فإن الرد الرادع يكون جاهزاً، يقول المتنبي في بعض الشعراء الذين أرادوا التطاول عليه:

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر
ضعيف يقاويني قصير يطاول

أما الشاعر السيد علي أفندي الدرويش من شعراء القرن الثالث



عشر للهجرة فقد كان له رد قاس على شاعر تجاوز حد المعقول في امتداح نفسه، والتقليل من قيمة الدرويش حيث أظهر المقاواة في قصيدة بعث بها إلى الدرويش فتلقى الرد الذي منه قوله:

وظننت أنك قد نظمت قصيدة
مع أنها شهدت بأنك مبتذل

وأتت تشير بأن ناظمها حوى
جهلاً عظيماً قد أحاط به الخلل

إذا جئت فيها بالعجائب كلها
ملحونة الألفاظ فاحشة العلل

لو كنت ذا لب لعابك عيبها
فابشر فإنك لست ممن قد عقل

تعساً لفهمك في القريض فإنه
لبوارد الأقوال بادر واتصل

فاستر عيوبك بالسكوت ودارها
واختر لنفسك ناصحاً منها أجل

وارض الخمول فإنه لك نعمة
كم بالظهور فتىً تعاظم ثم ذل

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ نحواً من اثنين وثلاثين بيتاً ضمنها كتاب «الإشعار.. بحميد الأشعار» لعلي أفندي الدرويش.

○○○○○

المقاهي مكان تجمع فئة من الناس
ولوجودها إيجابيات وسلبيات!!

ووجود المقاهي بصفة عامة فيه ما فيه من الإيجابيات، وفيه ما فيه من السلبيات، فالإيجابيات تقرر أنها مظهراً حضارياً، أما السلبيات فترى أنها أماتت روح الكرم في الناس وقلل من الاستضافة التي هي عنوان الكرم العربي.

والمقاهي بحالتها الراهنة هي مكان تجمع فئة من الناس ذات طابع اجتماعي متميز، وعندما أقول أنها مكان تجمع شريحة معينة من الناس فإن ذلك يعني أن رواد المقاهي من غير الأجانب وأبناء السبيل والذين يتواجدون فيها بصفة مستمرة هم الذين قد انفلتوا من رباط الأسرة لأي سبب من الأسباب التي تجعل الإنسان غير راغب في البقاء في بيته، سواء كان من ذاته أو بسبب خارجي مؤثر جعله ينفر من بيته ولا يطيق الاستقرار فيه.

ولو أجرينا دراسة على رواد المقاهي أو القهاوي إن صح التعبير، لوجدنا فئة منهم بؤساء، وفئة أحداثاً تمادى بهم دلال الأهل حتى خرج بهم عن الطاعة والحد المألوف وأهّلَهُم ذلك الدلال المصحوب ببذل المادة إلى ارتياد المقاهي، والبقاء فيها معظم أوقاتهم وفئة من العزاب الذين لم يستقروا بعد ولم يصبحوا أرباب أسر.

وبناءً على هذه النتيجة فإن القهاوي تكون إما حلاً لمشكلة أعزب وأجنبي وعابر سبيل أو مكاناً لتجمع بعض الشباب الذين أشرت إلى ما وصلوا إليه من حالة بسبب الإفراط في الدلال وقد وصف الشاعر حسين



الجزيري حال المقاهي، وحال روادها، وأشار إلى أنها مكان يكثر فيه سوء الأدب، وتقل فيه نسبة المتأدبين، وذلك في أبيات منها قوله:

أخـو الـبـلـوى وأنـواع الـبـلاوي
تـراهـا إن دخـلـت إلـى الـقـهـاوي

تـشـاهـد مـا يـورث كـل حـزن
وغـم مـا عـلـيـه الـقـلـب قـاوي

يـمـر الـلـيـل والأوراق تـجـري
وكـل فـي مـهـاوي الـشـر هـاوي

وهـاتـيـك الـمـوائـد حـاويـات
لـمـن أمـسـى عـلـى الإفـلاس نـاوي

وأصـوات الـجـمـاعـة صـاديـات
إذا مـا قـيـل أثـمـان الـقـهـاوي

ويـشـتـد الـخـلاف لأجـل «لـص»
فـتـسـمـع كـلّ أنـواع الـمـسـاوي

وقوله:

أنـاس هـكـذا تـقـضـي الـلـيـالـي
وأخـرى تـقـلـب الـجـدران «جـاوي»

إلٰـهـي أنـت تـدركـهـم بـعـفـو
وإلّا مـن لـذي الـمـرضـى يـداوي

○ ○ ○ ○ ○

كل شخص له رائحة متميزة عن الآخر!!

تناقلت وكالات الأنباء أن عالماً اكتشف مؤخراً بأن لكل شخص رائحة تختلف عن رائحة الشخص الآخر واعتبر ذلك سبقاً لذلك الطبيب الأمريكي المتخصص في الأمراض الجلدية، وعُلِمَ أنه اكتشف شيئاً سابقاً وجوده من لدن خالق الإنسان ومبدع الكون.

والحقيقة أننا لو أمعنا النظر قليلاً في علاقة الطفل بأمه وتدبرنا النصوص القرآنية تدبراً علمياً وربطنا بها الظواهر التي نشاهدها لما اعتبرنا توصل ذلك الطبيب إلى معرفة اختلاف روائح البشر، واختصاص كل واحد برائحة معينة مفاجأة.

وأقرب شيء نذكره من تلك الظواهر لنفي هذا الاستغراب من الأذهان هو ما نأخذ من حياة الطفل الذي يميز رائحة أمه من بين عشرات بل مئات النساء، والدليل على ذلك أنه إذا طلبت إليه أمه أن يحضر لها شيئاً من ملابسها المختلطة بملابس غيرها فإنه يأخذ من شمها قطعة قطعة حتى يجد القطعة التي فيها رائحة أمه فيحضرها لها.

ولعل في قصة موسى عليه السلام الذي لم يقبل بمرضعة غير أمه شيء يُمَكِّنُ من القول بأنه كان يعرف أمه من رائحتها فجاء التحريم منطلقاً من هذا السبب قال تعالى في سورة القصص آية ١٢: ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾.

وأمر آخر جاء في القرآن محققاً أن هناك اختلافاً بين روائح البشر، وذلك في قصة نبي الله يوسف عليه السلام حيث جاء بالنص الصريح على لسان يعقوب إذ قال تعالى: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ



أَن تُفَنِّدُونِ﴾ والحقيقة أن القرآن الكريم قد أكد لكل باحث يصل في بحثه إلى نتيجة قد يسميها اكتشافاً أنه في الواقع ليس اكتشافاً وإنما هو عثور على شيء سابق وجوده وتعذرت معرفته على غيره قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذا النص: «ما تركنا شيئاً إلا كتبناه في أم الكتاب».

بعد هذا أرى أن نقتطف أبياتاً من نونية الشاعر المصري إسماعيل صبري المولود عام ١٨٨٦م والمتوفى عام ١٩٥٣:

خط في اللوح ما قضى للبرايا
من قديم الآباء والأزمان

يثبت اللّه ما يشاء ويمحو
وبأم الكتاب أصل البيان

هكذا كنت يا ابن آدم نوراً
قد تجلّى في الجدي والسرطان

قدرة أعجز التفكير فيها
ألمع النابهين في العرفان

قدرة الواحد المنزّه حقاً
عن شبيه وعن حدود المكان

صاحب الأمر وحده في وجود
ما به ذرة بغير لسان

وفي مقطع آخر من تلك النونية يقول:

فيض علم الحكيم رب البرايا
ما بدا نورُ سرّهِ في جنان

لم يدع ذرّة على الأرض إلا
ضمها علمه بأجْلَى بيان

العاشق والمعشوقة

وقد يتبادر إلى ذهنك أيها القارئ الكريم عندما تقرأ عنوان هذا الموضوع.. إنني سأتحدث عن ملكة جمال العالم. وما يختلج في نفسها من عشق. وما يحيط بها من عشاق. أو قد تتصور أنني سأروي لك حادثة سببها غرام مبالغ فيه بين عاشق ومعشوقة.

لكن الواقع خلاف ذلك إذ إن المراد من العنوان، لا هذا ولا ذاك. وإنما هو يعني قصيدة ابن زيدون واسمه.

تلك القصيدة التي غازل فيها ولادة بنت المستكفي، والتي استهلها بقوله:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا

وناب عن طيب لقيانا تجافينا

والذي يقرؤها بإمعان وتروي يتبين له بوضوح أنها قصيدة عاشقة ووالهة في واقعها ومعناها وأسلوبها.

أما كيف كانت معشوقة فلأن بعض الشعراء قد أعجب بها وبأسلوبها ونغماتها العذبة وتفعيلاتها وقافيتها الرنانة التي تنساب في رقة نحو الأذن وتدخلها بلا استئذان، فصنعوا قصائد على غرارها معارضة ونهجاً بل ضمنوها شيئاً من عباراته وأبياتها.

ولأن المجال أو بالأصح مساحة الموضوع الذي التزمت فيه عدم الإسهاب والإطالة لا تسمع باستعراض أكثر من نموذج من المعارضات والتضمينات.



ولأن الاقتصار على شاهد واحد يكفي في المجال لشهرة القصيدة وسعة انتشارها في المحيط الأدبي واهتمام الرواة بها، أما الشاهد الذي اخترته والمشتمل على المعارضة والتضمين معاً فهو قصيدة الشاعر ـ العاني ـ التي قرأتها في جريدة «الرياض»، العدد ٨٩٧١، الجمعة ٢٢ رجب سنة ١٤١٣هـ والتي منها قوله:

يا من يعز علينا أن نفارقهم
أرواحنا لم تزل تبكي تنائينا

كان الصفا ظلالاً في هواجرنا
وصار يلهبنا شوقاً تجافينا

ترى المقادير أسرى في ضمائرها
ويورد الرق أسياد المحبينا

ومنها قوله:

يا ظل روحي أنبقى الدهر نرقبكم
وينقضي العمر في الأغلال أيدينا

وتستبي النفس ظمأى في مواردكم
لم تسقها القطر أو تعتق أمانينا

كنتم وكنا وكان الألف يجمعنا
فأطفأ البين ومضاً كان يهدينا

فلج في كل عرق آهة وأسى
واسترسلت زفرات الحين تبلينا

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٢١ بيتاً كما هي منشورة في الجريدة الآنفة الذكر.

○○○○○



الثناء على الأم لا يحصى

ويعجز من يحاول أن يعد ما لأمه عليه من فضل يبدأ من حين استقراره نطفة في رحمها حتى يبلغ به العمر سن الرجولة، كما يعجز أن يحصى ما لها عليه من حقوق وواجبات.

روى البخاري عن سعيد بن أبي بردة رضي الله عنه قال: سمعت أبي يحدث أنه شهد ابن عمر رضي الله عنه مع رجل يماني يطوف بالبيت، حمل أمه وراء ظهره. ثم قال: يا ابن عمر أتراني جزيتها؟ ـ أي أديتها حقها؟ ـ قال: لا ولو بذفرة واحدة.

وفي الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رجل يا رسول الله من أحق بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك.

وفي كتاب المستطرف لشهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي المولود عام ٧٩٠ والمتوفى عام ٨٥٠، قوله: بلغنا أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه: يا رب أوصني، قال: أوصيك بأمك حسناً، قال له: سبع مرات، قال موسى: حسبي ثم قال الله تعالى: يا موسى، ألا إن رضاها رضاي وسخطها سخطي.

ومن منقولات سماحة الشيخ مبشر الطرزاني الحسيني التي أودعها كتابه «المرأة وحقوقها في الإسلام». أن رجلاً من النساك كان يقبل كل يوم قدم أمه. فأبطأ يوماً على إخوانه ـ أي تأخر عن موعد الحضور عند إخوته ـ فسألوه، فقال: كنت أتمرغ في رياض الجنة فقد بلغنا أن الجنة



تحت أقدام الأمهات، وإن المأمون قال: لم أر أحداً أبر بأبيه من الفضل بن يحيى فقد بلغ من بره لأبيه أنه لا يتوضأ إلا بماء سخن فمنعهم السجان من الوقود في ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل إلى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح فلم يزل قائماً وهو في يده إلى الصباح حتى استيقظ يحيى من منامه.

ومما يقرب من هذا المعنى من الشعر قول الشاعر اسكندر أفندي قزمان المتوفى سنة ١٩٢٤م من قصيدة له:

علام أثني وهل تحصى صفاتك أو
يفي الثناء سجايا كلها عجب

على حنانك أم إنكار نفسك أم
على يدٍ لا تُداني جودها السحب

على اصطبارٍ وتسليم ومغفرة
على التلطف في إرضاء من غضبوا

على السُّهاد وعين الكل مغمضة
على ظهور الرضى والقلب مضطرب

على اعتناء وتدبير وتربية
على العزاء لمن خابوا ومن نكبوا

على اهتداءِ أعقٍّ كم بسطتِ له
كفيك ضارعة والدمع ينسكب

اللّه حسبك يا ذات الحنان فلن
يضيع ما كان عند اللّه يحتسب

للّه حبُّك ما أصفى موارده
لي وهو في الناس ممذوق ومنقلب

الحب الصادق يكون بعد الخمسين!

وإذا وقع الحب في قلب الرجل بعد أن يبلغ سن الخمسين ووافق تجاوباً ممن أحبه من الفتيات فإنه يكون لذلك الحب المتبادل ترجمة خاصة وفلسفة معينة يرضى بنتائجها الطرفان المتحابان والمختلفان من حيث التجانس في السن.

أما الفلسفة التي تؤخذ من جانب الفتاة التي منحت حبها لرجل بلغ الخمسين من عمره فإنها تأتي من تصور فكري يوحي إليها أن صاحب الخمسين قد نضج حبه واستقام مبدؤه على درب الحب فلا يخشى من تغيره، ولا انقلابه؛ لأنه في تصورها قد أصبح حبه حباً صادقاً متمخضاً من تفاعلات وتجارب تجعله إلى الثبوت على مبدأ الحب أقرب من حب الشباب الذي يميل مع نزوات الشباب ويتغير في اليوم والليلة عدة مرات، وتغلبه المؤثرات المظهرية التي تلعب فيها يد التزييف فتجعله بحكم طبيعة تلونها ينقل حبه المتذبذب من فتاة إلى أخرى.

أما ترجمة الحب الذي ينبع من قلب صاحب الخمسين سنة فإنها لا تحيد عن القول بأنه بلغ من العمر مبلغاً اكتسب معه علم الفراسة وكشف النوايا، وتمييز ما كان متصنعاً من الحب، وما هو طبيعي يمكن التعامل معه، واعتباره الهدف المأمون الذي لا تؤثر فيه التغييرات التي تحدث من جراء التنافس المصطنع من التي تتخذ من المظهر غير الطبيعي منطلقاً لإبراز شخصيتها في عين من له قلب يستهويه المظهر استهواء يجعله يعتمد في حبه على عينه التي كلما لاح لها مظهر أفضل مما رأته مالت إليه.

وحول هذه المداخلة في الحب والميل فيه والثبوت عليه، يقول الشاعر خيري الهنداوي من قصيدة له عنوانها: «بعد الخمسين».

هي ليلى تقول أعشق نبلاً
وسجايا غراً وخلقاً رصينا

لا أحب العشيق غراً كخود
لا تمل التجميل والتزيينا

أو كطفل يلهو ويعبث طيشاً
غير كفء لأن يكون حذينا

كيف تلقى النفس القياد لغر
لم يقدر سر الهوى المكنونا

إن هذا الغرام شيء ثمين
فليكن مثله الحبيب ثمينا

أفتديها بالنفس إن كان ما قا
لته ليلى عقيدة ويقينا

أنا ألقيت بالزمام إليها
فلتصرفه يسرة ويميناً

ففؤادي وكل ما ملكت كفّاي
أمسى بكف ليلى رهينا

○ ○ ○ ○ ○

بَغَتْ تُرزق وعيَّ أبوها!!

لقد ساهم قلم الناثر الشاعر في معالجة قضية العنوسة. وما يخشى مما تسببه من مشكلات اجتماعية قد ترتبط بانحلال الخلق الذي يقتل القيم الإنسانية. ويعقر المبادئ الأدبية. ويكسر شموخ الغيرة في النفس.

وترتفع الصيحات المحذّرة. في عبارات نثرية وشعرية تنادي كل من له ارتباط بمسببات العنوسة وتصف المخاطر التي تنشأ من تفشيها في المجتمع.

وإذا تنازلت الفتاة المدركة لفوات القطار عن بعض الشروط التي تشترط وجودها في فارس أحلامها فإن السبب في عنوستها يعود في المقام الأول إلى والدها الذي يرد كل خاطب يخطبها دونما سبب يدعو إلى رفض خطبته.

ومن هنا ننطلق بالحديث عن مسؤولية الأب عن عنوسة ابنته.

والعامة في نجد تقول «بغت ترزق وعيَّ أبوها» وهو قول يصيب مقتل تسبب الوالد في عنوسة ابنته.

وقد لا يكون رد الخاطب من قبل بعض الآباء بالأسلوب المعروف بالطمع المادي سبباً لعنوسة ابنته، ولكن ربما كان بسبب مبالغته في امتداح ابنته ووصفها بالكمال الذي بموجبه قد يتبادر إلى ذهن الخاطب أن ذلك دعاية وترويجاً لفتاة يخشى بوارها من سوء طباعها أو من مرض مخامر بجسمها أو ما إلى ذلك من الأسباب التي يخفيها أبوها من وراء امتداحها.



روي أن النبي ﷺ خطب فتاة فوافق أبوها، ومن ذا الذي لا يزوج ابنته رسول الله ﷺ لكن أباها تمادى في وصفها للنبي ﷺ حتى قال: إنها لم تمرض منذ ولدت حتى الآن، فقال عليه الصلاة والسلام: لا حاجة لي بفتاتكم وعدل عن خطبتها، والذي يفسر عدول رسول الله ﷺ عن الخطبة يرجع السبب إلى أن الفتاة لم تكن طبيعية، لأن الحياة صحة ومرض، وسرور وحزن، وأفراح وأتراح، بل قالوا ربما أنه ﷺ عدل عن الزواج منها لأنها لم تُمَحّصْ ذنوبها وتكفر خطاياها بالمرض الذي يتمتع الجسم بعده بالقوة والمناعة.

وأعود لأذكر كل أب يردُّ خطبة من لا عيب في دينه وخلقه ونسبه وأدبه.

يقول الشاعر الدكتور جميل محمود مغربي على لسان عانس تسبب في عنوستها والدها من قصيدة طويلة تبلغ ٣٨ بيتاً منها قوله:

أقتاتُ من حلمي القديم يغصني
فأعود ألفظه على استحياء

تتماوج الأحلام فوق وسادتي
والشط عن كل المراكب نائي

ويلوكني وهم ثوى بدواخلي
وألوكه كيما يخف عنائي

فأنا فتاة مثل كل خريدة
يهفو إلى الحضن الدفيء شتائي

فأظل ألثم كل ما لمست يدي
وأظل أحضن ما حواه ردائي

يا ويح حظي كيف ألقاني هنا
ولِدَاتي مسكنهن بالجوزاء



كم أحتسي ألمي على مضض به
تتعاقب الأنواء بالأنواء

قدري أب عات وأم غرة
لا يعرفان حقيقة العذراء

القصيدة قرأتها منشورة في ملحق جريدة «المدينة»: الأربعاء الأسبوعي ٣٠ ربيع الآخر عام ١٤١٢هـ.

○○○○○

الربيع.. بدايته ونهايته وظواهره!!

عندما يحل فصل الربيع من كل عام، يعود الماء إلى كل عود له جذور وفروع، فيخضر وتشرأب أغصانه ويلاعب النسيم بإيقاعات تتفق مع حركات أوراقه التي تنفض الطل عن نفسها وكأنما هي عصفورة تنفض بللاً عالقاً بريشها لتواجه الحياة وتمتثل للشمس. أما الأرض فإنها تأخذ زينتها بفعل ما تستقبله من در السحاب وقطرات الندى، أما متى يحل فصل الربيع وما موقعه بين فصول السنة الأربعة؟ فإن تاريخ بدئه في كل سنة حسبما ما هو مدون في التقاويم فإنه يحل بحلول برج الحمل الذي يقع في أوله نوء سعد الأخبية الذي يتساوى الليل والنهار في أوله ثم يبدأ النهار بأخذ الزيادة من الليل. وهناك ظواهر يستدل بها العامة على ذلك، وذلك مثل تخاطب الطيور وخاصة العصافير وتفريخها وإبراض الأشجار، وقد سجعوا بذلك فقالوا: إذا دخل الربيع تساوى الليل والنهار وأفرخت الأطيار وأبرضت الأشجار، والعرب تقول: إذا طلع سعد الأخبية خرج الناس من الأبنية، ودهنت الأسقية وذلك كناية عن أن البرد قد انتهى وأن الناس في حاجة إلى الماء المبرد في القرب، وفي سعد الأخبية تعقد أكثر ثمار الأشجار.

وبرج الحمل هذا يقع أوله في ٢١ مارس آذار وبه يبدأ فصل الربيع ويستمر حتى ٢١ يونيه حزيران و«٣٠» من برج السرطان هو البرج العاشر من البروج الاثني عشر وجملتها بالترتيب هي الميزان، العقرب، القوس، الجدي، الدلو، الحوت، الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، السنبلة.

والبروج التي يقع فيها فصل الربيع هي برج: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان.

أما النجوم التي يقع فيها فصل الربيع فهي: الشرطان والبطين والثريا والدبران، والهقعة، والهنعة، والذراع. والعامة تحدد فصل الربيع بهذه التعريفات: الحميمين وتبدأ في ٢١ مارس آذار وعدد أيامهما ٢٦ يوماً، والذراعين وعدد أيامهما ٢٦ يوماً، والثريا وعدد أيامها ٣٨ يوماً، والتويبع وعدد أيامه ١٣ يوماً والذراع الأول وعدد أيامه ١٣ يوماً.

وينتهي فصل الربيع بانتهاء طول النهار وانتهاء قصر الليل ثم يدخل فصل الصّيف..

وقد أخذ فصل الربيع نصيب الأسد من تجليات الشعراء، بل قلَّ أن تجد شاعراً لم يأت على ذكر الربيع، ومن نماذج الأشعار التي قيلت في الربيع قول الشاعر أحمد بن هشام الخير:

انظر إلى الروض في جوانبه
أحمره ضاحك وأخضره

إذا هفت فوقه الرياح سرى
بهفوها مسكه وعنبره

نرجسه تنجد صفرته
حتى كأن الحبيب يهجره

والورد يختال في منابته
تطويه أكمامه وتنشره

وقول الشاعر عبد الملك بن نفيل:

أهدى الربيع إليه سكب سمائه
فكسا الثرى من كل لون أزهر

وضحكت متون الأرض عند بكائه
عن أبيض يقق يروق وأصفر

وكذاك لم تكشف سريرة روضه
يوماً بأفصح من غمام ممطر

متبختراً في مشيه فكأنه
ثان لها عطفاً وكاسر محجر

OOOOO

العباءة والعقال

قال الشاعر السعودي حسين عرب قصيدة جعل عنوانها: «العباءة والعقال». ومال برأيه فيها إلى أن العباءة في فصل الشتاء مرغوب في ارتدائها لأن فيها الدفء إذا ما اشتد البرد وهجم بصقيعه وجليده.

تحملت العباءة والعقالا
وهذا الحرّ ينثال انثيالا

ففيها الدفء من قرّ وحرّ
إذا هبت ذوائبها شمالا

إلّا أنه يعود بعدما ذكر مناقب العباءة، وما لها من فضل في حماية مرتديها من شدة البرد وقسوته، ويطلق العنان في ثلبها وذكر ما تجلبه لصاحبها من حر يسيل منه العرق إذا ما ارتداها في فصل الصيف.

ولكن كيف أحملها بيوم
عنيف الحر يشتعل اشتعالا

ثم يصف حالها إذا هو ارتداها في فصل الصيف. وفي يوم حار من أيامه الذي يجعل دماغ الضب يغلي كما يقولون:

أرى عرقي إذا ما جفّ حيناً
تفجر بعد وانهمل انهمالا

ويتناول أيضاً وصف ما تأول إليه غترته وطاقيته من جراء تصبب العرق من جسمه بسبب شدة الحر.

وذابت غترتي وسَقَتْ قذالي
بمعتصر يُدر لي القذالا



وهلْ طاقيتي يوماً ستغني
إذا انسلت حواشيها انسلالا؟

قلت: وهذا خلاف قول أعرابي سئل عن سبب ملازمته لارتداء جبته وعباءته في جميع الفصول فقال: ما اتقّىٰ. وقّى - أي أن اللباس الذي تتّقي به البرد يقيك من الحر -. وهذه في الحقيقة نظرية فلسفية تخالف تماماً فلسفة حسين عرب، بل إنها تخالف من يطعن في شهادة من يلبس لباس الشتاء في الصيف مخالفاً لتقاليد الناس.

وأعود إلى الشاعر السعودي حسين عرب لنرى ماذا قال أيضاً في العباءة والطاقية من حيث المنطق الذي يصف به هيئتهما بأسلوب فلسفي في القصيدة نفسها. يقول:

فيا لعباءةٍ كانت خيوطاً
على كتفيَّ فاندالتْ حِبالا

وما طاقيتي إلا حجاز
ثكلتُ به الحقيقة والخيالا

وبي من عزتي همّ تمطى
على فوديّ واسنبل انسبالا

أما العقال فقد أظهر عدم رغبته فيه من زاوية فلسفية ترتكز على أن الدنيا نفسها عقال. فكيف يضيف إليها عقالاً آخر، فهو إن فعل وارتدى العقال فكأنما هو أضاف حملاً إلى حمل هو به مثقل:

ومالي والعقال فإن نفسي
ترى الدنيا بما وسعت عقالا

والقصيدةُ أطول من ذلك فهي تبلغ ١٤ بيتاً ومدونة في «المجموعة الكاملة» ديوان حسين عرب.

سياحة في ربوع قصيدة!!

وحينما أصف القصيدة بالربوع فلأنها قصيدة ملونة وذات مقاطع، كل مقطع منها يلمس حقيقة. ويصف موقعاً، وينبّه إلى خطأ اجتماعي، أو ما إلى ذلك مما له ارتباط بشؤون الحياة.

أما لمن تكون هذه القصيدة التي اشتملت على تلك الصفات؟ فالجواب: هي للشاعر محمود غنيم المتوفى عام ١٩٧٢م. وليست مما اخترته فهناك الكثير من القصائد ذات المقاطع التي تبحث في عمق مشكلاتنا وتربط حاضرنا بماضينا، ولكن عنّ لي أثناء قراءتي لقصيدة محمود غنيم «في مهرجان دار العلوم» أن أكتب عن هذا اللون من بناء القصائد.

وقصيدة محمود غنيم التي بين يدي قال إنه ألقاها في العيد الخمسين لإنشاء دار العلوم عام ١٩٢٧م في القاهرة، وقد سلك في بنائها طريقة الشعراء القدامى حيث استهلها بثمانية عشر بيتاً غزلياً منها قوله:

من لم يحركه الجمال فميت
كيف الحياة إذا الفؤاد تحجرا[١]

قل لابن حجر يا قتيل عنيزة
هلا شهدت من الكنانة جؤذرا

---

(١) وهذا البيت يذكرني ببيت لإيليا أبو ماضي فيما أظن وهو:
إذا أنت أبصرت الجمال ولم تهم   كنت امرءاً خشن الطباع بليدا



ثم بعد التغزل يخلص إلى وصف دار العلوم وما قدمته من علم تخرج فيه طلبة برعوا في مختلف العلوم، وقد وصف الدار بأمومة:

دار العلوم أمومة ما أنجبتْ
لسماء وادي النيل إلّا نيرا

طلعتْ شهاباً في ظلام مطبق
لا يأمن الساري به أن يعثرا

وفي إحدى مقاطعها يشير إلى سبق العرب في التقدم العلمي حيث حافظوا على مأثُورهُ فاستفادوا منه استفادة لم نستطع نحن العرب الوصول إلى مثلها.. وإنما اكتفينا بتقليدهم فيما ليس لنا منه فائدة.

أو ما رأيت الغرب ألقى سيفه
وسطا تحدى علمه واستعمرا

ثم يلتفت التفاتة نقدية في المقطع الأخير إلى تأنيب أولئك الحداثيين الذين يدعون إلى الأخذ بمبدأ البينونة وإغفال كل قديم من التراث واعتباره غير صالح حياتهم التي رضوا بأن تكون مبتورة بصلة بأي ماضٍ.

لا تحذُ حذو عصابة مفتونة
يجدون كل قديم شيئاً منكرا

يجدون إنكار القديم فضيلة
والخوض في الدين الحنيف تحضرا

عبدوا الجديد مقلدين وربما
حسبوا سوادَ القارِ مسكاً أذفرا

○○○○○

تكريم المسن من أوجب الواجبات على الشباب!!

في القول المأثور «الشيخ في عشيرته كالنبي في قومه»، وهو قول قد أنصف الشيب من الشباب، ويحسن بالشباب أن يجعلوه نصب أعينهم أثناء تعاملهم مع شيبهم، ولكن هل كل من شاخ في أهله يصبح كالنبي في قومه؟ بالطبع لا لأن هناك معايير مختلفة يجب فهمها عند تطبيق القول المأثور. فالشيخ الذي كانت له مواقف نافح من خلالها دون عشيرته لا بدّ أن يكون متميزاً عمن سواه من حيث إجلاله وتعظيم قدره.. أما الشيخ العادي فله حق الشيخوخة على الشباب فلا يهان ولا يذل، ولا يحقر في مجلس ولا يتعالى عليه أو يصعر عليه الخد.

والشباب الذي يعني معنى احترام المسنين والرفق بهم والتذلل لهم وتليين الجانب عند معاملتهم أو التحدث إليهم هم شباب قد أدركوا أنهم في يوم من الأيام إن طال بهم العمر سيؤولون إلى ما آل إليه شيوخهم.. وكما قيل: من زرع حصد.

والرجل الذي كان مقدماً في قومه وسيداً فيهم بحكم ما يتمتع به من خصال قد أهلته إلى السيادة والريادة ووضعته في موضع الزعامة، يكون له عندما يبلغ من الكبر مبلغاً واجب وحق على بني قومه، ولهذا فإن العناية به من أوجب الواجبات الاجتماعية.

قال السجستاني واسمه سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي بن القاسم المولود عام ١٦٠هـ تقريباً والمتوفى عام ٢٤٨هـ وقيل عام ٢٥٤هـ في كتابه «المعمرون والوصايا»، قالوا: وعاش عدي بن حاتم الطائي بن عبد الله بن حشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم،



- أنهى نسبه إلى ابن الغوث من طيء -، مائة وثمانين سنة، فلما أسن استأذن قومه في وطاء يجلس عليه في ناديهم، وقال: إني أكره أن يظن أحدكم إني أرى لي عليه فضلاً، ولكن قد كبرت ورق عظمي. فقالوا: ننظر، فلما أبطأوا عليه أنشأ يقول:

أجيبوا يا بني ثُعَلَ بن عمرو
ولا تكتموا الجواب من الحياء

فإني قد كبرت ورق عظمي
وقل اللحم من بعد النقاء

وأصبحتُ الغداة أريد شيئاً
يقيني الأرض من برد الشتاء

وطاء يا بني ثُعَلَ بن عمرو
وليس لشيخكم غير الوطاء

فإن ترضوا به فسرورُ راض
وإن تأبوا فإني ذو إباء

سأترك ما أردتُ لما أردتُم
ورَدُّكَ مَن عصاك مِن العناء

لأني من مساءتكم بعيد
كبعد الأرض من جو السماء

وإني لا أكون بغير قومي
فليس الدلو إلّا بالرشاء

فأذنوا له أن يبسط في ناديهم، وطابت به أنفسهم، وقالوا: أنت شيخنا وسيدنا وابن سيدنا، وما فينا أحد يكره ذلك ولا يدفعه.

○○○○○



مما انتزعه ابن زيدون من قول البحتري!!

والشعراء ينتزعون بعض الكلمات ذات المدلول الشيق، أو قل بعض الجمل من شعراء آخرين فيودعونها في أشعارهم، وإن لم تكن كلمة أو جملة أو عبارة فربما كان معنى خاصاً.

وانتزاع المعنى وصياغته في أسلوب صاحبه ربما دخل في مفهوم الاقتباس أو قل التضمين إذا كان التغيير في الألفاظ طفيفاً كاستبدال كلمة بما يرادفها في معناها.

والذي يربط بين أقوال الشعراء المتأخرين وبين من سبقوهم يجد أن قضية الانتزاع منتشرة وذات نشاط واسع وغير محدود، لكن الناقد يعتبر هذا الانتزاع تعشقاً من الشاعر المتأخر لما قاله الشاعر المتقدم عليه فتخف بذلك حدة النقد، بل ربما أجازه في ذلك على اعتبار أنه شاعر متذوق وإن شاعريته قد مكنته بكل لطافة وخفة وذكاء من الانتزاع.

ولا نذهب بعيداً في طلب صورة لذلك أو سياق مثل على ذلك بالأصح.. فالشاعر ابن زيدون واسمه أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون، المولود في قرطبة عام ٣٩٤هـ والمتوفى في أشبيلية عام ٤٦٣هـ قال في قصيدته النونية المشهورة التي بعث بها إلى ولادة بنت المستكفي التي كان يعشقها وفيها يطلب إليها أن تدوم على العهد ويظهر تحسره على أيامها الماضية.

ما حقنا أن تقروا عين حاسدنا
بنا ولا أن تسرّوا كاشحاً فينا

وهذا منتزع معناه من قول البحتري في البيت الذي جاء ضمن



أبيات غزلية استهل بها قصيدته التي امتدح بها أبا الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون:

نُلْحَى على الوجد من ظلم فديدننا
وجه نعانيه أو لاحٍ يُعنّينا

وقول ابن زيدون من نفس قصيدته المشار إليها:

حالت لفقدكم أيامنا فغدت
سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

ربما كان فيه شيء من انتزاع المعنى من قول البحتري في نفس قصيدته سالفة الذكر.

تجرمت عنده أيامنا حججاً
معدودة وخلت فيها ليالينا

وقول ابن زيدون من نفس قصيدته:

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا
بأن نغصَّ فقال الدهر آمينا

منتزع من بيت البحتري من قصيدته سالفة الذكر:

يلومنا في الهوى من ليس يعذرنا
فيه ويسخطنا من ليس يرضينا

ويقول ابن زيدون:

وقد نكون وما يخشى تفرقنا
فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا

أما البحتري فيقول:

وما ظننت هوى ظمياء مُنْزلنا
إلى مواتاة خلّ لا يواتينا

وعلى الرغم أن نونية ابن زيدون كانت بواقعها معارضة لقصيدة البحتري بل إن منها ما كان منتزعاً انتزاعاً وقصيدة البحتري إلّا أنها أخذت الشهرة وتغنى بها الركبان في كل مكان كما يقولون: والسبب في ذلك يرجع إلى عدة عوامل لعل أهمها أن ابن زيدون وضعها في ثوب قشيب جديد وجعل فيها أجراساً حديثة جديدة رنانة تلقفتها أذن السامع وتعشق حفظها الراوية.

○○○○○

ما أجمل المديح والرثاء من بعد الهجاء!!!

كم من معارك شعرية دارت رحاها بين الشعراء وخلقت أدباً ملوناً من الشعر الذي أثرى المكتبة العربية، وامتاز بأصالته وفنيته وجزالته وعمق معانيه وقوة ألفاظه وفصاحته.

ولعل أشهر ما حدث من المعارك الشعرية التي اشتملت على التهاجي.. هي تلك المعارك التي دارت بين جرير والفرزدق، والأخطل، وهذه المعارك قد قتلها مؤرخو الأدب ونقاده بالشرح والدراسة والتحليل والنقد، حيث استعرضوها استعراضاً شاملاً ودقيقاً ما فوقه مزيد. وقد وصف أحد الرواة أولئك الثلاثة بأثافي الشعر، إذ لم يتهاج أحد مثل تهاجيهم قذاعة ومدة زمنية حيث استمروا قرابة أربعين سنة يتهاجون.

أما من جاء بعدهم فإن تهاجيهم لا يطول وأنفاسهم الشعرية قصيرة مع وجود بعض العوامل التي تحد من تشجيعهم على التهاجي كتفاوت النّديّة وذوبان القبلية وقلة الرواة.

وإذا نظرنا إلى شعراء عصرنا وجدنا أن كثرة تماحكهم يكون متصفاً بالمداعبة التي لا تخلو من اللذعات وقد تتطور أحياناً فتدخل بهم تلك المداعبات بمفاهيمها وأساليبها في ميدان المهاجاة.. ولكنها مهاجاة محدودة، أسلوباً وزمناً.

والغريب في أمر بعض المتهاجين أنه إذا مات أحدهم بادر الحي منهم إلى رثائه، وأخذ يعدد مناقبه وكأن شيئاً لم يكن بينهما. فجرير رثى الفرزدق لما مات رثاء صادقاً.

وفي عصرنا هذا أذكر أنه حصل بين الشاعر محمود غنيم والشاعر



محمود الخفيف مداعبات ومهاجاة لا بأس من حيث العنف والقسوة. فلما مات محمود الخفيف رثاه محمود غنيم بقصيدة مؤثرة أشار في ثناياها إلى ذكريات تهاجيهما. وترحم عليه وأظهر حزنه لموته في تعبير صادق جاء في قوله:

علام تشدُّ رحلك غير واني؟
فديتك راحلاً قبل الأوان

رويدك يا خفيف فلست تدري
بقبرك بعد بعدك ما أعاني

بربك كيف تلقى الموت دوني
وكيف به دعاك وما دعاني

وفي قوله:

يطيب بيان محمود بسمعي
ومحمود يطيب له بياني

ويطرب حين يهجوه غنيم
وأطرب للخفيف إذا هجاني

كلانا شاعر يهجو أخاه
بلا حقد عليه ولا اضطغان

أهاج هُنّ في الأذواق أشهى
من التشبيب بالبيض الغواني

سرت أبياتها بين الندامى
فأنستهم معتقة الدنان

والقصيدة طويلة جداً فهي تبلغ ٧٢ بيتاً، وقد ضمها ديوان محمود غنيم «رجع الصدى».

حمد الله

إن من نعم الله على خلقه أن دلهم على ما يرضاه من مختلف العبادات الفعلية الحركية كالصلاة والحج وغير ذلك والطاعات القولية اللفظية التي لا تحصى ولا تحصر في موضوع كهذا وذلك مثل أنواع وصفات التسبيح والتكبير والتهليل والتمجيد، والاستغفار والتحميد وغير ذلك من الأذكار والدعاء الذي يليق بعظمته سبحانه وتعالى، ويكون صادراً عن عقيدة ثابتة.

والعبادة اللفظية التي تنحصر في التحميد لها صفات كثيرة، وأدلتها من القرآن الكريم كثيرة، أذكر منها قوله تعالى في سورة الفاتحة الآية ٢: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ وقوله تعالى في سورة الأنعام آية ٤٥: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٥﴾، وقوله تعالى في سورة يونس آية ١٠: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾، وقوله تعالى في سورة الصافات الآيات ١٨٠ ـ ١٨٢: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾، وقوله تعالى في سورة الزمر الآية ٧٥: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ وقوله تعالى في سورة النمل آية ١٥: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٥﴾، وقوله تعالى في سورة القصص آية ٧٠: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠﴾، وقوله تعالى في سورة الروم آية ١٨: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨﴾ ومن صفاته

سبحانه وتعالى أنه الحميد، قال تعالى في سورة هود آية ٧٣: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾، وقوله تعالى في سورة الحج آية ٢٤: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾.

شعر: يقول الشاعر عبد الرحيم بن أحمد البرعي اليمني مستهلاً قصيدة ابتهالية طويلة:

لك الحمد للّه حمداً نستلذّ به ذكرا
وإن كنت لا أحصي ثناء ولا شكرا

لك الحمد حمداً طيباً يملأ السما
وأقطارها والأرض والبرّ والبحرا

لك الحمد حمداً سرمدياً مباركاً
يقل مداد البحر عن كنهه حصرا

لك الحمد تعظيماً لوجهك قائماً
بحقك في السراء مني وفي الضرا

لك الحمد مقروناً بشكرك دائماً
لك الحمد في الأولى لك الحمد في الأخرى

لك الحمد يا ذا الكبرياء ومن يكن
بحمدك ذا شكر فقد أحرز الشكرا

لك الحمد حمداً لا يُعَدّ لحاصر
أيُحْصِي الحصى والنبت والرمل والقطرا

لك الحمد ما أولاك بالحمد والثنا
على نعم أتبعتها نعما تترى

والقصيدة طويلة فهي تبلغ خمسة وثلاثين بيتاً.

ومات الأديب والشاعر.. علي عامر!!

ما مر يوم يمر إلّا ونشيع فيه الكثير الكثير من الجنائز، ونستقبل فيه من المواليد ما يفوق في المقابل ما نشيع، والذي تجدر الإشارة إليه في هذه الاستهلالة، هو أنه ليس كل ميت يمتد الحزن عليه إلى خارج محيط أسرته، ولكن الذي له مواقف إنسانية في حياته، سواء كانت تلك المواقف بماله أو بجهده وجاهه، أو بعلمه وقلمه فإنه هو الذي يمتد الحزن عليه إلى ما وراء دائرة أسرته، ولعل صاحب القلم يكون أكثر من غيره معارفاً وأصدقاء، ومن ثم يكون الحزن لموته أكثر اشتمالاً وأعم لما خلف محيط قرابته وذويه، والشاعر الأديب علي حسن عامر من أولئك الذين حزن القراء لموته حينما وافته المنية فجر يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر المحرم عام ١٤١٤هـ وهو في طريقه إلى المستشفى الأهلي بمدينة جدة.

وعلي حسن عامر عاش حياة عملية حافلة بالعطاء، مختصرها أنه كان يعمل في وزارة المالية، ثم عين مديراً عاماً لوزارة المواصلات بالرياض وبقي في تلك الوظيفة إلى أن أحيل إلى التقاعد، وفي معرض ذكره بعد موته قيل إنه كان رحمه الله مثالاً للإخلاص والتفاني في العمل.

وبعد تقاعده اتجه لدراسة الأدب، والتفرغ للكتابة الأدبية ونظم الشعر.

أما مكان ولادته فقد كان في المدينة المنورة، وهو يجيد اللغة التركية، ومات ولم يتزوج طوال حياته، وبموته باشر الكتاب والشعراء

كعادتهم في تحبير رثائه، ومن الشعراء الذين سارعوا إلى رثائه الشاعر السعودي محمود عارف حيث رثاه بقصيدة منها قوله:

وقف الناس في الحياة حيارى
ينصبون الشباك والصيد طائر
يطلبون النعيم صبحاً وليلاً
ونعيم الإنسان، كالظل عابر
كلنا في الحياة يمشي إلى الموت
ويبقى تاريخه للدفاتر!
وعلي الحسين مات وفيه
ملتقى مجده بتاريخ «عامر»!
مستنير في قلبه وحجاه
كاتب رائع الأداء وشاعر!
عاش في دهره يحبّ التفاني
خدمة للبلاد، لا للتفاخر

وقد ختمها بقوله:

رحم اللّه عامراً في ثراه
وجزاه الفردوس واللّه غافر
وعزاء لأهله مستعاد
بدعاء القلوب قبل الحناجر

والقصيدة أطول من ذلك وقد قرأتها في ملحق الأربعاء الصادر يوم الأربعاء ٢ صفر عام١٤١٤هـ.

○○○○○

لما مات علي عامر قالوا عنه

وتكرار القول بأن الناس لا يذكرون بعضهم إلّا بعد الموت، أمر لا مناص عنه لمن يريد الكتابة عن وفيّةٍ من الوفيات. وحينما نريد أن نستفتح الحديث عمن غادر الحياة واستحق الرثاء، فإنه لا بد من ذكر وفية نسوقها كنموذج لذلك. ولعل أحدث وفاة أوحت بصنع هذا الموضوع هي وفاة الأديب والشاعر علي حسين عامر الذي ذكرت شيئاً يسيراً عن سيرته الذاتية في موضوع تقدم تحت عنوان «ومات الأديب والشاعر.. علي عامر»، فقد رثاه من الأدباء والكتاب والشعراء عدد لا بأس به، من أولئك الدكتور جميل مغربي الذي قال فيه كلمة رثائية له: «لقد عرفت السيد علي عامر في أبهى وأزهى أيام حياته وقد تألقت روحه في معارج الصفاء والتأمل. ونذر نفسه ووقته لله عزَّ وجلَّ يتقرب إليه بالنوافل والتلاوة والدعاء، فرأيت نموذجاً لرجل يسبغ الدعاء لمن أحب ومن اختلف معهم في حياته. فلم تكن تلك إلا الشفافية التي يسبغها الله عزَّ وجلَّ لكل من تقرب إليه، وكل من تجهز ليوم الرحيل، وتطلع إلى النزول في جوار الكريم، وتشوقت نفسه لنيل جناته فعاش عزوفاً عن الدنيا ببريقها وبهرجها، واشرأبت نفسه إلى الآخرة ونعيمها المقيم.. ولم تتبق لنا من السيد علي عامر إلّا الذكرى لرجل حرص على أن يقابل الجميل بجميل يفوقه ويقابل الإساءة بإحسان يندها من رجل آثر أن يصرف خواتيم حياته في دعة وهدوء بعد أن عاش ملء السمع والبصر.

أما الشعراء الذين أخذوا في رثائه فمنهم الشاعر خالد محمد النعمان الذي رثاه بقصيدة منها قوله:

وقف اليراع وجفت الأوراق
ودموعنا حرى عليك تراق

يا صاحب العمر المديد تحولت
أفلاكه بعد الهلال محاق

علمتنا أن الحياة سحابة
تمضي ويذهب برقها البراق

يرجو الفتى فيها البقاء معمراً
فإذا تحقق قال ليس تطاق

مهما تطاولت السنون على الفتى
لا بد يدرك نجحه الإخفاق

والشمس تمضي للمغيب حثيثة
يشكو مرارة بعدها الإشراق

هذه الحياة تجمع وتألف
لكنها بعد اللقاء فراق

هي سنة المولى العظيم بخلقه
قد سنها سبحانه الخلاق

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ثمانية عشر بيتاً، وقد قرأتها في ملحق الأربعاء ٢ صفر عام ١٤١٤هـ.

○○○○○

ماذا يعني كره البياض بعد أن كان معشوقاً؟

كـــان الـــبـــيـــاض يـــروقـــنـــي
حـــتـــى رأيـــت الـــشـــيـــب مـــنـــي

هذا البيت هو مطلع لأبيات نظمها الشاعر الوزير بهاء الدين أبو الفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن منصور بن عاصم المهلبي من شعراء القرن السابع الهجري، وكان فيه صريح العبارة. بل صادق التعبير حينما حقق بأنه قد كره البياض الذي يروقه. ويستهويه ويتعشقه، وذلك حينما رأى بياض الشيب قد تجلله. بل إنه طلب إلى اللون الأبيض الابتعاد عنه:

فـــالـــيـــوم يـــا لـــون الـــبـــيـــا
ض إلـــيـــك ثـــم إلـــيـــك عـــنـــي

فـــلـــقـــد هـــجـــرت بـــك الـــصـــبـــا
ونـــســـيـــتـــه حـــتـــى كـــأنـــي

وفي قافية هذا البيت اكتفاء - والاكتفاء فن من فنون البديع - وتقدير قوله كأني لم أعرف الصبا بعد ما رأيتك أيها البياض.

ويعمد أيضاً إلى الاكتفاء في البيت التالي:

ويـــقـــال أنـــك قـــد كـــبـــر
ت عـــن الـــهـــوى فـــأقـــول إنـــي

وتقديره: إني قد كبرت فعلاً ولا اعتراض على قولكم.

وكبره هذا قد استوقفه في منحنى فرض عليه أن يحسب سني عمره

حساباً قرع سنه من نتيجته.

وأظـــل أقـــرع دائـــمـــاً
سـنـي إذا حـقـقـت سـنـي

ويمضي في استكمال الصورة المتعلقة بالإحساس بالشيب والكبر ومالهما من تأثير نفسي على من يداهمان جسمه ويتبادلان غزو جميع قواه:

قـد كـنـت أحـزن لـلـفـرا
ق ولـلـصـدود ولـلـتـجـنـي

حـتـى انـقـضـى زمـن الـصـبـا
فـخـرجـت مـن حـزن لـحـزن

لكن الشاعر المهلبي سرعان ما يعلن تراجعه عن حملته العنيفة على كره البياض ويأخذ في التحدث عن الواقع الذي وضعه الشيب فيه، وجعله يعلن توبته عما سلف له من هوى كان قد صاحب شبابه:

ولـقـد صـحـوتُ وتـبـت عـن
خـمـر الـهـوى وكـسـرت دنـي

○○○○○

القرآن هو أفضل ما نسمعه من الإذاعة!!

والشاعر أحمد الصافي النجفي له رأي في الإذاعات، بل إنه مع رأيه القائم على الحكم بعدم صحة ما يذاع سوى القرآن الكريم الذي تفتح به، قد شن حرباً شعواء على الإذاعات التي لا يهمها سوى تلقف الإشاعات وإذاعتها بين الناس ومحاولة السبق في إذاعة الخبر وبثّه بالسرعة الممكنة سواء كان صحيحاً أو مكذوباً هذا بالإضافة إلى ما تذيعه من مواد فجة وبرامج غثة يتخللها غناء كله ميوعة وتكسر وتخنث. واستضافات لأصحاب الأفكار المشوشة.

والحقيقة أن الإذاعات لا تألو جهداً في إغراء المستمع بالمواد والبرامج التي تحاول بها اجتذابه لاستماعها بأي وسيلة كانت هي في مجملها مزيج من السم والدسم. فإذا ما جاءت مادة ما ذات مغزى اجتماعي فإن المواد الأخرى تأتي ساخرة الأدب، وخالية من مسحة ذوق العقلاء وأهل الفكر.

ثم إنه لو حصل أن أذيعت مواد بعيدة عن اللهو والطرف فإنها لا تخلو من الدس. وتحبيذ الإباحية بشتى صورها وأشكالها، ومن زوايا ذات تأثير مباشر على المستمع بصفة عامة.

يقول الشاعر أحمد الصافي النجفي من قصيدة له ضمها ديوانه «الشلال»: إن الإذاعات بما تذيعه من زيف. وكذب. وقول رخيص قد أفسد عقولنا، وذلك بقوله من تلك القصيدة:

عقولنا من إذاعات لنا فسدت

ما أعطيت من غذاء فهي تأكله





حتى البهائم بعض الأكل ترفضه
وما يذاع على العلّات نقبله
هذا يذيع وذا جهلاً يصدقه
وقد غزا مرشد الأعمى يضلله

ومنها قوله:

ما من صحيح سوى القرآن نسمعه
من الإذاعة يهدينا مرتّله
هذا هو الصدق بين الكذب نسمعه
هذا هو الحق يمحو البُطلَ منزله

ومنها قوله مشيراً إلى أن أفضل ما يسمعه هو القرآن:

لولاه كنت لهذا «الراد» أخرسه
عن التفوه يوماً أو أعطله
فلا تصدق سوى القرآن إن ذكروا
قولاً فآخره كذب وأوله
من الإذاعة صرنا تائهين حجى
فالعقل قد جُنَّ لما ساء مأكله

○ ○ ○ ○ ○

دعاؤك على الحجيج ليس في محله يا أبا عبادة!!

لو كان الشاعر البحتري حياً لأرسلت إليه بواسطة «الفاكس» رسالة دعابية لا تخلو من العبارة الناقدة لكثير من آرائه وجنوحه ولغته الشعرية، ولقلت له فيها من الذي حملك على تهديد الحجيج بالدعاء عليهم إن هم لم يبلغوا تحيتك لمحبوبتك، وطلبك في الدعاء عليهم أن يحدث لهم ما يعوقهم وأن يصابوا بمصيبة تمنعهم من رمي الجمار والسقيا من ماء زمزم وذلك بقولك:

هل ركب مكة حاملون تحية
تُهدى إليها من مُعَنّى مغرم؟

ردَّ الجفونَ على كرىً متبدِّدٍ
وحنى الضلوع على جوى متضرم

إن لم يُبَلِّغْكَ الحجيجُ فلا رمو
بالجمرتين ولا سُقوا من زمزم

ولقلت له: لقد وقفت يا أبا عبادة عند قولك هذا ألتمس لك عذراً أو ما يشبه العذر فلم أجد مبرراً لذلك الدعاء الذي يستنكره الحجيج منك، ولقد تساءلت أثناء وقوفي على تلك الأبيات تساؤلاً محدوداً فحواه، ما ذنب الحجاج إذا لم يحملوا تحيتك؟ ثم إن الحجاج ليسوا رسل عشاق وقد كان الأجدر بك أن تبعث رسولاً بتحيتك ثم تدعو عليه إن هو خانك ولم ينقل تحيته على الوجه المطلوب، فهل لك يا أبا عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري الطائي التي كانت ولادتك بمنبج سنة ٢٠٢هـ ووفاتك سنة ٢٨٤هـ أن تجيب على هذا التساؤل؟.

وإن كانت ذاكرتك قد خانتك بسبب البعد الزمني بيننا وبينك والذي يقدر بـ١١٢٩ سنة بين تاريخ تحرير هذه الرسالة وسنة وفاتك فإنني أذكرك بأن الأبيات من قصيدتك التي امتدح بها الهيثم بن عثمان الغنوي الذي قيل عنه أنه كان قائداً من أهل الجزيرة اشترك في حرب بابل، وذكره الطبري في أخبار سنة ٢٢٠هـ، وقلت في مطلعها:

هذي المعاهد من سُعادَ فسلِّم
واسأل وإن وجمتْ فلم تتكلمِ

ولعلمي بأنك لن ترد جواباً بحكم انتقالك الأبدي من الدنيا فإنني أذكر لك مواقفاً جميلة في تلك القصيدة لعلها تخفف قسوة ملاحظتي المتقدمة في أول هذه الرسالة وهي قولك في مديح الهيثم:

يدني يداً بيضاء يختلط الندى
فيها إذا لقي الفوارس بالدم

وهذا قول جمعت فيه بين ضدين يحمدان في الزعيم بحكم المناسبة التي تفرضهما عليه فأحسنت الجمع بينهما.

وشمولك بالمديح قبلة الهيثم كان موفقاً ومتصفاً بالبلاغة، وذلك بقولك:

جُدُدٌ مكارمهم كما بدئت وهم
أعلى وأكبر من ضُبَيْعَةِ أضخم

صحبوا الزمان الفرط إلا أنه
هرم الزمان وعزهم لم يهرم

ولقد كان قولك للهيثم قبل البيت الأخير من القصيدة موفقاً من حيث التعبير حيث قلت مخاطباً إيّاه:

ولقد جريتَ إلى المعالي سابقاً
فأخذتَ حظّ الأول المتقدم



أفقر من فقير اليهود

سمعتُ أحدهم يسوق هذا المثل «أفقر من فقير اليهود» مدلِّلاً على شخص يعاني من الفاقة وشدة الفقر فقلت في نفسي ما سمعت بهذا المثل على ألسنة الناس.. لكن سماعي له أوجد خاطرة تدعو إلى مناقشة مفهومه، وهل لإسناده إلى اليهود مفهوم وخاصية متميزة، ومضيت في تحليله. وإذا به يصف اليهود بأنهم أنانيين وغير متكافلين. وليس في أموالهم حق للمسكين، ويحبون المال حباً جماً، ولا ينفقون شيئاً مما ملكته أيديهم. ولا يعرفون الصدقة ولا الإحسان على المعوزين من أبناء جلدتهم. وإنما همهم الأكبر جمع المال وكنزه، ولهذا صار فقيرهم أفقر الناس لأنه لا يجد يداً تعطيه صدقة أو تحنو عليه بما يسد رمق جوعه.

ثم تبادر إلى ذهني أنّ إحجامهم عن مدّ يد العون للفقير هو بمثابة حثه على تجنب الاتكالية لكن واقع حال الناس ينفي ذلك عن طبع اليهود المشهورين بالأنانية وحب الذات، وهذا بخلاف حال المسلمين اللذين يرحم قويهم ضعيفهم وكبيرهم صغيرهم وغنيهم فقيرهم، وذلك وفقاً للتعاليم الإسلامية التي تأمر بالصدقة للفقير لتعينه على طرد اليأس والاستسلام للفقر، وتقويه على الاكتساب بل تحدثه إنها إنما جاءت من عند شخص مثله. وقد تسائله: لماذا لا تفكر وتعمل وتتحرك يمنة ويسرة وتعلق أملك على الله بأن تكون كذلك الشخص الذي تصدق ربي عليك فيجد نفسه أمام أمر واقع ينطلق به نحو العمل وطلب الرزق.

وإذا وقفنا أما صورة الفقر بشكل عام فإننا نراها صورة مخيفة يجب أن نبحث عما يبعدها عنا.

قال الشاعر أحمد زكي أبو شادي واصفاً حالة حي يسكنه فقراء من الناس في قصيدة له منها قوله:

أمشي كما يمشي الدليل، وكلنا
أعمىٰ بتلك الليلة الليلاء

حتى بلغنا مسكناً من حجرة
فيه يطل النور شبه مرائي

وبدت به امرأة لفرط هزالها
كالطيف في وهم الخيال النائي

فأبت علينا ما سألنا في أسى
وإباؤها للماء غير إباء

إذ كل ما ملكته كوز منتن
لرضيعها الدّاني ليوم وفاء

ثم انطلقنا غير أن دليلنا
وزميله وقعا وقوع ثواء

ويمضي في وصف حالة ذلك الحي ـ حي الطبقة الفقيرة ـ إلى أن يصل إلى قوله:

عيش البهائم كان خيراً حينما
يحيا الورى كحثالة الأشياء

ثم يختم تلك الأبيات بقوله:

فخرجت أجري من بلاء مطبق
وعرفتُ بعض مقابر الأحياء

○ ○ ○ ○ ○



أطفال الشعر

وحينما نصف بعض الشعراء في عصرنا هذا بأطفال الشعر فلأن ذلك متفق وحالتهم الصحية لأنهم فطموا على ما يعرف بالحداثة في الشعر والبنيوية في اللغة والأدب.

أما الذين لم يفطموا على لبن البنيوية فإنهم شبوا على طوق الحداثة ولم يعد وصفهم بأطفال الشعر ملائماً بل هو غير جائز؛ لأن من الخطأ أن نصف من تعملق وثبّت أقدامه على أرض الواقع الأدبي الذي تنطلق منه طرق يستمتع مسالكها بضوء اللغة وضياء بيانها. أقول من الخطأ أن نصفه بالطفل بل نكون مجحفين حينما نحاول إقامة ولو أدنى مقارنة بين من فضلوا الطفولة المستمرة في ميدان الشعر وهيأوا أنفسهم لتلقي ما لا يكلفهم وزناً ولا بناءةً ولا بحثاً عن قافية وبين من ركبوا صهوة القافية العريقة النسب والأصيلة المنشأ وأبدعوا في البناء. وساروا في تحديد أطر القصائد ووضع أسسها على نهج من تقدمهم من أعيان الشعراء وفطاحلة الشعر وأقطابه من أسلافنا الذين ورثوا تركة أدبية فيها مجال للإبداع، وصقل المواهب وإنارة العقل، بل هي غنية بكل ما يتطلبه أدب حضارة هذا العصر، وغيره من العصور.

وإذا ما حاول أي من أولئك الأطفال التحرر من صفة الطفولة باستمرارية توقيعه تحت كلامه الذي يصر على أنه شعر ـ بالشاعر فلان ـ وخدع فئة من الناس بهذا التوقيع فإنه لا يتحرر من القزمية حينما تلتف عليه الأندية الأدبية التي تبرعمت وازدادت نضارة بفعل ما يصب فيها من قنوات منبعها الأصالة اللغوية والأدبية.

وإذا ما أردنا أن نقرع الحجة بالحجة، ونثبت طفولة أولئك، فلا بد لنا من شاهد معاصر ينكر عليهم مسلكهم. ويعيب منهجهم الشعري ويحقق تقصيرهم وقصورهم عن مسايرة قافلة الأدب الأصيل، وأقرب الشهود على ذلك الشاعر المعاصر حسين عرب المولود عام ١٣٣٨هـ حيث يقول:

قال لي صاحبي: أفي الشعر شعر
غيرُ حُرٍّ، وفيه شعر حرُ

قلتُ: كلا وإنما الشعر فن
ذو بحور لهن مدّ وجزر

قال: في وزنه يقولون قيد
مستبد وفي قوافيه حَجْر

قلت في وزنه جمال وإيقاع
وأسر وفي قوافيه سحر

ويقول من نفس القصيدة:

والذي ظنه الدعيون شعراً
غمغمات من الكلام وهُجْر

والدعاوىٰ يسوقها أعجميون
إذا خانهم أداء وفكر

كل من شاء أن يعربد بالقول
تمطّىٰ وقال: شعر حر

ومضى يملأ الصحب جهلا
جملاً كلها هُراء ووزر

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ١٧ بيتاً ومدونة في ديوانه: المجموعة الكاملة ديوان حسين عرب.

من هو الذي يمنى بالجفوة من الناس؟!!

إن الإنسان الذي يتفوّق على أقربائه وتكون له الغلبة في كل أمر من الأمور الاجتماعية المرغوب فيها. ويصبح بفضل ما آتاه الله من علم وحلم وحكمة ودراية عَلَماً يشار إليه بالبنان، ورجلاً مهاباً وإنساناً تفرض أفعاله، وآراؤه، احترامه وتقديره يكون في غالب الأحيان محسوداً وخاصة من قبل ذويه وأقاربه الذين يرون في تفوّقه عليهم غمراً لأسمائهم، وقطعاً لدابر محاولة أي منهم اعتلاء مسرح الحياة إذ هو السابق بالاختصاص والتميز به.

ولِمَا يُقابل به كل مبرز يطغى اسمه وترتفع فوق أسماء أقاربه من محاربة ومباغضة تصل إلى درجة الكراهية، نراه لا يتوانى في استبدالهم بمن تربطه بهم صفة التجانس في علمه وعلوّ همته والتماثل في المكانة الاجتماعية والمقدرة على تنفيذ القرارات الحكيمة التي يرضى عنها الناس المعتدلون، بل المتجردون من وساوس الحقد وأدراء الحسد.

وكثيراً ما نقرأ من أن لموع اسم الأديب أو الكاتب أو الشاعر في مجتمع يسبب له جفوة من بعض أفراد مجتمعه وبالأخص المقربين منهم إليه، وعلى رأسهم معظم أقربائه للسبب الذي تقدمت الإشارة إليه.

وحيث إن الشعراء هم أكثر إحساساً بل أشد تعبيراً وأجرأ على البوح بتلك الظاهرة السيئة نقرأ الكثير من القصائد التي تصرح بهذه المشكلة، من ذلك ما قال الشاعر محمد سعيد العباسي من قصيدته «بنو أبي» التي استهلها بقوله:

قفوا في رباً كانت تحلُّ بها سلمى
فإني أرى هجران تلك الرُّبا ظلما

أسائل رسم الدار أين ترحلوا
وهل أفصحت يوماً لسائلها العجما

ومنها قوله:

سأصرف وجهي عنهم وعزائمي
إلى نفر غُرٍّ رضيتهمُ قوما

قرابة آداب وإخوان حرفة
أصبتُ بهم من كل عارفة سهما

كرام إذا ما جئت قلت محاسن الو
رى نظمت في سلك أخلاقهم نظما

هم القوم إن أدع استجابوا وإن أرد
معيناً أعانوا إن زماني بي وهَمَّا

ومنها قوله:

وقد عابني من لا يقوم بمشهدي
وليس له مثلي الغداة حِمى يحمى

ومن لو هوى نحوي بكل عزيمة
وفي كفه الصمصامةُ العضبُ ما أدمى

○ ○ ○ ○ ○

تقليد الكافرات إسقاط للكرامة ومضيعة للذات!!

وحثُّ المرأة على التمسك بمبادئ دينها، وآداب ملتها، وتقليد سلفها الصالح، وتأصيل العادات الموافقة للدين الحنيف ما هو إلّا أمر من الأمور التي يتخذها المسلمون وسيلة لعدم اندفاع المرأة المسلمة مع موجة «الموضة» والأخذ بتقليد الكافرات في جميع المجالات، والرغبة عما يدعو إليه الإسلام من حشمة المرأة وتكريمها، وصيانتها والمحافظة على كرامتها. لتبقى جوهرة مصانة. وأمّا ومدرسة يتخرج فيها الأبطال والعباقرة.

ولقد أطربني موضوع اشتمل على شيء من النثر والشعر عالج فيه الأخ الكاتب الشاعر السعودي صالح بن محمد بن صالح المحيميد قضية تقليد المرأة المسلمة للمرأة الكافرة. فمما قاله نثراً في ذلك الموضوع:

معلوم ما يبيته أعداء الإسلام خذلهم الله. للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بالدليل النقلي. ولا يخفى على مثلك أيها القارئ العزيز الوسائل المتبعة من قبل أعداء الإسلام على اختلاف مذاهبهم فالكفر ـ كما علمتُ وعلمتَ ـ ملة واحدة وكل لا يتجزأ. وعند ذكرنا للوسائل المتبعة تبرز المرأة كوسيلة فعالة كما تنضح بذلك بروتوكولاتهم المفضوحة بحمد الله، وهذا حق علموه كما علمناه لأنها فتنة تذهب بعقل الرجل الحازم فما بالك بغيره من الرجال؟!!

ونظرة فاحصة للواقع المعاصر في بلاد المسلمين بل وفي غيرها نرى استفحال تلك الوسيلة، فتهافت المسلمات على تقليد المرأة الغربية في بقاع من الأرض كثيرة. كبير وملموس غير مدركات عواقب ذلك بدعوة أن هذا تشدد وتزمت وهو مرفوض في العصر الحاضر رغم أن

المرأة الغربية نفسها تخلت عما كانت عليه من انحلال وفساد. أو على الأقل نسمع أصواتاً منهم تطالب بمحاربة الفساد المستشرى عندهم، والذي جلب لهم الويلات والأمراض التي أخبر عنها نبينا محمد ﷺ، والتي لم تكن في أسلافهم. وقد شهد بذلك العقلاء منهم. لذا كتبُ ما يلي سالكاً فيه مسلك الشعراء - ولست منهم - ناصحاً الأخت المسلمة أينما وجدت تحقيقاً ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

أيـــن أنـــت يـــا أخـــيّـــة
لا تـــزالـــى فـــي ســبـــات

تـــركـــضـــيـــن خـــلـــف ســرب
مـــن نـــســـاء كـــافـــرات

أوردوا فـــيـــهـــن قـــولاً
قـــد حـــوى كـــل الـــصـــفـــات

«كـــاســـيـــات عـــاريـــات
مـــائـــلات مـــمـــيـــلات»

أي خـــيـــر مـــن نـــســـاء
قـــد عـــلـــمـــنـــا هـــالـــكـــات

اتـــركـــي الـــتـــقـــلـــيـــد أخـــتـــي
لـــيـــس هـــذا بـــاقـــتـــيـــات

أتـــريـــن قـــد عـــدمـــنـــا
كـــل زرع ونـــبـــات

وبـــقـــيـــنـــا نـــشـــكـــو جـــوعـــاً
كـــلا.. كـــلا. يـــا فـــتـــاة

والأبيات أكثر من ذلك فهي تبلغ إحدى عشر بيتاً قرأتها في جريدة «الجزيرة»، العدد ٧٦٠٩ يوم الخميس ١٠ صفر سنة ١٤١٤هـ.

النظافة مظهر إيماني.. وعنوان تحضر!!

والكلام عن النظافة يطول. ويطول. ويتجدد تجدد الزمان والمكان. والمعنيّ بالنظافة هو الإنسان وحده، حيث تقترن صحته بوجودها في جسمه ومحيطه ومرضه وسقمه بانعدامها.

وأهم شيء تشمله النظافة. المكان. والملبس. والبدن. والطعام. والشراب. فهذه هي الأساسيات التي متى ما كانت نظيفة تحصن جسمه من الأمراض التي تنشأ عن الجراثيم التي تنبعث من القاذورات التي لا يدرك بعض الناس ما لها من أضرار تشوه الهيئة وتفتك بالجسم.

ونظافة المكان لها فلسفة في حياة الإنسان غير ما تعنيه من صحة لبدنه، فهي إذا ما كانت عنواناً للمكان فإنه يكون مجلبة للراحة النفسية، وعنواناً لتحضر مستوطنيه.

ودليلاً على ارتفاع نسبة الوعي الصحي بينهم، ومفهوماً يقيم مقارنة بين فاعلية النظافة وبين ما يشتمل عليه ضدها.

والذين لا يألون جهداً في الحث على نظافة المكان جاؤوا بعبارة سجعية بديعة يوصون بها الذي تشوقه نظافة مكان ما فيحط رحاله فيه وقتاً من الزمن ثم يرحل منه بقولهم في تلك الوصية: دع المكان كما كان أو أفضل مما كان إذا كان بالإمكان.

والحقيقة أنه مهما تحدث المتحدثون عن النظافة. وأسهبوا في وصفها وذكر فوائدها الصحية والأدبية والجمالية فلا بد أن يكون عنوان حديثهم مهما تنوع. القول المأثور: «النظافة من الإيمان»، يقول الشاعر محمد سعد دياب من قصيدة عنوانها «النظافة»:



ما أقبح الأثواب دَنّسَ طيبها
وحل القذارة.. كالقذى هطال

ما أقبح الأجسام سدّ مسامها
ما تقشعر له هنا الأوصال

ما أقبح الدور التي اكتظت بها
من كل صوب للركام جبال

تلكم مصيبتنا أتت من شرها
كُرب وأمراض ترى، ووبال

إن القذارة توأم الداء الذي
يردي.. يدق العظم. فهو عضال

ومنها قوله:

دعنا نجذر في نفوس صغارنا
حب النظافة، تسلم الأجيال

دعنا نعلمهم بأن لدينا
قولاً صريحاً ما له إخلال

لا يكمل الإيمان دون نظافة
إن النظافة ها هناك كمال

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٢٧ بيتاً قرأتها في جريدة «الجزيرة» العدد ٧٦١٢، يوم الأحد ١٣ صفر عام ١٤١٤هـ.

○○○○○

وصف.. ومناجاة عاذل

لا يختلف اثنان على أن الشعر الغزلي فن من فنون الأدب وجزء لا يتجزأ منه كما يقوم الاتفاق على أن تذوقه يكمن فيما هو مهذب منه. وتهذيبه لا يحصل أو لا يتحقق بالأصح إلّا من لسان شاعر يجيد الوصف ويعرف كيف يصنع من الألفاظ سحراً يهيم في بحره القارئ، ويحكم العزف على أوتار قلوب العشاق، فيجعلهم يسبحون بأحاسيسهم في بحر الهوى. ويحلقون بأجنحتهم في فضاءات الغرام وأجواء الهيام.

وفنية شعر الغزل تتمثل في التحليق بالقارئ في الآفاق التي أطلق فيها الشاعر خياله الواصف وتجلياته المصورة إطلاقاً تولدت منه وحدة ذات جاذبية تأسر القارئ أو تجعله مرتبطاً بما صنعه الشاعر من خيوط حريرية ينسج منها قصائد غزلية تداعب بكل رقة قلوب العشاق.

وليكن لنا في هذه السطور وقفة قصيرة مع أحد شعراء الغزل، لنعرف كيف نفث سحره في شعره الغزلي. والشاعر هو الوزير بهاء الدين أبو الفضل زهير بن محمد المهلبي، الذي يقول في مقدمة قصيدة امتدح بها السلطان نجم الدين أيوب واصفاً الذوائب الفاحمة السواد المنسدلة على الردف بالصل الأسود المطرق على كثيب من الرمل الذي شبه به لون الردف:

وإني لأهوى الحسن حيث وجدته
وأهيم بالقد الرشيق وأعشق

وبليتي كفل عليه ذؤابة
مثل الكثيب عليه صل مطرق



ففي من هذه صفة كفله وذؤابته يعصى عاذله بقوله:

يا عاذلي أنا من سمعت حديثه
فعساك تحن أو لعلك ترفق

لو كنت منا حيث تسمع أو ترى
لرأيت ثوب الصبر كيف يمزق

ورأيت ألطف عاشقين تشاكيا
وعجبت ممن لا يحب ويعشق

ويجابه العذال بمزيد من التأكيد على المضي في مواصلة عشقه وحبه وإخلاصه لمن ذكر صفته:

أيسومني العذال عنه تصبراً
وحياته قلبي أرق وأشفق

إن عنفوا. إن خوفوا. إن سوفوا
لا أنثني.. لا أنتهي.. لا أفرق

ولا ينفك الشاعر المهلبي ماضياً في تأكيد رفضه لعذل عذوله ومدلّلاً محققاً صدق لهفته التي يلهبها الوصال، وواصفاً طبيعة علاقته بمعشوقه بالعقد في جيد المليحة:

أبداً أزيد مع الوصال تلهفاً
كالعقد في جيد المليحة يعلق

○○○○○

ألا ليت الشباب يعود يوماً

ويكاد يكون بيت أبي العتاهية:

ألا ليت الشباب يعود يوماً
فأخبره بما فعل المشيب

منطلقاً للتوجد على ما فات من أيام الشباب لدى كثير من الشعراء الذين فعل الشيب بقواهم أفاعليه.

فمن أولئك الشعراء الذين ضمنوا بيت أبي العتاهية بعض قصائدهم التي تحدثوا فيها عن الشيب بعدما شابوا وتضعضعت قواهم الشاعر السعودي محمد محمود وذلك بقوله من قصيدة له عنوانها: «ألا ليت الشباب»:

هي الأيام تخطئ أو تصيب
فلا تركن إليها يا لبيب

فواعجي لمن قد بات يدعو
وقد غالت شبيبته الخطوب

«ألا ليت الشباب يعود يوماً
فأخبره بما فعل المشيب»

لا أريد أن أسترسل في سرد أبيات قصيدة محمد محمود فهي طويلة.. إذ يبلغ عدد أبياتها خمسة وعشرين بيتاً، بقدر ما أريده من إيراد نموذج آخر من تضمين بيت أبي العتاهية سالف الذكر:

فالشاعر السعودي محمد عارف قد ضمن بيت أبي العتاهية قصيدة له قوامها سبعة وعشرون بيتاً، استهلها بقوله:

تكالبت المتاعب والكروب
على الإنسان.. والدنيا دروب

وختمها بأبيات ابتهالية أنهاها ببيت أبي العتاهية وذلك بقوله:

سألت اللّه غفراناً وعفواً
وذلك مأملي وهو المجيب

وتحت مظلة الرحمٰن نورٌ
تحيط بعبده حيث الذنوب

ورحلة حائر.. في تيه عُمرٍ
يعيش حياته وهو الغريب

«ألا ليت الشباب يعود يوماً
فأخبره بما فعل المشيب

ولعل ما في هذين النموذجين من التضمين لبيت أبي العتاهية ما يكفي للتدليل على أن بيت الشعر إذا كان ذا أسلوب واقعي يكون ملهماً للشعر ومحرّكاً لقريحة الشاعر. بل يكون قاعدة ينطلق منها الشاعر في بناء قصيدته التي يريد أن يعبر فيها عما أحدثه الشيب فيه من تغيير أدى إلى تدني في مستوى قواه وإرادته الحركية.

ooooo

بيع الأقدام في المزاد أربح من بيع العقول

لقد لفت نظري هذا العنوان: «بين بيع الأقدام والعقول» الذي اختاره الكاتب والأديب الأخ حمد عبد الله القاضي لموضوع عرض فيه ظاهرة بيع الرياضيين، ونشرته جريدة «الجزيرة» في عددها ٧٦٧٧ يوم الثلاثاء ١٩ ربيع الآخر عام ١٤١٤هـ بهذا النص:

كلما طالعت تلك العناوين البارزة في الملاحق الرياضية حول «بيع اللاعبين» توقفت متسائلاً كيف يباع الإنسان؟ حتى وإن سمى هذا البيع تنازلاً فهو بيع إذ إن النادي لا يتنازل عن لاعبه لناد آخر إلا مقابل مبلغ معلوم مقبوض.. إنني لم أستطع أن أقبل كلمة بيع فلان من الناس، فكيف يباع «أولاد الحمايل»؟!! ولا أزال أذكر نقاشاً أو بالأحرى «مزاداً» حضرته حول بيع لاعب - وكان المزايدان - مسؤولين في ناديين معروفين، . وكنت أستمع إلى المزايدة وكأن اللاعب سلعة فعلاً، وقد اختلف هذان المسؤولان حول المبلغ الذي تم على ضوئه - الصفقة - ولم تتم - الصفقة - بسبب ثلاثة آلاف ريال.

ولقد نقلت هذه الصورة من ميدان اللعب إلى ساحة الأدب، وقلت في نفسي لو كان الأدباء يتم بيعهم مثل اللاعبين فماذا سوف تساوي قيمة أديب كبير مثل «......»؟ ومن ذا الذي سوف يشتريه؟ وماذا سيدر على مبتاعه وكيف سيكون التنافس بين الأندية الأدبية على اللاعبين، وغيرها من الأسئلة التي كلها منهض سؤال جاءت الإجابة عليه عبر سؤال آخر أقل فرحاً وأوفر شجناً.

ليحمد الله الأدباء - وأعني فقط - من يحترمون شرف الكلمة وأمانة الحرف.

إنهم لا يباعون وأن عقولهم لا تعرض في مزاد، فإن جاز ذلك في عالم الأقدام فلا يجوز ذلك في عالم العقول، وحسب أصحاب الكلمة ذلك عزاء.

وحول هذا الموضوع قرأت في «أخبار الأدب» التي تصدر عن دار أخبار اليوم بالقاهرة في عددها ١٢ يوم الأحد ١٦ ربيع الآخر ١٤١٤هـ أبيات شعر بعنوان «في المزاد» للشاعر محمود محمد بكر هلال حيث لاحظ شاباً يسعى وفي يده كتاب ومتحفز لطلب العلم، فقال له: العلم اليوم لا يقاس بلعب الكرة فهذا «رضا» الذي استبدل طلب العلم باللعب يعطي ألوفا لا ينالها أي طالب علم.. من تلك الأبيات قوله:

وسألته ماذا تريد وما الذي
تبغيه يا زين الشباب وما المراد

فأجابني متطلقاً متفائلاً
وكأنه في سعيه مَلَك البلاد

أنا ذاهب للعلم مصباح الورى
ومبدد الظلمات إن هجم السواد

فأجبته مهلاً بُنيّ ولا تزد
فلقد عرفتُ وقام غيرك بالمزاد

لا في العلوم أو الثقافة بل جرى
في عالم الكرة الحديث المستجاد

ورضا هو الهدف الذي يبغونه
والملعب الميمون يُغْلي من أجاد

يُعْطى ألوفاً بالمئات ولا يبني
عن دفع آلاف ففي النادي اعتماد

فارجع بُنيّ فهذه الكتب التي
تغْيابها ويحملها شيء جماد

○ ○ ○ ○ ○



الفهرس